

شرح القصر العطائية

تأليف الشيخ المحدث الحافظ
محمد حياة السندي المدني
(ت ١٤٦٣ هـ)

تحقيق
نزار حمادي

مؤسسة الحارثي
بيروت - لبنان



الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبّر عن آراء واجتهادات أصحابها

جميع حقوق النقل والإقتباس والترجمة محفوظة
ومسجلة دولياً وفق قانون الإيداع
وحفظ الملكية للناسر

دار مكتبة المعارف

الطبعة الاولى

1431هـ - 2010م

ISBN 978-9953-436-65-4

الإدارة العامة : كورنيش المزرعة - بناية إسكندراي - ط2

هاتف وفاكس : 00961-1-653852/00961-1-653857

المكتبة والمسودعات : شارع حمد بناية رحمة

هاتف وفاكس : 00961-1-640878

هاتف جوال : 227724-892210-205669 (00961-3)

ص . ب 11/1761 - بيروت - لبنان

E-mail: maaref@cyberia.net.lb

WWW.al-maaref.com

شَرْحُ الْحِكْمِ الْعَطَائِيَّةِ

تأليف الشيخ المحدث الحافظ

محمد حياة السّندي المدني

(ت ١١٦٣هـ)

تحقيق

نزار حمادي

الناشر

مؤسسة المعارف للطباعة والنشر
بيروت - لبنان



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي عَمَّ العوالمَ حِكْمَةً وَحُكْمًا، وَوَسَّعَ كلَّ شيءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا، فهو الْحَكِيمُ الْحَكَمُ، الذي لا مَعْقَبَ لما به قَضَى وَحَكَمَ، والصلاةُ والسلامُ على سيدنا ونبيِّنا ومولانا محمد مبدي جواهر العلوم ونفائس الحِكَمِ والواسطة في كل الخيرات الواصلة إلينا والنِّعم، وعلى آلِه وأصحابه الذين نالوا باتِّباعه غاية الفخر والكرم.

وبعد؛ فإن الدين الإسلامي الذي شرف الله تعالى به المصطفين من عباده مجموع ثلاثة أركان وهي: الإيمان، والإسلام، والإحسان. وقد نصَّ على ذلك نبينا المصطفى ﷺ في حديث جبريل عليه السلام حيث قال ﷺ: «هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ».

فكما يُطَلَّبُ الْعِبْدُ بالتصديق بالله ورسوله والإذعان لما جاء به - عليه الصلاة والسلام - عن الله تعالى وهو المسمى بالإيمان، وَيُطَلَّبُ بالأعمال المتعبد بها سواء كانت قولية أو فعلية أو مركبة منهما وهو المسمى بالإسلام، كذلك يطلب أيضاً بالآداب اللائقة بالعبد بين يدي مولاه ﷺ وهي أخلاقه ﷺ التي كان يتخلق بها مع الخالق سبحانه ومع مخلوقاته، وهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَأَنَّكَ لَکُلِّ شَيْءٍ عَظِيمٌ﴾، وهذا الركن هو المسمى بالإحسان. والعلم المتكفَّل ببيان المعتقدات - التي هي دعائم ركن الإيمان - هو علم أصول الدين الذي يعرف بأنه العلم بالعقائد الدينية عن الأدلة اليقينية، والعلم المتكفَّل ببيان الفروع العملية - وهي أعمدة ركن الإسلام - هو علم الفقه الذي يعرف بأنه العلم بالأحكام الشرعية العملية - من العبادات والعادات والمعاملات - المكتسب من أدلته التفصيلية، والعلم المتكفَّل ببيان الآداب

والأخلاق المرضية التي تمثل أسس ركن الإحسان هو علم التصوّف الذي يتوصل به إلى معرفة الأخلاق المذمومة ليُتطهّر منها، والأخلاق المحمودة ليُتخلّق بها، فلا غنى للمكلّف عن العلوم الثلاثة، ولا يكمل دين العبد إلا بالجري على مقتضاها.

وقد صنف أئمة الإسلام رضوان الله عليهم في كل هذه العلوم، فأجادوا وأحسنوا غاية الإحسان، لا سيما علم التصوف السني، فمن أعظم ما صنّف فيه كتاب «الحكم العطائية» في الآداب والحقائق التصوفية للشيخ الإمام فريد دهره ووحيد عصره تاج الدين أحمد بن عطاء الله السكندري رحمته الله، فهو كتاب رائق العبارات، فائق الإشارات، موافق للعقائد السنية، جارٍ على نهج الكتاب والسنة والسنية، قد احتوى من الآداب على لبابها، ومن المعاملات القلبية على مقاصدها، فجاء كتاباً تقوى به أنوار الإيمان واليقين، وتعرف به آداب العبودية اللائقة بين يدي رب العالمين.

ولعظم شأنه وجلالة أمره توالى عليه الشروح والإيضاحات، فكتب أئمة أهل السنة والجماعة في استخراج درره المطولات والمختصرات، ومن الأخيرة شرح الشيخ المحدث الحافظ الورع التقي الزاهد محمد حياة السندي المدني الذي «أفنى عمره في خدمة الكلام المصطفوي» أسكنه الله تعالى أعلى فراديس الجنان، فقد سهّل به صعب عباراته، وحل به رموز إشاراته، فقرب بذلك معاني الحكم إلى جميع الأذهان، وذلل قطوفها فصارت دانية لكل من يريد السلوك إلى الملك الديان، فالله نسأل أن ينفع به كل من يريد الاستقامة على سنن المهتدين، وأن يروي به القلوب المتعطشة إلى معاني الإخلاص واليقين.

كتبه

نزار حمادي

ترجمة موجزة للشيخ العارف بالله ابن عطاء الله السكندري

عرّف به الشيخ أحمد زروق في شرحه الخامس عشر على الحكم فقال: «هو الشيخ الفقيه الإمام العالم العامل تاج الدين وترجمان العارفين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن عيسى بن الحسين بن عطاء الله الجذامي نسباً المالكي مذهباً الإسكندري داراً القرافي مزاراً الصوفي حقيقة الشاذلي طريقة، أعجوبة زمانه، ونخبة عصره وأوانه. كان مفتياً في المذهبين، وإماماً في الفنين، بل هو الذي قال القائل في مثله:

حلف الزمان ليأتين بمثله حنث يمينك يا زمان فكفر
وقال ابن فرحون في الديباج: «هو الإمام المتكلم الشاذلي. كان جامعاً لأنواع العلوم من تفسير وحديث ونحو وأصول وفقه وغير ذلك وله تأليف مفيدة منها التنوير في إسقاط التدبير والحكم.

كان رحمه الله تعالى متكلماً على طريقة أهل التصوف، واعظاً انتفع به خلق كثير وسلكوا طريقه. وكان شاذلي الطريقة ينتمي للشيخ أبي الحسن الشاذلي، وأخذ طريقه عن أبي العباسي المرسى رحمته الله عن الشيخ أبي الحسن رحمته الله. وكان أعجوبة زمانه في كلام التصوف وله نظم حسن في الوعظ»^(١).

قال الذهبي: «كانت له جلالة عظيمة، ووقع في النفوس، ومشاركة في

(١) «الديباج المذهب» (ص ١٣١).

الفضائل، وكان يتكلم بالجامع الأزهر فوق كرسي بكلام يروّح النفوس».

من مؤلفاته:

- التنوير في إسقاط التدبير.
- لطائف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن.
- مفتاح الفلاح في كيفية الذكر والخلوة وغير ذلك.
- تاج العروس.
- الحكم.

وفاته:

قال الشيخ جمال الدين ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة في وفيات سنة ٧٠٩هـ: «وفيها توفي الشيخ القدرة العارف بالله تعالى تاج الدين أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري المالكي الصوفي الواعظ المذكر المسلك، بالقاهرة في جمادى الآخرة، ودفن بالقرافية، وقبره معروف بها يقصد للزيارة. وكان رجلاً صالحاً عالماً يتكلم على كرسي ويحضر ميعاده خلق كثير، وكان لوعظه تأثير في القلوب، وكان له معرفة تامة بكلام أهل الحقائق وأرباب الطريق، وكان له نظم حسن على طريق القوم، وكانت جنازته مشهودة حفلة إلى الغاية»^(١).



(١) (٢٢٥/٨) دار الكتب العلمية تقديم وتعليق محمد حسين شمس الدين.

ترجمة موجزة للشيخ محمد حياة السّندي^(١)

هو «العلامة المحدث الفهامة، حامل لواء السنة بمدينة سيد الإنس والجنة»^(٢): محمد حياة بن إبراهيم السّندي الأصل.

«كان من العلماء الربانيين، وعظماء المحدثين، قرّن العلم بالعمل، وزان الحسن بالحلل. شدّ حزامه على درس الحديث النبوي، وأفنى عمره في خدمة الكلام المصطفوي، وكان يعظ الناس قبل صلاة الصبح بالمسجد الشريف، وانتفع به خلق كثير من العرب والعجم، وأقبل عليه أهل الحرمين ومصر والشام والروم والهند بالاعتقاد والانقياد»^(٣).

«وكان ورعاً متجرداً منعزلاً عن الخلق إلا في وقت قراءة الدروس، مثابراً على أداء الجماعات في الصف الأول من المسجد النبوي»^(٤).

«عاش عيشة مرضية، ولقي الله سبحانه يوم الأربعاء السادس والعشرين من صفر سنة ١١٦٣ هـ ودفن بالبقيع»^(٥).

أخذ العلم عن الشيخ الإمام العالم العامل العلامة المحقق المدقق

(١) للتوسع في ترجمته ينظر: «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» محمد خليل بن علي المرادي (٣٤٦/٤) دار ابن حزم؛ «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» للحسين للحسيني (ص ٨١٥) فهرس الفهارس للكتاني (١/٣٥٧).

(٢) قاله المرادي في «سلك الدرر» (٣٤/٤).

(٣) قاله القنوجي في «أبجد العلوم» (١٦٩/٣).

(٤) قاله في «سلك الدرر» (٣٤/٤).

(٥) قاله القنوجي في «أبجد العلوم» (١٦٩/٣).

النحرير الفهامة أبو الحسن نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي^(١) الأصل والمولد، الحنفي نزيل المدينة المنورة المتوفى سنة (١١٣٨هـ) وهو صاحب الحواشي الستة على الكتب الستة والحاشية على مسند الإمام أحمد وغيرها. «وجلس الشيخ محمد حياة مجلس شيخه أبي الحسن المذكور بعد وفاته أربعاً وعشرين سنة»^(٢).

وقد أخذ صاحب الترجمة علم الحديث وأمهات كتب السنة رواية ودراية عن الشيخ عبد الله بن سالم المكي بأسانيده المتصلة إلى أصحابها، وأجازه في جميعها، وقد ذكرها العلامة محمد حياة السندي في رسالة على النحو التالي: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، والجامع الكبير للترمذي، والسنن الصغير للنسائي، وسنن ابن ماجه، ومسند الدارمي، وسنن الدارقطني، ومسند الإمام أبي حنيفة، وموطأ الإمام مالك، ومسند الإمام الشافعي، ومسند الإمام أحمد، ومسند الطياليسي، ومعجم الصغير للطبراني، ونوادر الأصول للحكيم الترمذي، وسنن البيهقي ودلائل النبوة له أيضاً، وشرح معاني الآثار للطحاوي، والأربعين النووية، والمصابيح للبغوي، والجامع الكبير والصغير للجلال السيوطي، والحديث المسلسل^(٣).

ترك الشيخ محمد حياة السندي جملة من الكتب والرسائل النافعة، ذكر بعضها صاحب «سلك الدرر» كشرح الترغيب والترهيب للحافظ المنذري، وشرح الأربعين النووية، وشرح الحكم الحداية التي صنفها الشيخ عبد الله بن علوي حداد، ثم قال المرادي: «وله رسائل آخر لطيفة وتحقيقات عجيبة منيفة»^(٤).

(١) انظر ترجمته في: «سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر» محمد خليل بن علي المرادي (٦٦/٤) دار ابن حزم، ط ٣، ١٤٠٨هـ.

(٢) انظر: «الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام» (ص ٨١٥).

(٣) الرسالة تقع ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية بتونس رقم (٨٤٨٤).

(٤) «سلك الدرر» (٣٤/٤).

من وصاياه النفيسة ومواعظه البليغة:

«ينبغي للإنسان أن يتعلم أولاً ما يصحح به اعتقاده، ثم يتعلم ما يقدر به على تحصيل ما يحبه الله تعالى من الأعمال والأحوال، واجتناب ما يكرهه من الأفعال، ثم يجتهد في إتيان المأمورات وترك المنهيات خالصاً لوجه رب المخلوقات، ويبالغ في التوبة والاستغفار من جميع الخطيئات، ويرى نفسه أحقر الموجودات، ويعلم أن مولاه مطلع عليه في جميع الحالات، ويذكر الموت وما يلاقي عنده من السكرات، والقبر وما فيه من الصعوبات وليتزوّد له أحسن الحسنات، ويذكر النشور من القبور وما يلاقي بعده من الأهوال المنكرات، ولا ينسى الحساب وإعطاء الكتاب، ورجحان الحسنات والسيئات، ولا يغفل عن النار التي فيها أشد العقوبات، وليتخذ جنة من أعمال الخير تقيه حرها وشرها يفضل خال المصنوعات، وليتشوق إلى الجنة التي فيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين، ففيها فليتنافس المتنافسون، ولمثلها فليعمل العاملون، وإليها فليشتاق المشتاقون. اللهم نجنا من نعمتك، وأدخلنا جنتك برحمتك، وصل وسلم على أشرف خلقك.

كتبه محمد حياة السندي المدني عفى الله عنه تعالى»^(١).

نموذج من خط الشيخ محمد حياة السندي:

من حسن الحظ عثرنا بفضل الله تعالى على أنموذج من خط الشيخ محمد حياة السندي بعد الرسالة التي تضمنت أسانيده في كتب الحديث النبوي الواقعة، وتوجد تلك الرسالة ضمن مجموع بالمكتبة الوطنية برقم (٨٤٨٤)، ومكتوب الشيخ السندي هو إجازة لأحد تلاميذه ممن حضر عنده قراءة قطعة من صحيح البخاري، كتبها سنة وفاته رحمه الله تعالى.

(١) (ورقة ١١٦/) ضمن مخطوط رقم (٨٤٨٤) بدار الكتب الوطنية تونس.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمدًا لا يُتَمَّ بعُلوِّ جلاله وِعَظَمَ كَماله في جَماله وَاَوْضالِه
وَاَفْضالِ الصَّلَاةِ وَاَرْكَائِهَا السَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ
أَمَّا بَعْدُ فَهَذَا حَضَرَ عِنْدِي فِي رَأَةِ الْبُخَارِيِّ مِنْ أَوَّلِ الْيَا^{سَاطِ} أَمَّا
كِتَابُ الْبُخَارِيِّ فَاجْزَأَتْهُ مِنْ كَلَمَةٍ وَبَيَّانٍ هَذَا الْوَرَقُ اسَاسُ^{عَا}
وَبِغَيْرِهِ بِالْزُفَا الْمَعْلُومِ عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ هَدَاهُ مَوْلَاهُ مَا
يُوجِبُ رِضَاَهُ وَوَقَاهُ عَمَّا أَرَادَهُ وَارْجُوهُ أَنْ لَا يَنْشُأَنَّ
دَعْوَاهُ كُتِبَتْ بِمُحَمَّدٍ حَيُّو السَّنَدِي^{الْمَدِينِي} فِي الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ أَلْفًا وَتَمَّتْ^{بِخَاتَمِي}

المخطوط المعتمد:

اعتمدت بتوفيق من الله تعالى في تحقيق شرح الحكم العطائية على مخطوط دار الكتاب الوطنية رقم (١٥٢٩٤) وهو عبارة عن مجموع يحتوي على الشرح المذكور كقطعة أولى، تقع بين الورقة الأولى والورقة ٥٠، أما القطعة الثانية فهي شرح الحكم الحدادية للشيخ محمد حياة السندي أيضاً، نرجو أن يكون محل عنايتنا مستقبلاً.

وميزة هذه النسخة أنها من خط أحد تلاميذ الشيخ محمد حياة السندي وممن كانوا يحضرون مجالس علمه، بل ونال الإجازة منه كما ذكر، وهذا النسخة الشيخ يسمى عبد السلام ابن الحاج علي كما ذكر أيضاً في آخر النسخة، وهي متقونة لحد بعيد، ولذا كانت كافية في تحقيق هذا الكتاب النافع. وفيما يلي نماذج من المخطوط المعتمد.

بسم الله الرحمن الرحيم وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ولم

يكن له الهوى انطق اولياءه بالحق واخرجنا الى الدنيا من جوارح الملوك
والصلاة والسنة على حبسها الذي جاء على الايام والمصر. والله وحده والله
خير رابع. اما بعد فقد اشرح وجيز على حشر العارفين تاج الدين احمد محمد
ابن مبر الكريم بن عكا الله كما سكت في الشاهد في فاسر الله في الذي
كلما تذل على كماله وافواله تذل على احواله وبالله يتفهم عن عيانه قال
بسم الله الرحمن الرحيم اختفى بالمسئلة عن العزلة اذ لم يكن في معنى
من عظمة الله عز وجل على العما. نقصا الرجا عندو بعد الزلايل من علامة
اعتماد العامل على عمله الصالح الذي يرحى به الثواب نقصا في جود
الله ونعمته الذي ليس الرجا وافضاله واحكامه بمخلقة بالعليل في
عكايه على عبده بمحض الفضل عند صدور رايته من اذ لو كان وحده في
فضله لمقتضى ان الله تعالى لما اختل عند وجود الزلايل وفي لغوا لاعتماد شوا
من رايته ان المنافع في كمال التوحيد عند الله التوحيد والكرام يرحى جود
لكماله في ذاته وصفاة وافعاله وفقد الايات في الطمع في احسانه بمقتضى
فضله عند حصول الكرامة والمقوق من عقابه بمقتضى عدله عند رايته. س
بالمعصية ونقص العارف الربيع لا الى عمله ارادتك التوحيد عن العاين
التي تاتى مع اقامة الله المحكم في امور كلما اياك في راسد
التي لا تحال في شىء من الشهوة الخفية الخافتة في نفسك رايته التي
تشتبه في سوي ما اقامها في بارئها المحكم من رايته في التي اياح مباشرتها
لعباده وجعل في رجا المسببات بها حكما لا تحصى وفوائد لا تستقصى
وارادة غير ما فعله المحكم شجرة خفية من النفس المحبولة على المحالفة
تريد القرار من قيد راسد التي في الحقيقة موجبات لزيادة العارف
عند اصل رايته ولا اشتغال بتوكلها وكفى بالمرء شرا ان ينظر اليه بالاصابع

والله اعلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله الذي أنطق أوليائه بالحكم، وأجرى على ألسنتهم جوامع الكلم، والصلاة والسلام على حبيبه الذي حباه أعلا الآلاء والنعم، وآله وصحبه وأمه خير الأمم.

أما بعد، فهذا شرح وجيز على حكم العارف تاج الدين أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري الشاذلي، قدّس الله سره، الذي كلماته تدل على كماله، وأقواله تدل على أحواله، وبيانه يكفي عن عيانه.



قال: (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

اكتفى بالبسملة عن الحمدلة؛ إذ هي حَمْدٌ معنّى.

(مِنْ عِلَامَةِ الْإِعْتِمَادِ عَلَى الْعَقْلِ: نُقْصَانُ الرَّجَاءِ عِنْدَ وُجُودِ الزَّلَلِ)

أي: من علامة اعتماد العامل على عمله الصالح الذي يرجى به الثواب نقصان رجاءه في جود الله - الذي ليس إنعامه وأفضاله وإكرامه بمعللة بالعلل، بل هي عطاياه على عبيده بمحض الفضل - عند صدور الإثم منه، إذ لو كان رجاءه في فضله لمقتضى ذاته تعالى لما اختل عند وجود الزلل منه.

وفي هذا الاعتماد شوب من الإشراف المنافي لكمال التوحيد عند أهل التفريد. والكريم يُرَجَى جُودُهُ لكمالهِ في ذاته وصفاته وأفعاله.

وهذا لا ينافي الطمع في إحسانه بمقتضى فضله عند حصول الطاعة، والخوف من عقابه بمقتضى عدله عند الابتلاء بالمعصية.

ونظرُ العارف إلى ربه، لا إلى عمله.



(إِرَادَتُكَ التَّجْرِيدَ) عن العلائق التي لا تُكْرَهُ شرعاً (مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ) الحكيم في أموره كلها (إِيَّاكَ فِي الْأَسْبَابِ) التي لا تخالفُ شُرْعَهُ (مِنَ الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ) الكامنة في نفسك الأتارة التي تشتهي سوى ما أقامها فيه بارئها الحكيم من الأسباب التي أباح مباشرتها لعباده وجعل في ربط المسببات بها حكماً لا تحصى وفوائد لا تستقصى، وإرادة غير ما فعله الحكيم شهوة خفية من النفس المجبولة على المخالفة، تريد الفرار من قيد الأسباب التي هي في الحقيقة موجبات لزيادة العرفان عند أهل الإيقان والاشتهار بتركها، وكفى بالمرء شراً أن يشار إليه بالأصابع. والأسباب عند أولي الألباب سلم الترقى إلى قرب ربّ الأرباب، وإنما حُجِبَ المحجوبون بها لنظرهم إلى ظواهرها غافلين عن حقائقها.

(وإِرَادَتُكَ الْأَسْبَابَ) التي توجب الإعراض عن ربّ الأرباب لكثير من الناس (مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِيَّاكَ فِي التَّجْرِيدِ) عنها لتتفرغ لعبادته ومراقبته ومشاهدته، وتكون من ملازمي حضرته (انْحِطَاطٌ عَنِ الْهِمَّةِ الْعَلِيَّةِ) إذ أولوا الهمم العالية يريدون دوام الحضور مع من يعلم ما في الصدور، وقلّ ما يحصل ذلك لأرباب الأسباب، ويرضون بما أقامهم فيه مولاهم، ويرون أنّ ذلك هو الأولي لهم، والعبدُ يرضى بما يتصرفه فيه سيّده.

وهذا لا ينافي استعمال الأسباب التي أباحها الله وأحبها.

والحاصل أنّ العبد ينبغي له أن يرضى بما أقامه الله فيه من الأسباب والتجريد، ويسعى في المسابقة إليه، ولا يتمنى غير ما لديه.



(سَوَابِقُ الْهِمَمِ) أي: الهمم السابقة التي تقع بها خوارق العادات (لَا تَخْرُقُ أَسْوَارَ الْأَقْدَارِ) لأنّ أسوار أقدار الله أجلّ من أن تنخرق بها، بل إنما تقع خوارق العادات بها إذا ساعدتها.

فإذا كان هذا حال سوابقها فكيف حال أراذلها؟!

فلا ينبغي للعبد أن يريد غير ما أَرَادَهُ مولا، بل يرضى بما أولاه.



(أَرْحَ نَفْسَكَ) المشفوقة (مِنْ) أنواع عذاب (التَّذْبِيرِ) فيما ضَمِنَ لك مولاك، الإراحة منه جَنَّةً عاجلة، والانهماك فيه نارٌ عاجلة.

(فَمَا قَامَ بِهِ غَيْرُكَ) نِيبَةً (عَنكَ) هو الله الذي تكفل بأرزاق عباده (لَا تَقُمْ بِهِ لِنَفْسِكَ) إذ قيام القادر يغني عن قيامك، بل قيامك عِبْتُ وسوء أدب معه، واتهام له فيما تكفل، فتأمل ولا تتعجل.



(اجْتَهِدْكَ) بقلبك وقالبك (فِيمَا ضَمِنَ لَكَ) من أمور معاشك (وَتَقْصِرْكَ فِيمَا طَلَبَ مِنْكَ) من زادك لمعادك وسعيك في مرضاة مالِك إرشادك والتجنب عن مساخط من يهينك بإبعادك (ذَلِيلٌ) واضح وبرهان ظاهر (عَلَى انْطِمَاسِ الْبَصِيرَةِ) التي هي للقلب كالبصر للعين (مِنْكَ) إذ لو كانت بصيرتك متنوّرة لاجتهدت فيما طَلَبَ منك من مرضاته، ولم تقصّر في التبعّد من مواضع سخاطته، وتوكلت فيما ضَمِنَ لك من رزقك عليه، وفوّضت أمرك كلّهُ إليه، فتبصر ولا تتقصّر.



(لَا يَكُنْ تَأَخَّرُ أَمْدٌ) غاية (الْعَطَاءِ مَعَ الْإِنْحَاكِ فِي الدُّعَاءِ) الذي قال الكريم فيه: ﴿ادْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] (مُوجِباً لِإِيَّاسِكَ) عن إسعاف مرادك وإنجاح حاجتك مع فقرك وفاقتك، (فَهُوَ ضَمِنَ لَكَ الْإِجَابَةَ) التي قال فيها: ﴿أُجِيبْ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَاكَ﴾ [البقرة: ١٨٦] (فِيمَا يَخْتَارُ لَكَ) فإنه العليم الحكيم، يعلم ما لا تعلم، فتارة يكون اختياره في إعطاء عين المدعو في الدنيا، وتارة في ادخار الثواب ليوم المآب، وتارة في دفع الشر مثل المدعو في النفع أو أزيد^(١)، (لَا فِيمَا تَخْتَارُ لِنَفْسِكَ) فإنك جهول عجول، كثيراً ما يكون حَتْفُكَ في إنجاح حاجتك في الدنيا.

(١) وقال رسول الله ﷺ: «مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا مَا لَمْ يَدْعُ بِإِلَهِمْ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ» أخرجه الترمذي في الدعوات، باب في انتظار الفرج.

(و) ضمن الإجابة لك (في الوقت الذي يُريدُ) بحكمته الباهرة (لا في الوقت الذي تُريدُ) والأمر على ما يريد، لا على ما تريد، فإذا أخرجَ حاجتك فلا تُسئ الظنَّ به، بل لَمْ نفسك العجول الجُهول، وإبْكِ على نقصانِك في إيقانك.



(لا يُشْكِكُكَ في) صدقِ (الوَعْدِ) الذي وَعَدَهُ مَنْ لا يُخلفُ الميعاد (عَدَمُ وَقُوعِ المَوْعُودِ بِهِ وَإِنْ تَعَيَّنَ) في زعمك الضعيف (زَمَنُهُ) أي: زمنُ وقوعه؛ (إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ) التشكك فيه (قَدْحاً في بَصِيرَتِكَ، وإِخْماًداً لِنُورِ سِرِّيَّتِكَ) لأنَّ الشك في صدق وَعْدٍ من لا يُخلفُ الميعادَ يُوهِمُ تكذيبه فيه، وفِعْلُ ما يُوهِمُ تكذيبه مُوجِبٌ لإطفاء النور الإيماني الكائن في القلب الذي وقع منه هذا الشك.

ثم منشأ هذا الشك ضَعْفُ الإيقان في الإيمان، وَعَدَمُ العرفان بشروط ما وَعَدَ به الرحمن، فهو يُنَجِزُ وَعْدَهُ في الزمن الذي شاء له، لا في الآن الذي تَخَالُهُ.



(إِذَا فَتَحَ) الفَتَّاح الذي يفتح للسالكين وجوه العرفان حتى يصير الغَيْبُ عندهم كالعيان (لَكَ وَجْهَةً) طريقةً (مِنْ التَّعَرُّفِ) إليه بأن أوضح لك دلالة مخلوقاته على كمالاته، وكشف لك أسرار مكنوناته، وأبرز لديك حقائق مخبياته (فَلَا تُبَالٍ) بوسوسة رئيس أهل الضلال بأنك إن لم تقابلهُ بكثرة أحسن الأعمال لا يَمُنَّ عليك بإتمام الإفضال، (وَإِنْ قَلَّ مَعَهَا) أي: مع تلك الوجهة من التعرف (عَمَلُكَ) الصالح في شكرها؛ (فَإِنَّهُ) تعالى (مَا فَتَحَهَا لَكَ إِلَّا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَتَعَرَّفَ إِلَيْكَ) يصير معروفاً لديك كأنك تشاهد ذاته مع صفاته عياناً، وتزداد به إيماناً، وتتضاعف به إيقاناً، بمجردُ جُودِهِ وَقَضِيلِهِ، لا لأنَّ عَمَلَكَ عِلَّةٌ لذلك، أو يقابل شكر ما هنالك؛ لأنَّ عطايا الوهاب أعلى من أن تنوط بالعلل، وأَجَلُ من أن تكافئ بالعمل، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [النحل: ١٨] أي: فضلاً من أن تؤدُّوا شكرها.



(أَلَمْ تَعْلَمْ) أيها المسكين (أَنْ التَّعَرَّفَ) إليك (هُوَ مُؤَرِّدُهُ عَلَيْكَ) بمجرد فضله وكرمه على قَدْرِ كماله وعظمته، (وَالْأَعْمَالُ أَنْتَ مُهْدِيهَا إِلَيْهِ) لتنال ما لديه؟!.

(فَأَيْنَ مَا تُهْدِيهِ إِلَيْهِ) من الأعمال الصادرة منك بإرادته وقدرته على قَدْرِ حالك، مع أنه هو الذي أخرجك من العدم، وغمسك في أبْحَرِ النِّعم، وَوَقَاكَ من النِّقم، وَوَفَّقَكَ لهذه الأعمال (مَمَّا هُوَ مُؤَرِّدُهُ عَلَيْكَ) من التعرُّفِ إليك بِمَخْضِ رأفته ورَحْمته على قَدْرِ عظمته؟! أي: لا مقارنة بين الأمرين، كما لا مشابهة بين العبيد والملك المجيد، بل بينهما بؤْنٌ بعيد.

لو كانت المكونات كلها في أعلى مراتب العبادة دهرًا أدهر لم تساو عبادتها في مقابلة ما هو مانٌّ به عليها جناح بعوضة، فاقْبِضْ عنانك عن هذا الخيال، وتقرَّبْ إليه بما تقدر عليه من الأعمال، مع عدك نفسك من أهل التقصير والإخلال.



(تَنَوَّعَتْ أَجْنَاسُ الْأَعْمَالِ) التي يُقَرَّعُ بها بابُ التقَرُّبِ إلى ذي الجلال والجمال، من بدنيٍّ مَخْضٍ، وماليٍّ صَرَفٍ، ومركبٍ منهما؛ (لِتَنَوَّعِ) أي: لتحصيل أنواع (وَإِرَادَاتِ الْأَحْوَالِ)؛ إذ في كل عَمَلٍ وإِرَادٍ خاصٍّ، وترقُّ على حِدة.

أو تنوعت أجناسها لتنوع وإراداتها، فيشتغل صاحب الأحوال في كل حالٍ بما يناسبه، إذ الذي يليق بحال القَبْضِ غير الذي يليق بحال البَسْطِ، والذي يليق عند التجلي بالجلال غير الذي يليق عند التجلي بالجمال، كما هو معلوم عند أرباب الكمال: الأسرار أطوار.



(الْأَعْمَالُ) الصالحة الصادرة من الأعضاء (صُورٌ) كصُور (قَائِمَةٌ) لا أرواح فيها، (وَأَزْوَاحُهَا) التي تحيي بها وتصير قابلة لترقي عابليها بها إلى الحضرة العلية (وُجُودٌ سِرٌّ إِخْلَاصٌ فِيهَا) فمن أخلصها عن شوائب الشركة

ونزّها عن النظر إلى الخلقة فقد أحيّاها، وتسبّبت له لنيل ما هو موعود عليها.

ومن خلطها بالأغراض وابتلي فيها بالرياء الذي هو أشدّ الأمراض صارت وبّالاً عليه، وهو كالحمّار يحمل أسفاراً وإن قطع لتحصيلها أسفاراً، ولم يزد بها إلا إصراراً، وأيُّ شيء ما سوى الجبار حتى يُجعل له قسط في عبادة القهار؟! وإنما يتلى به المحجوبون بالآثار عن الفاعل المختار.



(اذْفِنْ) أيها السالك أحسن المسالك (وُجُودَكَ فِي أَرْضِ الْخُمُولِ) أي: اجعل نفسك كأنها ليست بشيء يُعْبَى به، واقطع شوكة شهوتها لشهرتها بسكين السكون، وأدِرْ عنان ركونها إلى المُجُون إلى الاشتغال بأعلى الشؤون، وسجل عليها بأنها متصفة بكل نقصان، وأقم اعوجاجها بسوِّط الهوان، ولا تمكّنها من دعوى الكمال والعرفان قبل الأوان، واجتهد في تخلّيتها عن قدرها وكدرها، وخَفْ من مَكْرِها وغَدْرِها، وبالغ في تحليّتها بما يزيد في رفعة قدرها.

(فَمَا نَبَتْ مِمَّا لَمْ يُدْفَنْ) بَذَرُهُ أَوْ غَرَسَهُ (لَا يَتِمُّ نِتَاجُهُ) وَلَا يُرْجَى ثمره لأنه ينهلك قبل ذلك. فمن طمع في الاشتهار والإرشاد قبل أن يتأهّل لذلك بالخمول وإحكام الفروع والأصول لا يتم أمره، وَلَا يُرْجَى نَفْعُهُ، بَلْ يَنْهَلِكُ فِي الْمِهَالِكِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى مَا هُنَالِكَ.



(مَا نَفَعَ الْقَلْبَ) المحجوب عن الغفّار بالأغيار (شَيْءٌ مِثْلُ عُرْلَةٍ) عن خلطة الخلقة (يَدْخُلُ بِهَا) فِي (مَيْدَانِ فِكْرَةٍ) يُزِيلُ بِهَا غَيْرِيَةَ الْأَغْيَارِ، وَيُجْرِي أفراس غَزْمِهِ فِي مضمّار الأسرار، ليفوز بالأنوار، ويجلي مرآة قلبه عن أكدار الآثار.



(كَيْفَ يُشْرِقُ) كَيْفَ يَصِيرُ ذَا نُورٍ (قَلْبٌ؛ صُورُ الْأَكْوَانِ مُنْطَبِعَةٌ فِي

مِرَآة) بَوْضُفِ الغيرية، والقلب المحجوب بانطباعها فيه بوصف الغيرية لا يتأهل للإشراق بالأنوار الربانية والأسرار الصمدانية والحقائق الإلهية؛ إذ هما ضدان لا يجتمعان.

فمن أراد تأهله لذلك فليزل ما سوى الله عن قلبه، وليطهره عن دنسه، وليوجهه إلى مطلبه، وما جعل الله لرجل من قلبين، وليبتل إليه تبتلاً، وكفى به وكياً، حتى يذهب غيرة الغير عن قلبه، ويصير دليلاً إلى ربه، وموجباً ازدياده إلى قربه.

(أَمْ كَيْفَ يَزْتَجِلُّ إِلَى اللَّهِ) الذي لا يصل إليه إلا الطاهرون عن أقدار الأوزار وأدناس الشهوات (وَهُوَ مُكَبَّلٌ) مقيد (بِشَهَوَاتِهِ) إذ المقيد بها لا يتأتى له الارتحال إلى ذي العزة والجلال.

فمن أراد الوصول إليه والفوز بما لديه فليخلص نفسه عن أكبالها، وليخرجها عن قلبه ولا يلتفت إليها، وليهجرها هجران الصادقين في هجرها لضررها، وأي ضرر أعلى من كونها مانعة من السلوك إلى ملك الملوك؟! وهو ليس بسهل حتى يرومه البظالون المفلسون، وإنما هو بذل الأرواح والأبدان في رضى الرحمن، ولذا لا يفوز به إلا الصادقون.

(أَمْ كَيْفَ يَطْمَعُ أَنْ يَدْخُلَ) فِي (حَضْرَةِ اللَّهِ) الذي لا يتأهل لدخول حضرته الساهون اللأهون، وإنما يتأهل له المتيقظون الصالحون، (وَهُوَ لَمْ يَتَطَهَّرْ) بماء التذكر واليقظ (مِنْ جَنَابَةِ غَفَلَاتِهِ) فكما لا يطمع من عليه الجنابة الظاهرية في دخول نحو الصلاة لعدم أهليته لذلك، كذلك ينبغي أن لا يطمع في دخول حضرة الحق من عليه جنابة الغفلات لعدم تأهله لذلك، فمن طمع في الدخول قبل تطهره طرد من الباب، وجوزي بالبعاد، ولا يفوز بالوصول إلا من تعلق بذيل التذكر والذكر المقبول.

(أَمْ كَيْفَ يَزْجُو أَنْ يَفْهَمَ دَقَائِقَ الْأَسْرَارِ) الربانية التي لا تفهمها إلا القلوب النقية من دَرَنِ السيئات (وَهُوَ لَمْ يَتَّبِ) توبة نصوحاً (مِنْ هَفَوَاتِهِ) فإن رَيْنَهَا الذي يتركب على قلوب أربابها يحجب عن فهم دقائق الأسرار وتجلي النوار، فمن أراد فهمها فليصف سريره عن سواد سيئاته، وليطهر قلبه

عن أقدار زلاته، إذ لم تُفهم ما لم تُصقل مرآة القلوب عن أرجاس الذنوب، وتوجه إلى علام الغيوب.



(الكون) وهو ما سوى الله تعالى (كله ظلمة) يُظلم قلب من يتعلق بظاهره، ويحجب عن ظهور الأنوار فيه، ويكدر مرآته بأنواع الأوساخ، ويحول بينه وبين أن يتجلى له حقائق الأسرار.

(وإنما أنارته) جعله منوراً (ظهور الحق) أي: ظهور آثار صفاته (فيه) إذ ما من ذرة إلا وهي تدل على أن بارئها جليل الذات عظيم الصفات علي الأفعال ذو الجمال والجلال.

وليس المراد من ظهوره فيه حلوله فيه واتحاده به كما يظن ذلك أكفر الكفرة، تعالى الله من أن يحل في الحادث أو يتحد به. وإنما المراد من ظهوره فيه جعله دليلاً عليه.

(فَمَنْ رَأَى الْكَوْنَ وَلَمْ يَشْهَدْهُ) تعالى (فيه) كما أشير إلى ذلك بقوله: ﴿وَمَنْ أَرَادَ فِي السَّمَاءِ إِلَهًا وَفِي الْأَرْضِ إِلَهًا﴾ [الزخرف: ٨٤] (أَوْ عِنْدَهُ) كما أشير إليه بقوله: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]، ويقول: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ٤] (أَوْ قَبْلَهُ) كما أشير إليه بقوله: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ﴾ [الحديد: ٣] (أَوْ بَعْدَهُ) كما أشير إليه بقوله: ﴿وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

وشهوده فيه أن يشاهده مع رؤية الكون لكمال فهمه بدلالته على خالقه. وشهوده عنده - أن يشاهده عقب رؤية الكون - نوع قصور في فهمه بدلالته على بارئه. وشهوده قبله أن يشاهده قبل رؤية الكون لأن وجود الفاعل قبل رؤية المفعول، وهذا شهود العارفين الذين يعرفون الأثر بالمؤثر. وشهوده بعده أن يشاهده بعد رؤية الكون لقصور فهمه بدلالته على موجدّه، وهذا شهود غالب المستدلين بالأثر على المؤثر.

(فَقَدْ أَعْمَوْهُ) فاته (وجود الأنوار) الكامنة في الكون (وَحُجِبَتْ عَنْهُ شُمُوسُ الْمَعَارِفِ) الألوية الموضوعة في الكون (بِسُحْبِ الْآثَارِ) الظاهرة الحاجية

عن شمس المعارف الكائنة في بواطنها، كحجب سحب السماء شمسها .
وفيه إيماء إلى أنّ المعارف الإلهية الموضوعة في صفحات الكون في
ظهورها كالشمس، لكن لا يشاهدها الناظر إلى آثار الأغيار الجاهل عما
تحتها من الأسرار . وأما العارفون فيشاهدون الأسرار في الآثار، ويزدادون
بشهودها في النوار، حتى لا يمنعهم شهودها عن شهود خالقها، بل يرونها
أنموذجاً عن مالِكها كأنها هو، وليست حقيقةً إيّاه، تعالى الله عن ذلك
وحاشاه، فافهم سرّ هذه القضية إن كنت أهلها .



(مِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى وُجُودِ قَهْرِهِ) ما سواه (سُبْحَانَهُ أَنْ حَجَبَكَ عَنْهُ) عن
شهوده (بِمَا لَيْسَ بِمَوْجُودٍ مَعَهُ)؛ إذ هذا الوجود العارضي الذي حصل
للمخلوق بَقِيضٍ فَضْلِهِ كَلَّا وجود، فوجوده كعدمه، وليس المراد أنه معدوم
حقيقة؛ إذ ذلك مخالف لما تواطنت عليه النقول والعقول، ومعتقده خارج عن
دائرة أهل العقل .



(كَيْفَ يُتَصَوَّرُ) في العقول الصافية (أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ) سواه (وَهُوَ الَّذِي
أَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ) وجعله أوضح دليل عليه!

(كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ) بإظهار آثار صفاته
الدالة عليه أظهر دلالة (فِي كُلِّ شَيْءٍ ١٩) فما من شيء إلا وهو ينادي بلسان
الحال أنه دليل ذي العزة والجلال، وأنموذج صاحب الجمال .

(كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ) من الأشياء (وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَ لِكُلِّ شَيْءٍ ١٩)
كان الله تعالى موجوداً ولم يكن معه موجود غيره، وكانت ماهيات المخلوقات
معلومة عنده بعلمه القديم، فتجلّى لها لإظهار آثار صفاته، فاكسبت هذا الوجود
منه، ودلّت عليه دلالة الشمس على النهار، وأعلم كَلَّا أنه خالقه فعرفه، ﴿وَلَنْ يَنْ
شَقَّ إِلَّا يَسْجُ بِحَبْوِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فافهم إن كنت من أهل الأسرار .

(كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ وَهُوَ الظَّاهِرُ) بوجوده الذاتي (قَبْلَ

وُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ) سواء؟! من وجوده وجوده فكيف يمنع شهوده شهوده؟!.

(كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ وَهُوَ أَظْهَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) بذاته العلية وصفاته الجليلة وأفعاله السنية؟!.

(كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ وَهُوَ الْوَاحِدُ) في ذاته وصفاته وأفعاله (الَّذِي^(١) لَيْسَ مَعَهُ) في الوجود الذاتي (شَيْءٌ) سواء؟! بل وجود ما عداه مكتسبٌ من عطاياه.

(كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ؟) إذ هو المخرُجُ إياك من العدم ومُتَبِّيك في الوجود، ومُرَبِّيك في كل لحظة، والقائم بأمرِك في كل آن.

(كَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ وَلَوْلَاهُ مَا كَانَ وُجُودُ كُلِّ شَيْءٍ؟) إذ لولا الفاعل لم يوجد الفعل.

أَيَا (عَجَباً كَيْفَ يَظْهَرُ الْوُجُودُ فِي الْعَدَمِ) الذي أوَّلُه عَدَمٌ ووجوده عَارِضِيٌّ قائم بإقامَةِ غيره؟! (أَمْ كَيْفَ يَتَّبِثُ الْحَادِثُ) أي: كيف يُجَكِّمُ للحدث بالثبوت (مَعَ مَنْ لَهُ وَصْفُ الْقَدَمِ؟).

والحاصل أن وجود الحق هو الوجود الأصلي الظاهر الباهر، ووجود ما سواه كالعدم بالنسبة إلى وجود ذي القَدَم، فصيرورة هذا حجاباً لذلك من العجب العجائب عند أولي الألباب. شمس الضحى لا يراها الأعمى لا لخفائها، بل لعدم قابلية رؤيته إياها.



(مَا تَرَكَ مِنْ) العمل على مُقْتَضَى (الْجَهْلِ شَيْئاً مَنْ أَرَادَ أَنْ يَخْذُثَ فِي الْوَقْتِ غَيْرَ مَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ فِيهِ) إذ له الأمر كله، وبيده الحكم، وله التصرف، وهو العليم الحكيم.

فمن أراد إحداث غير ما أَرَادَهُ فهو من الجاهلين الذين ينازعون -

(١) ليست في (أ).

لَجَهْلِهِمْ - رَبِّ الْعَالَمِينَ . ليس للعبد الدليل شركة، بل يجب عليه أن يسلم أمره تسليمًا، وَيُذْعِنَ لِحُكْمِهِ إكرامًا وتعظيمًا.

الفاعل المختار يفعل ما يختار، سواء تختار ذلك أو لا تختار، فلم تنازع لَجَهْلِكَ صَاحِبَ أَمْرِكَ!؟.



(إِحَالَتُكَ الْأَعْمَالَ) الصالحة - التي أحبتها الباري وأمر بها عباده ورغبهم فيها وجعلها أسبابًا لِنَيْلِهِمْ فوزهم في الأولى والأخرى - عند ابتلائك بالأشغال (عَلَى وجودِ الْفُرَاقِ) منها (وَمِنْ رُغُونَاتِ) حموقات (النَّفْسِ) المتكاسلة عن الطاعات، المتنفرة عن تحمّل مشاق ما يوجب القُرْبَ إلى رَبِّ الموجودات، المجبولة على الميل إلى الشهوات، فلا تُطْعَمُهَا في تسويقها، بل اجتهد في الأعمال عند تراكم الأشغال، وتبتّل إلى ذي الإكرام والإفضال بكريم الخصال. وكم من مسوّف فاته ما تمناه، ولا يدرك المرء كل ما يهواه. ولكل وقت عَمَلٌ مستغرقٌ له، فلا يمكن دَرْكُهُ إذا فات وقته.



(لَا تَطْلُبْ مِنْهُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ حَالَةٍ) لَا تُكْرَهُ شرعًا (لَيْسَتْ عَمَلُكَ فِيهَا سِوَاهَا)، وترى بجهلك أن استعماله إياك فيما سواها أجدر وأولى، وتزعم أن تحصيلها لا يتأتى من غير أخراج من هذه.

(فَلَوْ أَرَادَكَ) لِقُرْبِهِ (لَا سَتَقَمَلُكَ) فيما تهواه (وَمِنْ خَيْرِ إِخْرَاجٍ) من هذه بأن يجعلك راقبًا في درجات القُرْبَاتِ إلى ذي الإفضال حين انغماسك في بحور الأشغال، ويقبلها لك وسائل الكمال.



(مَا أَرَادَتْ هِمَّةٌ سَالِكٍ) ضعیف الهمّة (أَنْ تَقِفَ عِنْدَ مَا كُشِفَ لَهَا) من الأسرار والأنوار لظنها أنه غاية المقصود (إِلَّا وَنَادَتْهُ هَوَاتِفُ الْحَقِيقَةِ: الَّذِي تَطْلُبُ أَمَامَكَ) فلا تَقِفَ عند ما كُشِفَ لك، بل سِرْ إلى مطلوبك.

والسير إلى الله تعالى لا ينتهي أبد الآباد، ودرجات الترقّي إليه لا تُقْصَى

ولا تُخصَى، وكم من سالك شُغِلَ ببادئ الأنوار عن الأسرار، وبخوارق العادات عن أعالي الكرامات من المشاهدات، وظن أنه بلغ الغاية القصوى، ولم يعلم أن المقصود الأصلي غير ما رأى. ألا ترى أن الله تعالى يقول لأعرف خلقه ﷺ: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]؟.

(وَلَا تَبَرَّجْتَ) تبرزت (ظَوَاهِرُ الْمُكُونَاتِ) بزيتها وزخارفها المُلَهِيَةِ عن أسرارها (إِلَّا وَنَادَتْهُ حَقَائِقُهَا) بلسان أحوالها: (إِنَّمَا نُحْنُ) بظواهرنا (فِتْنَةً) نفتِنُ الأَعْمَارَ عن الأسرار، (فَلَا تَكْفُرْ) فلا تتعلق بظواهرنا ولا تغفل بنا عن ربِّنا، ولا تجعلنا شركاً مع مالكنا، بل غمض عينيك عن ظواهرنا، وَغُضْ بَفْهِمِكَ فِي أُبْحُرِ حَقَائِقِنَا، وَأَخْرِجْ مِنَّا دُرَرَ الْعُرْفَانِ وَلَالِي الْإِيْقَانِ، وَافْهَمْ مَا فِينَا مِنَ الْأَسْرَارِ، وَاتَّخِذْنَا سُلْماً لِلتَّرْقِيِ إِلَى قَرَبِ الْغَفَارِ. ظَوَاهِرُنَا حِجَابٌ، وَحَقَائِقُنَا مَوْصِلَةٌ إِلَى الْوَهَابِ.



(طَلَبُكَ مِنْهُ) مع ظنك أنك إن لم تطلب منه لم يعط (اتِّهَامٌ لَهُ) فيما ضَمِنَ وَوَعَدَ، وهو ذَنْبٌ عَظِيمٌ. واطلب منه إظهاراً لِفَقْرِكَ وَفَاقِكَ لديه، مع إيقانك أنَّ ما وعد للعبد لا محالة وَاصِلٌ إليه، والدعاء مخ العبادة لما فيه من إظهار الحاجة والفاقة الموجِبَ لِكَمَالِ التَّوَاضُعِ فِي الْعِبَادَةِ.

(وَطَلَبُكَ لَهُ غَيْبَةٌ مِنْكَ عَنْهُ) مع أنه أقرب إليك من حبل الوريد، وهو معك أينما كنت، افتح عين بصيرتك تراه عندك. متى غاب عنك حتى يطلب؟! ومتى فارقك حتى يُلْتَمَسَ؟! أنت حجاب لنفسك، فاخرج عنك تجده عندك.

(وَطَلَبُكَ لِغَيْرِهِ) الذي لا يرضى بطلبه (لِقَلَّةِ حَيَاتِكَ مِنْهُ) إذ هو مُقْبِلٌ إليك حَاضِرٌ لديك رَقِيبٌ عليك، فطلبك لغيره يدل على عدم حياتك منه؛ إذ لو استحييت منه لَتَوَجَّهْتَ بِكُلِّيَّتِكَ إِلَيْهِ، وأعرضت عن ما عده مُقْبِلاً إِلَيْهِ، وهل يُلْتَمَسُ إِلَى التُّرَابِ مع حضور رب الأرباب؟! أو هل يُقْبَلُ إِلَى الْخَرَابِ مع إقبال الوهاب؟! ألا يستحي العبيد أن يطلبوا غير الملك المجيد؟!.

(وَطَلَبَكَ مِنْ غَيْرِهِ) بغير إذنه في ذلك (يُوجِدُ بُعْدَكَ عَنْهُ). ولو شاهدت قُرْبَهُ مِنْكَ وإطلاعه بحالك وقدرته على تحصيل آمالك لما طلبت من غيره شيئاً، بل توكلت عليه، وفوضت أمرك كُلَّهُ إليه، لكنك لبُعْدِكَ عنه تَطْلُبُ مِنْ غَيْرِهِ، مع أنه لا يَقْدِرُ أَنْ يُسَعِفَ حاجتك إلا بإرادته. فتأمل في قُبْحِ حالِكَ وسوء فعالِكَ، وازْجُرْ مولاكَ في جميع أحوالك.



(مَا مِنْ نَفْسٍ تُبَدِّيهِ) تُظْهِرُهُ (إِلَّا وَلَهُ) تعالى (قَدَرٌ) قَدْرُهُ في الأزل (هَيْكَ يَعْضِيهِ). فأنفاسك بأقداره، ويُظْهِرُ فيها آثار أوصافه، فلا تغفل عنه في أنفاسك.

قيل: إن الله وضع ذكر «هو» في النفس، فكل نفس يرشدك إلى أنه المقصود، فلا تغفل عنه، وهو ذِكْرٌ أولي الأنوار الذين صار عندهم الإضمار كالإظهار.



(لَا تَتَرَقَّبْ) لا تنتظر للمراقبة (فُرُوعَ الْأَغْيَارِ) الحائلة بينك وبينها؛ (هَبْآنَ ذَلِكَ) التَّرَقُّبِ (يَقْطَعُكَ عَنْ وُجُودِ الْمُرَاقَبَةِ لَهُ) فيما هُوَ مُقِيمٌ فِيهِ) ومراقبتك له فيما أقامك فيه بأن تراه عالِماً بظواهرك وبواطنك في جميع أحوالك وأشغالك، وأنّ ما أقامك فيه دليل عليه، فلا تغفل به عنه، بل اجْعَلْهُ سُلْماً إِلَيْهِ.



(لَا تَسْتَعْرِبْ وَهُوَ الْأَكْدَارِ) الحاجة عن الأنوار والأسرار (مَا دُمْتَ فِي هَذِهِ الدَّارِ) التي هي دار الفتن والمحن والأحزان والبلايا والدواهي التي قلما يتصفى للسالك فيها سلوكه عن الأكدار، خُلِقْتَ سِجْنًا لِلصَّفِيِّ آدَمَ الذي صدر منه ما صدر بحكمته، ومَظْهَرًا لعلامات شقاوة أهل الشقاوة، فالأقدار والأكدار والأوزار لوازِمِها، وما يوجد من أكدار الآخرة فهو مرتَّبٌ على ما فعل فيها، ولا تعدل عند بارئها جناح بعوضة، ولم ينظر إليها نظر فضل منذ خلقها.

(فإنَّها ما أَبْرَزَتْ) شيئاً (إِلَّا ما هُوَ مُسْتَحَقُّ وَصْفِها وَوَاجِبٌ) لازم (نَفْعِها) ولا يتأتى منها غير ما أتى منها كلُّ مُسَهِّلٍ لما خُلِقَ له، فهوَنَ أَمَرَ حوادثها عليك، ولا تبال بسهام دواهيها التي ترميها إليك، ولا تتعجب من أقدارها مع أقدارها.



(ما تَوَقَّفَ مَطْلَبٌ) من المطالب (أَنْتَ طالِبُهُ بِرَبِّكَ) الذي بيده التصرفُ كُلُّهُ، فَعَوَّلَ في أموركَ كُلِّه عليه، واستعن به في كلِّ مُهِمٍّ ومطلوب، واعلَمْ أنه الفاعِلُ حَقِيقَةً، وإنما أَنْتَ آلَةُ ظاهريَّة، واطلب مطلوبك به تَفَرُّزٌ بحصوله.

(وَلَا تَيْسَّرْ مَطْلَبٌ أَنْتَ طالِبُهُ بِنَفْسِكَ) العاجزة القاصرة.

والحاصل أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العظيم، فينبغي طلب المطلوب به، لا بغيره، والنظر إلى الغير نَقْصٌ في توحيد العبد.



(مِنْ عَلاماتِ السُّجُجِ) الفوز بالمطلوب (في النِّهاياتِ الرُّجُوعُ إلى اللهِ) من كل الوجوه (في البِداياتِ).



(مَنْ أَشْرَفَتْ بِدَائِئُهُ) بالرجوع فيها إلى الله تعالى كما يحب ويرضى (أَشْرَفَتْ نِهايَتُهُ). ومن أَظْلَمَتْ بِدَائِئِهِ بالرجوع إلى غير الله تعالى أَظْلَمَتْ نِهايته.

والحاصل ما يُغْرَسُ في البداية يُجْتَنَى في النِّهاية. من كانت بدايته على السُّنَّةِ كانت نِهايته على الاستقامة، ومن كانت بدايته على البِدْعَةِ كانت نِهايته على الغواية.



(ما اسْتَوْدِعَ في غَيْبِ السَّرائِرِ) من خَيْرٍ وَضَيْرٍ (ظَهَرَ) بظهور دلائله

(في شهادة الظواهر) فمن كانت طَوْبَتُهُ طَيِّبَةً ظهرت آثارُ طيبها في أقواله وأفعاله وأحواله، ومن كانت سريره سَيِّئَةً بَدَتْ علاماتُها في أعماله، فالظاهر دليلُ الباطن، كما أَنَّ الباطن أَضْلُ الظاهر؛ قال الله تعالى في المخلصين: ﴿سَيِّمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال في المنافقين: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

أو ما قَدَّرَ الله في الأزل وَقَعَ الأمرُ على طَبَقِهِ.



(شَتَّانَ) وَقَعَ بَوْنٌ بعيدٌ (بَيْنَ مَنْ يَسْتَدِلُّ بِهِ) على غيره؛ إذ هو كامل في ذاته وصفاته فلا بد أن يكون له مظهرٌ ذلك، (وَبَيْنَ مَا يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ) بغيره من المخلوقات؛ إذ تغيُّرها يَدُلُّ على حدوثها من مُحدثٍ واجب الوجود واجِدٌ قديم كامل في أوصافه، منزَّه عن ما لا يليق به. الأوَّلُ حالُ الواصلين، والثاني مقام السالكين.

(الْمُسْتَدِلُّ بِهِ) على غيره (عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ، وَأَثْبَتَ الْأَمْرَ الْفِرْعِي مِنْ وُجُودِ أَصْلِهِ) وانتقل من الأصل إلى الفرع، ولو لم يكن الأصل موجوداً لكان الفرع مفقوداً.

(وَالْأَسْتَدِلُّ) بغيره (عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ الْوُصُولِ إِلَيْهِ) إذ الواصلُ إليه يكفيه العيان عن البيان. ألا ترى أنه لا يستدل على القبلة بالنجوم والجبال إلا من كان نائياً عنها غير مشاهد إياها؟! ومن شاهدها لم يحتج إلى الاستدلال عليها.

(وَالَا فَمَتَى غَابَ حَتَّى يُسْتَدَلَّ عَلَيْهِ) مع أنه هو الظاهر الذي ليس في الظهور فرقه شيء، (وَمَتَى بَعُدَ حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تَوْصِلُ إِلَيْهِ) وهو أقرب إلى العبيد من حبل الوريد، وهم معهم أينما حلوا، إنما حجبتهم عنه شغلهم بغيره.



(لِيُنْصَقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) على قدر وسعته، ومن هذا النوع (الواصلون إِلَيْهِ) تعالى الذي وَسَّعَ عليهم في العرفان حتى صار الغيب عندهم

كالعيان، آثارهم على قدر أسرارهم، وأطوارهم على قدر أنوارهم، وإنفاقهم على قدر ذخائرهم.

(مَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ) ينفق على قدر حاله، ومن هذا النوع (السَّائِرُونَ إِلَيْهِ) الذين لم يحصلوا من العرفان ما حصله الواصلون، إيقانهم على طبق إقتارهم، وإنفاقهم على قدر اقتدارهم.



(اهْتَدَى الرَّاحِلُونَ إِلَيْهِ بِأَنْوَارِ التَّوَجُّهِ) وعلى قَدَرِ تَوَجُّهِهِمْ وَقُرْبِهِمْ أَنْوَارُهُمْ، (وَالْوَاصِلُونَ لَهُمْ أَنْوَارُ الْمَوَاجَهَةِ) التي أنوار التَّوَجُّهِ بالنسبة إليها كأَنوار النجوم بالنسبة إلى أنوار الشمس.

(هَالَاوُلُونَ) الذين لم يصلوا بعدُ، طالبون (بِلِلْأَنْوَارِ) ليهتدوا بها في ظلمات الأغيار إلى الأسرار، (وَهَؤُلَاءِ) الواصلون (الْأَنْوَارُ لَهُمْ لَا تُهْمُ لِلَّهِ لَا شَيْءٍ دُونَهُ) من الأنوار وغيرها، ومن كان لله كَلَنٌ له كل شيء، بخلاف الراحلين إليهم فإنهم للأنوار فلم تخلص أسرارهم من شوائب الأغيار. . . (قُلِ اللَّهُ) المقصود، لا ما سواه، وأدم ذكره ظاهراً وباطناً، مُعْرِضاً عن ما عداه، واعلم أن كل ما في الوجود فهو الذي حباه وأولاه.

(كَمْ دَرَهُمْ) أي: الخائضين (فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ) ولا تشاركهم فيما يعملون، وسيعلمون خسارة ما يفعلون.



(تَشَؤُفُكَ إِلَى مَا بَطَّنَ فِيكَ مِنَ الْغُيُوبِ) كالحقد والحسد والحرص والبخل والتكبر وأمثالها لتعرف بها نقصانك واحتقارك، وتسعى في تهذيبك عن أدناسها وأرجاسها، وتخلصك عن الابتلاء بشؤم عواقبها (خَيْرٌ مِنْ تَطَلُّعِكَ إِلَى مَا حُجِبَ عَنْكَ مِنَ الْغُيُوبِ)؛ إذ التطلع على هذه أهم من التطلع عليها، والاجتهاد في الخلاص من وبال هذه أقدم على تحصيلها، وكثيراً ما يكون حتفك في التطلع عليها، فقدم أمر العيب على الغيب.



(الْحَقُّ) سبحانه (لَيْسَ بِمُخْجَبٍ) في الحقيقة، (وَأِنَّمَا الْمَخْدُوبُ أَتَتْ عَنْ النَّظَرِ إِلَيْهِ) لشغلك بغيره وعدم توجُّهك إليه، (إِذْ لَوْ حَاجَبَهُ شَيْءٌ) من الأشياء (لَسْتَرَتْهُ) عن ما سواه (مَا حَاجَبَهُ) من الأشياء، (وَلَوْ كَانَ لَهُ سَائِرٌ) ستره عن غيره (لَكَانَ لُجُودُهُ حَاصِرٌ) يحصره في حدٍّ معيَّن؛ إذ المستور لا بد أن يكون محدوداً محصوراً، (وَكُلُّ حَاصِرٍ لِّشَيْءٍ فَهُوَ لَهُ قَاهِرٌ) إذ لو لم يقهره لم يحصره، (وَهُوَ الْقَاهِرُ) لكل شيء، فالقاهر لا يكون مقهوراً، فلا يكون محصوراً، فلا يكون مستوراً، (فَوْقَ عِبَادِهِ) فوقية تليق بعلوِّ جلاله، أزل عنك ما سواه من الموجود حتى تفوز بالشهود، وتظفر بتجلي الملك المعبود.



(اخْرُجْ مِنْ أَوْصَافِ بَشَرِيَّتِكَ) كالميل إلى الشهوات واللذات، وطهر نفسك (عَنْ كُلِّ وَصْفٍ مُنَاقِضٍ لِعِبُودِيَّتِكَ)، ولا تحصل العبودية الخالصة إلا بعد الخروج من الأوصاف القبيحة إذ وجودها والمشي على طبقها مناقض للعبودية الصرفة.

(لِتَكُونَ لِنِدَاءِ الْحَقِّ) حين يناديك إلى ما يوجب القرب منه (مُجِيباً) بالمحبة من غير منازعة؛ إذ ما دام في الإنسان من أوصاف النفس الأمارة بالسوء وأمر الشيطان لا يتأتى منه من غير منازعة؛ إذ هي تنازع في الإجابة. (وَمِنْ خَضْرَتِهِ قَرِيباً) ما أبعدك عنها إلا اتصافك بأوصاف بشريتك والاختلاط بما يناقض عبوديتك.



(أَصْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ) مُبْعَدَةٌ عَنِ الْحَقِّ (وَعَقْلِيَّةٌ) حَاجِيَّةٌ (وَشَهْوِيَّةٌ) مانعة من الوصول إليه (الرِّضَا عَنِ النَّفْسِ) المجبولة على الانهماك في السيئات والغفلات والشهوات لتناسب بينها وبينها، فمن رضي عنها وحسن أمرها سَوَّلَتْ لَهُ مَا جُبِلَتْ عَلَيْهِ، وَأَقْحَمَتْهُ فِيمَا طُبِعَتْ عَلَيْهِ، وَجَعَلَتْ فِي عُنُقِهِ رِبْقَتَهَا، وَصَيَّرَتْهُ عَبْدًا لَهَا، فِيرْكَضُ فِي رِضَاهَا، وَيَسْعَى فِي هَوَاهَا. وكثيراً ما تكون عاقبته خُسرًا بَأَن تَفُوتَهُ أَجْرًا وَتَعُوضَهُ عَنْهُ جَمْرًا، فَانْجُ مِنْ هَذِهِ الْغَدَارَةِ الْفَرَارَةِ

المكارة الشرارة، وَخُذِ الْجُنَّةَ مِنْ غَدْرَتِهَا قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي شَبْكِهَا.

(وَأَصْلُ كُلِّ طَاعَةٍ) مَقْرَبَةٌ إِلَى الْحَقِّ (وَيَقْطَعُ) عَنْ سِنَةِ الْغَفْلَةِ (وَعِقَّةٍ) عما لا يليق (عَدَمُ الرِّضَا مِنْكَ عَنْهَا) فَإِذَا لَمْ تَرْضَ عَنْهَا وَقَبَّحْتَ الْأُمُورَ الَّتِي تَهْوَاهَا وَكَبَّحْتَ عَنَانَهَا عَنْ طَغْيَانِهَا وَكَفَفْتَ عَنْ عَصْيَانِهَا وَحَمَلْتَهَا عَلَى مَا يَزِيدُ فِي إِيْمَانِهَا وَإِيْقَانِهَا وَعِرْفَانِهَا صَارَتْ لَكَ مَطِيَّةً مُنْقَادَةً تَبْلُغُ بِاسْتِعْمَالِهَا فِي مَرْضَاةِ اللَّهِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ، وَتَفُوزُ بِأَجَلِّ الْمَوَاهِبِ، وَتَنْجُو مِنْ أَشَدِّ الْمَصَائِبِ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ، وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُنَافِسُونَ.



(و) وَاللَّهُ (لَئِنْ تَصَحَّحَ جَاهِلًا) عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الْعُلُومِ الظَّاهِرِيَّةِ (لَا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ) وَيَخَالِفُهَا فِي هَوَاهَا وَيَسْتَعْمِلُهَا فِي الطَّاعَةِ الَّتِي تَأْبَاهَا (خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَصَحَّحَ عَالِمًا) عِلْمًا جَارِيًا عَلَى لِسَانِهِ غَيْرَ مُفَضِّلٍ إِلَى جَنَانِهِ (يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ) فَيَتْرَكُهَا فِيمَا تَشْتَهِيهِ، وَيُؤَافِقُهَا فِيمَا تَبْتَغِيهِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ يُرِيدُهُ، وَالنَّفُوسُ تَقْتَبِسُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَتَتَأَثَّرُ. صَحْبَةُ الْأَخْيَارِ تَجْذِبُ إِلَى أَعْمَالِ الْأَبْرَارِ، وَمَجَالِسَةُ الْأَشْرَارِ تَوَقِعُ فِي الْأَوْزَارِ.

(فَأَيُّ عِلْمٍ لِعَالِمٍ يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ) أَيُّ: لَا يَعْزُ بِأَعْلَمِهِ إِذَا رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَنْتَفِعُ بِهِ مَعَ رِضَا عَنْهَا لِأَنَّهَا تَطْفِئُ نُورَ عِلْمِهِ بِظُلُمَاتِ مَا تَرْتَكِبُهُ مِنْ شَهَوَاتِهَا وَتَكْتَسِبُ مِنْ هَفَوَاتِهَا، وَتَوْجِبُ لَهُ أَشَدَّ الْعَذَابِ مَعَ أَغْلَظِ الْعِتَابِ. (وَأَيُّ جَهْلٍ لَجَاهِلٍ لَا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ) فَإِنَّ عِلْمَهُ بِقُبْحِهَا وَسُوءِ صَنِيعِهَا مَعَ عَمَلِهِ عَلَى خِلَافِ مَتَمَنَّاها عِلْمٌ عَظِيمٌ نَافِعٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.



(شُعَاعُ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ قُرْبَهُ) تَعَالَى (مِنْكَ) لِأَنَّهُ أَقْرَبُ إِلَيْكَ مِنْ حَبْلِ وَرِيدِكَ، لَكِنَّكَ لَا تَشْهَدُ قُرْبَهُ إِلَّا بِنُورِ بَصِيرَتِكَ.

(وَعَيْنُ الْبَصِيرَةِ) الَّتِي مَرْتَبَتُهَا أَعْلَى مِنْ مَرْتَبَةِ شُعَاعِ الْبَصِيرَةِ (تُشْهِدُكَ عَدَمَكَ لَوْجُودِهِ) وَهُوَ أَنْ تَرَى أَنَّ وَجُودَكَ الْحَادِثَ بِالنِّسْبَةِ إِلَى وَجُودِهِ الْقَدِيمِ الْذَاتِي كَأَنَّهُ لَيْسَ بِوَجُودٍ.

(وَحَقُّ الْبَصِيرَةِ) الَّتِي مَرْتَبَتُهَا أَعْلَى مِنْ مَرْتَبَةِ عَيْنِ الْبَصِيرَةِ (يُشْهِدُكَ

وُجُودُهُ) الأزلي الأبدي، (لَا عَدَمَكَ وَلَا وُجُودَكَ) لفنائك بتجلي ربك عن قلبك عن ما سواه، وهذا غاية ما يقصده المتصفون.



(كَانَ اللَّهُ) بوجوده الذاتي (وَلَا شَيْءَ مَعَهُ) من الموجودات، (وَهُوَ الْآنَ) حين أوجد ما في عليه كان (عَلَى مَا عَلَيْهِ كَانَ) من وُحْدَتِهِ في وجوده؛ لأنَّ بوجود ما أوجده لم يصر له مساو في وجوده، فأين الوجود العارضي من الوجود الذاتي حتى يساويه أو يقاربه؟!



(لَا تَتَعَدَّ هِمَّتَكَ) أي: لا ينبغي أن تتجاوز عن الطمع في فضله (إِلَى غَيْرِهِ؛ فَإِنَّ الْكَرِيمَ) الذي خزائنه لا تفتن، وَيَجُودُ بما لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى (لَا) ينبغي أن (تَتَخَطَّأَهُ الْأَمَالُ) لأنه هو الذي يَقْضِيهَا لا غيره، ويحب من عباده الطمع فيما لديه، والسؤال عن ما هو بين يديه، ويكره لهم الطمع في غيره، لو شاهد المحجوبون جُودَهُ وَقَضْلَهُ لم يطعموا في غيره.



(لَا تَرْفَعَنَّ إِلَى غَيْرِهِ) مع الاعتماد عليه (حَاجَةً) ليقضيها (هُوَ مُورِدُهَا عَلَيْكَ) بحكمته، ومنها أن ترجع في قضائها إليه، وتُظْهِرُ فَرْكَ وَفَاقَتِكَ لديه، ويزداد حُبُّكَ له عند قضائه إياها لك، ما يورده لا يرفعه غيره، (فَكَيْفَ يَرْفَعُ غَيْرُهُ مَا كَانَ هُوَ لَهُ وَاضِعاً؟) هل لغيره قدرة كقدرته حتى يرفع ما وضعه؟! تالله لو اجتمعت الخلائق كلها على رفعها لم تقدر عليه، واقطع نظرك عن الآثار وانظر إلى القادر المختار.

(مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرْفَعَ حَاجَةً عَنْ نَفْسِهِ) لعجزه عن مهمات أمره (فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ لَهَا عَنْ غَيْرِهِ رَافِعاً؟) إذ العجز عمَّ الكون كله.

حكي أن بعض الفقراء قصد بعض الأغنياء لينال شيئاً من دنياء، فوجده رافعاً يديه إلى السماء، فسأل: ممن يسأل هذا؟ قيل: من ربه. فتنبه الفقير

وقال: هو ربي وربُّه، فلمْ لا أسأله كما يسأله؟ فتركه وتوجَّه إلى ربه. والله أعلم بالصواب.



(إِنْ لَمْ تُحْسِنْ بِهِ ظَنُّكَ لِأَجْلِ حُسْنِ وَصْفِهِ) وهو كونه جواداً كريماً برّاً لطيفاً (فَحَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ يُوجِدُ مُعَامَلَتَهُ) الحسنة (مَعَكَ) بمجرد جُوده وفضله، مع أنك تقابل إحسانه بعصيانك، (فَهَلْ عَوَّدَكَ) فيما مضى من دهرك (إِلَّا حَسَنَاتٍ؟ وَهَلْ أَسَدَى) أوصل (إِلَيْكَ إِلَّا مِنْنًا؟) ألا ترى أنه أوجدك من العدم، وأفاض عليك فواضل النعم، ووقاك عن ما لا يحصر من النقم، فحَسُنَ الظَّنُّ به؛ فإنه عند ظن عبده به.



(الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ) عند أهل البصيرة (مِمَّنْ يَهْرُبُ مِمَّا لَا انفِكَاكَ لَهُ عَنْهُ) وهو الله الذي لا انفِكَاك للعبيد عنه، عَلِمَهُمْ قبل وجودهم، ثم كان أقرب الأشياء إليهم بعد بروزهم، قائماً بأمورهم، رقيباً على ظواهرهم وضمائرهم، لا يخفى عليه خافية من سرائرهم، منه وجودهم، وإليه عودهم. (وَيَطْلُبُ مَا لَا بَقَاءَ لَهُ مَعَهُ) وهو ما سوى الله تعالى، (فَإِنَّهَا لَا تَقْمَى الْأَبْصَارُ) عن إدراك حقائق الأسرار وحقائق الآثار؛ إذ ليس من شأنها إدراكها حتى تُوصَفَ بالعمى عنها، (وَلَكِنْ تَقْمَى) عنها (الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) إذ من شأنها إدراكها، فتوصف بالعمى عنها. وعمّاها لانطماس أنوار بصائرها بأقذار الأوزار وأوساخ الأغيار، فلا تدرك حقائق الأمور.



(لَا تَزْخُلْ مِنْ كَوْنٍ إِلَى كَوْنٍ) آخر (فَتَكُونُ) في ارتحالك من كَوْنٍ إِلَى آخر (كَحِمَارِ الرُّحَى؛ يَسِيرُ) حول الرحى (وَالْمَكَانِ الَّذِي ارْتَحَلَ إِلَيْهِ هُوَ الَّذِي ارْتَحَلَ مِنْهُ) وهذا حال كل ما يدور في دائرة. (وَلَكِنْ ارْزَحِلْ مِنَ الْأَكْوَانِ) التي وجودها كعدمها عند أهل العرفان، وأهل الدوران فيها من أهل الخسران، (إِلَى الْمُكُونِ) الذي كَوْنُها بقدرته

وأظهر فيها آثار صنعته، وجعلها دلائل وَخَدَتِ وعظمته، ﴿وَأَنَّ إِلَكَ رَبُّكَ أَلَّتْهُمْ﴾ [النجم: ٤٢] وهو المقصود الأسنى والمطلب الأعلى، فلا ينبغي أن يكون دونه مرمى، وكيف يراد ما سواه وهو ينادي لا تَقْصِدْهُ، بل اقصد مولاه.

(انْظُرْ إِلَى قَوْلِهِ ﷺ) الذي صدر منه بوحى من ربه: (وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ) تركه وطنه (إِلَى) محل رضا (اللَّهُ وَرَسُولِهِ فَهَاجَرْتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ) مقبولة مثاب عليها ثواباً عظيماً، (وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا) يقصد حصولها حصلها أو لم يحصلها (أَوْ) هجرته إلى (أَمْرَةٍ) يريد أن (يَتَزَوَّجَهَا) تزوجها أو لا (فَهَاجَرْتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) لا إلى الله ورسوله ﷺ.

(فَافْتَهُمْ قَوْلَهُ ﷺ) «فهجرته إلى ما هاجر إليه»، (وَتَأْمَلْ هَذَا الْأَمْرَ إِنَّ كُنْتُ ذَا فَهَمٍ) في الأمور الدقيقة (وَالسَّلَامُ).

والحاصل أن المهاجر الأول لما كان مرتحلاً من كون إلى مكوّن مدح بقوله: «فهجرته إلى الله»، والمهاجر الثاني لما كان مرتحلاً من كون إلى كون آخر ذمّ بقوله: «فهجرته إلى ما هاجر إليه» فينبغي الارتحال من الأكوان إلى الرحمن، وهو دأب أهل العرفان، لا منها إليها كما هو شأن أهل الخسران.



(لَا تَصْحَبْ مَنْ لَا يَنْتَهِضُكَ) يُقِيمُكَ وَيُشْرِفُ بِكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَطَاعَتِهِ (حَالَهُ) لَعَدَمَ كُوزِهِ لَلَّهِ تَعَالَى، (وَلَا يَدُلُّكَ عَلَى اللَّهِ مَقَالَهُ) لاشتغاله بغيره، والصحة مؤثرة في أربابها، وربما أفسدك بحاله وضيعك بمقاله، وفي صحة هذا ليس سوى الخسران، فاحترز عنها إن كنت من أهل الإيقان.



(رُبَّمَا كُنْتَ مُسِينًا) في ظاهرك وباطنك، (فَأَرَاكَ الْإِحْسَانَ مِنْكَ) صَحْبَتَكَ مَنْ هُوَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْكَ) لأنك إذا صاحبته وعرفت أنه أسوأ حالاً منك زعمت أنك مُحْسِنٌ في أمرك، واغتررت بما عندك، وكَبُرَتْ نَفْسُكَ عَلَى

من دونك، ولم تطهرها عن أوساخ إساءتك، ولم تنهض إلى ما يرفع درجاتك.

والبلاء كل البلاء أن يرى السالك لنفسه إحساناً، ففرّ من صحبة الأشرار، واختر صحبة الأخيار، فإنهم قوم لا يشقى جليسهم.



(مَا قَلَّ عَمَلٌ) في الحقيقة وإن كان قليلاً في الظاهر (بَرَزَ) إلى الأعضاء التي هي كالأتباع (مِنْ قَلْبٍ) هو رئيسها (زَاهِدٌ) عن ما سوى الله تعالى، فإنه يخرج نقياً خالصاً نظيفاً عن أوساخ الرغائب، وهو كالدرر المثمّنة، قليلها كثير، وصغيرها كبير.

(وَلَا كَثُرَ عَمَلٌ) في الحقيقة وإن كان كثيراً في الظاهر (بَرَزَ مِنْ قَلْبٍ) راغِبٌ في سوى الخالق المالك، فإنه يبرز مغشوشاً متكدّراً بأكدار الرغبات في غير خالق الأرض والسّموات، فهو كالحجار قليلة الأثمان، تعبها كثير ونفعها قليل.

فازهد فيما سوى المقصود الحقيقي يكون قليلك كثيراً، ولا ترغب في غيره فيكون كثيرُك قليلاً، ولا تكن كالحمّار يتعب بحمل الأسفار.



(حُسْنُ الْأَحْوََالِ) الصادرة من الجوارح (نَتَائِجُ حُسْنِ الْأَحْوََالِ) الكائنة في القلوب، فمن كان حاله حسناً كان فعله حسناً، ومن كان حاله قبيحاً كان فعله قبيحاً.

(وَحُسْنُ الْأَحْوََالِ) الحاصلة لأهل القلوب الصافية والهِمَمِ العالية (مِنْ التَّحَقُّقِ فِي مَقَامَاتِ الْإِنْزَالِ) وللسالكين إلى الله تعالى مقامات، كمقام التوبة والإرادة، لكل مقام آداب وشروط، فمن أنزلَ فيها وأعطى كلّاً منها حقّه وتحقّق كانت أحواله بعد قطعها حسنة، ومن أنزلَ فيها وأخلّ بآدابها وما يليق بها وخرج عنها قَبْلَ التَّحَقُّقِ كانت أحواله مختلّة على قَدَرِ اختلاله في مقامات إنزاله، فأعطِ كل مقام حقّه. والتحقّق فيه هو الموجب لحسن الأحوال.

وقس هذه المقامات والأحوال على الزرع وحبوبه، فالزرع الذي يزرع في أرض طيبة مناسبة له في فصل موافق له ويكون بذره طيباً، وأعطى حقه من ماء ودمن وأمثالهما يكون حبه طيباً، والزرع الذي اختل في شيء مما ينبغي له اختل حبه.



(لَا تَتَرَكِ الذِّكْرَ إِعْدَمَ حُضُورِكَ مَعَ اللَّهِ فِيهِ) لأجل شغل قلبك بغيره، ولا تظنن أن في ذلك سوء أدب مع مولاك حيث يجري ذكركه على لسانك مع عدم الحضور في جنانك؛ (لَأَنَّ غَفْلَتَكَ عَنْ وُجُودِ ذِكْرِهِ أَشَدَّ مِنْ غَفْلَتِكَ فِي وُجُودِ ذِكْرِهِ) لأن في الغفلة عن الذكر تركاً له بالكلية وإعراضاً عنه وتعطيلاً للنفس عن أكبر ما خلقت له، بخلاف الغفلة عن الحضور مع وجود الذكر لأن بعض البدن مشغول بما هو مقصود أكبر وإن فقد الحضور الذي هو الخلاصة، وفوّت الكل اشد من فوّت البعض.

(فَقَسَى) الكريم الذي لا يخيب من قرع بابه بذكره (أَنْ يَرْفَعَكَ مِنْ ذِكْرِ مَعَ وُجُودِ غَفْلَةٍ) عن الحضور فيه (إِلَى ذِكْرِ مَعَ وُجُودِ يَقْظَةٍ) نوع حضور فيه، (وَ) أن يرفعك (مِنْ ذِكْرِ مَعَ وُجُودِ يَقْظَةٍ) فيه (إِلَى ذِكْرِ مَعَ وُجُودِ حُضُورٍ) فيه وهو أعلى من اليقظة، (وَمِنْ ذِكْرِ مَعَ وُجُودِ حُضُورٍ إِلَى ذِكْرِ مَعَ وُجُودِ غَيْبَةٍ عَنْ مَا سِوَى الْمَذْكُورِ، وَمَا ذَلِكَ) الرفع المذكور (عَلَى اللَّهِ) الذي بيده الأمور كلها (بِعَزِيزٍ) بثقل، فلا تقطع رجاءك عنه، ولا تغفل عن ذكره.

والله حكيم، وله في هذا التدرج إذا أراد جكم لأنه إذا أخرج الذاكر عند أول أمره إلى ذكرك مع غيبة عن ما سوى المذكور لتهالك لبدن استعداده لذلك في بداية أمره المنهمك في الأشغال، إذا شرع في الذكر لا تجد فيه حضوراً بما انطبع في قلبه من صور الآثار فأظلم وتكدر بالتعلق بالأغيار، لكن الذكر نور يزيل الظلمات شيئاً فشيئاً، حتى يجد الذاكر في قلبه نوع حضور، ثم لا يزال يزيد حتى يجد حضوراً أعلى مما قبله، ثم لا يزال يزيد حتى يصير

قلبه كله منوراً، ويتصل نوره بنور ربه المقدس، فلا يشاهد ما سواه.

مثال القلب المملوء بظلمة الآثار والأوزار والأغيار كالليل المظلم الذي يرى فيه النجوم، ومثال نور الذكر كالشمس، فإذا آن وقت طلوعها ظهر من نورها شيء أزال شيئاً من ظلمة الليل، ثم لا تزال ترتفع وتصعد ظلمة الليل على قدر ارتفاعها، فإذا طلعت ذهب الظلمة واختفت النجوم ولم يشاهد منها شيء.

والوصول إلى غيبة عن ما سوى المذكور أعلى ما يقصده المتصوفة، ومقام الأنبياء ﷺ أفضل من هذا وأجل وهو أن شهودهم الكامل لا يمنهم عن إدراكهم الخلق، فيدركون الحق حقاً والخلق خلقاً، ويوفون لكل ذي حق حقه.



(مِنْ غَلَامَاتِ مَوْتِ الْقَلْبِ) وموته عبارة عن فقدنه ما هو كمال فيه، كذكر الله تعالى، وشوقه، ومحبته، وخوفه، وتألمه على فوات ما يرضي سيده، وصدور ما يسخطه، (عَدَمُ الْحُزْنِ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنَ الْمَوَاقِفَاتِ) مع رب الموجودات بتركه ما يحب من الطاعات، (وَتَرْكُ النَّدَمِ عَلَى مَا فَعَلْتَهُ مِنْ وُجُودِ الزَّلَّاتِ) التي توجب البُعدَ من حضرته والحرمان من رأفته.

لو كان لفاتت الموافقات وفاعل الزلات قلب لتقطع حزناً على فوات موافقات مولاه وتندماً على فعل ما أبعد عنه وأرداه، ولمات كمدماً ولم يتهنئ بالعيش أبداً.



(لَا يَعْظُمُ الذَّنْبُ عِنْدَكَ عَظَمَةً تَصُدُّكَ) أي: تلك العظمة (عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ) الكريم الجواد الغفار الوهاب الحليم العفو الرؤوف الرحيم، الذي لا ينتفع بالطاعة ولا يتضرر بالمعصية، ولا يعظم عليه أن يغفرها. نعم ينبغي أن يعظم عندك عظمة تمنعك عن العصيان والإصرار على الطغيان، وتحملك على التوبة إلى الحنان المنان.

(فَإِنَّ مَنْ عَرَفَ رَبَّهُ) العظيم الحليم اللطيف البرّ الرحيم (اسْتَصْفَرَ فِي جَنْبِ كَرَمِهِ ذَنْبَهُ) وأيُّ شيء ذنوبُ العصاة حتى لا يقدر على غفرانها أو يثقل عليه العفو عنها؟! ولو كانت الخلائق كلها عصاة بأغلظ العصيان لما بالى أن يصفح عنهم ويغمرهم برحمته ويغمرهم في رأفته، ألا ترى كيف يجر أهل الكفران بالسلاسل إلى الجنان^(١)، وأهل العصيان إلى موجبات الغفران؟! .



نعم (لا صَغِيرَةً إِذَا قَابَلَكَ عَذْلُهُ) لأنها حينئذ كبيرة، وأتى للتراب المهان أن يعصي ربه القهار الجبار السلطان؟! وأتى للعبيد أن يعاندوا الملك المجيد؟! فلو عذبهم بأدنى عصيان أحدهم لكان عادلاً في ذلك، لكنه كريم لا يعذب من يعذب إلا على قَدْرِ ذنبه.

(وَلَا كَبِيرَةً إِذَا وَاجَهَكَ فَضْلُهُ) لأنه إذا فتح باب فضله تلاشت الكبائر في جنبه، بل إذا شاء بدلها حسنات، ولم يبال به. هو ربُّ عادِلٍ، إذا فتح باب جلاله خاف أفضل الخلائق من عَذْلِهِ، كريم إذا فتح باب جماله طمع أكفر الكفار في فضله.

إلهي إن أحببتي بكرمك من غير استحقاق مني لذلك غفرت سيئاتي لأن الكريم إذا أحب عفا، فأحببني بفضلك كي أفوز بكرامتك، وإن مقتني وأبغضتني لسوء أعمالي وقبح أفعالي وخبث باطني لم تقبل حسناتي - إن كانت - لأنها تصير هباءً منثوراً عند غضبك، وفلا تمقتني يا سيدي كي لا أبتلى بالبلية.



(لا عَمَلَ أَرْجَى لِلْقُلُوبِ) لتطهرها من أكدارها وتنورها بأنوارها وخروجها من موتها إلى حياتها ومن سفنها إلى علوها (وَمِنْ عَمَلٍ يَغِيْبُ عَنْكَ شُهُودُهُ) بأن تتيقن أنّ سيدي أوجدني ولم أكن شيئاً مذكوراً، وخلق فيّ قوة

(١) بإلهام التوبة من الكفر.

هذا العمل، وأراده مني، وخلقهُ فيَّ، وسَهَّلَ لي أسبابه، فالفِعْلُ له حقيقة، وليس لي منه إلا الصورة الظاهرية، ومشاهدُ العمل من نفسه لا يخلو عن شَوْبِ شِرْكٍ.

(وَيُحْتَقَرُ عِنْدَكَ وُجُودُهُ) بأن تعلم أن الإله عظيم الشأن، عَلِيٌّ السلطان، لو كانت الخلائق كلها مشغلة بأكبر الأعمال دهرًا أدهر لم تساو أعمالهم عنده جناح بعوضة لعظمته وكبريائه، فأَيُّ شيء يكون عَمَلُكَ حتى يكون له مقدار عنده؟! وقد أعطاك من النعم ووقاك من النقم ما لا يكفي عملك عشر معشاره، بل لا يكفي شيئاً منها، فتبصّر ولا تنظر إلى عملك.



(إِنَّمَا أَوْزَدَ) الله الحكيم (عَلَيْكَ الْوَارِدَ) من الواردات كالقَبْضِ الموجب للنعم، والبَسْطِ الموجب للفرح (لِيَتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ وَارِدًا) ليكون مطينك للورود عليه، فإذا وَرَدَ عليك وَارِدٌ فَطَرُ لِي مَتْنَهُ إِلَى جَنَابِهِ، ولا تحط رحالك إلا على بابه.



(أَوْزَدَ عَلَيْكَ الْوَارِدَ لِيَتَسَلَّمَكَ) لِيَأْخُذَكَ (مِنْ يَدِ الْأَعْيَارِ) التي لطختك بالأكدار (وَيُخَرِّزَكَ مِنْ رَقِّ الْأَثَارِ) التي حجبك عن مشاهدة أنوار الأسرار.



(أَوْزَدَ عَلَيْكَ الْوَارِدَ لِيُخْرِجَكَ مِنْ سِجْنِ وُجُودِكَ) الذي سجنك فيه عن الوصول إلى المقصود (إِلَى قَضَاءِ شُهُودِكَ) لمعبودك، فإذا وردت عليك الواردات فاغْطِ كل وارد حقّه، وسِرْ به إلى من أوردك عليك، فإنه رسوله إليك يدعوك إلى حضرته لتتشرف بخلق معرفته وحلة كرامته، ولا تشتغل بالوارد عن المورد.



(الْأَنْوَارُ) الواردة من رب شكور على الصدور (مَطَايَا الْقُلُوبِ) تسير عليها إلى موردِها، (وَالْأَسْرَارِ) تدرك بها حقائقها، من فاز بالأنوار فاز بسير القلب إلى الرب وحقائق الأسرار.



(النُّورُ) الأهلِيّ الذي يُعِينُ اللهَ به من أحبه (جُنْدُ الْقَلْبِ) الذي هو موضع نظر الرب وآلة معرفته، (كَمَا أَنَّ الظِّلْمَةَ) المتراكمة من الأقدار والأوزار والأغيار والآثار (جُنْدُ الْبَنَفْسِ) التي هي مأوى الشرور ومجلس الشيطان الغرور، وبين جند القلب وجند النفس قتال، إن غلب جند القلب جندُها صارت منقادةً إلى الخير، وإن غلب جندُها جندُه صار منبعاً للضَّيْر.

(فَإِذَا أَرَادَ اللهُ) الذي بيده النصرُ كله (أَنْ يَنْصُرَ عَبْدَهُ) على عدوه الذي أبعدَه من باب سيِّده (أَمَدَهُ بِجُنُودِ الْأَنْوَارِ) الصادرة من قَيْضِ فَضْلِهِ، (وَقَطَعَ عَنْهُ) بها (مَدَدَ الظُّلْمِ وَالْأَغْيَارِ) بأن يدفع بها ذواتها، ويقلع بها آثارها، ويظهر أسرارها في محل قرارها، فيصير القلب مضيئاً، والنفس منطفئة منقادة للخير، والجسدُ موفِّقاً للخيرات، وبهذا يمكن السلوك إلى ملك الملوك، والورود على المجيد المعبود.



(النُّورُ) الوارد من الله على قلوب أهل الإيمان (لَهُ الْكَشْفُ) عن أستار الحقائق، (وَالْبَصِيرَةُ) التي هي للقلب كالבصر للعين - وهو نورُ إلهيٍّ موضوع في القلب، يُدْرِكُ به الأشياء على ما هي عليه - (لَهَا الْحُكْمُ) فتحكم على كلِّ حقيقة بما هو وصفها من الجودة والردى.

(وَالْقَلْبُ) الذي هو موضع تزاحم الأنوار والأغيار (لَهُ الْإِقْبَالُ) إلى ذي الكمال والإفضال عند ورود الأنوار عليه، (وَالْإِدْبَارُ) عن الغفار عند ورود الأغيار عليه. ولا يصفو إقباله إلى ربِّه إلا بعد تَطَهُّرِهِ من الأغيار.



(لَا تُفْرِحْكَ الطَّاعَةُ) التي هي علامة السعادة (لَأَنَّهَا بَرَزَتْ مِنْكَ) فإن ذلك من الأنانية التي تنافي الخلوص لذي الوحدانية، وفيه شائبة من الإشراك وادعاء ما ليس لك.

(وَأَفْرَحَ بِهَا لِأَنَّهَا بَرَزَتْ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيْكَ) من حيث قدّر صدورها منك، وأعطاك استعداد صدورها عنك، وقوّاك على فعلها، وخلّقها فيك، وشرّفك بثوابها. ألا يكفيك من التشريف حيث جعلك أهلاً للتكليف؟! ﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحِمَتَهُ، فِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

والحاصل أنه ينبغي للسالك أن يكون نظره إلى ربّه، لا إلى نفسه، وهي أحقر من أن ينظر إليها أو يلتفت إليها، وأعجز من أن يتأتى شيء منها بغير إرادة خالقها.



(قَطَعَ) الله الذي له الأمر كله (السَّائِرِينَ لَهُ) على مطايا أعمالهم، (وَالْوَاصِلِينَ إِلَيْهِ) المشاهدين بما هو عليه (عَنْ رُؤْيَا أَعْمَالِهِمْ وَشُهُودِ أَحْوَالِهِمْ).

أَمَّا السَّائِرُونَ) الذين قطعوا عن رؤية أعمالهم وشهود أحوالهم (فَلَا تُنْهَمُ لَمْ يَتَحَقَّقُوا الصُّدُق) الذي ينبغي (مَعَ اللَّهِ فِيهَا) فهي أضعف من أن يُعتمد عليها وأحقر من أن يلتفت إليها، ولا يمكن الوصول إليه إلا بمجرد الإفضال، لا بالأعمال.

(وَأَمَّا الْوَاصِلُونَ فَلِأَنَّهُ غَيَّبَهُمْ بِشُهُودِهِ) الذي لا يجتمع مع شهود شيء آخر (عَنْهَا) فلا يشهدونها لاستغراقهم في مشاهدة محبوبيهم وشغلهم بمطلوبهم.



وقال: (مَا بَسَقَتْ) أي: عَكَت (أَغْصَانُ دُلْ إِلَّا عَلَى بَذْرِ طَمَعٍ) فمن طمع من غير الرحمٰن جوزي بالحرمان والخسران، وعلاه الهوان في كل مكان، وعمّه الذل في كل زمان، فلا تطمع من غير الحثان المنان إن كنت من



(أَنْتَ حُرٌّ) حرية الكرام عن رِقِّ الأطماع (وَمَا أَنْتَ عَنْهُ أَيْسَرٌ) وهو أعون لك لتكون لسيدك خالصاً، فاقطع الإياس مما في أيدي الناس، ولا تطمع في ما عند أهل الإفلاس، ولا تَرْجُ خيراً إلا من مُخْصِي الأنفاس. (وَعَبْدٌ لِّمَا أَنْتَ لَهُ طَامِعٌ) وهو يخرجك من أن تكون فارغاً لربك، فلا تكن عبداً لما لا يتأهل أن تكون له عبداً، بل كن عبداً لمن العبودية له عزماً.



(مَنْ لَمْ يُقْبَلْ عَلَى اللَّهِ بِمُلاَطَفَاتِ الْإِحْسَانِ) الذي يتحبَّب بها الكريم إلى عبده، ويجذبهم بها إلى حضرته؛ لا يخلو الإنسان في كل الأزمان عن ما لا يعدُّ من إحسان الرحمن، فأقبل بالإحسان إلى المثنان، إن كنت من أولي العرفان.



(قَيْدٌ إِلَيْهِ) على رغم أنفه (بِسُلَّاسِلِ الْاِمْتِحَانِ) بالأمراض والبلايا والفقر؛ لأنه إذا يش من غيره في دَفْعِهَا يُقْبَلُ إلى مولاه وَيُظْهِرُ حَالَهُ عند من ابتلاه ليدفع عنه ما به بلاه.

والله تعالى يصب سجال إفضاله على عباده ليحبوه ويقبلوا عليه ويتبتلوا عن ما عداه متوكلين عليه، وبيليههم بِالْمَحْنِ والأثقال لِيَفْرُوا إليه ويلتجؤوا إليه ويظهروا فقرهم وفاقتهم لديه مَفُوضِينَ أمورهم إليه.



(مَنْ شَكَرَ اللَّهَ عَلَى النِّعْمَةِ) التي أوصلها إليه بمحض فضله (فَقَدَّ)

(١) لم يشرح السندي على قول السكندري: (ما قادك شيء مثل الوهم) لعله سقط من نسخته لمتن الحكم.

فَقِيدَهَا بِعَقَالِهَا) فلا تبرح عنه لشكره عليها، بل تزيد كما قال الله: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

(وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ) المنعم عليها ولم يعرف حقها ولم يتقرب بها إلى معطيها (فَقَدْ تَعَرَّضَ لِزَوَالِهَا) لعدم عرفانه قدرها. فقيّدوا نعم الله تعالى، واستزيدوا منها بشكرها، ولا تعرضوا لذهابها بكفرها، فَإِنَّ نِعَمَ اللَّهِ إِذَا وَلَّتْ قَلَّمَا تَرْجِعْ.



(خَفْ) يا أيها المغرور (مِنْ وُجُودِ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ) حيث أحاط بك نِعَمَهُ وأزال عنك نِقَمَهُ، (وَدَوَامِ إِسَاءَتِكَ مَعَهُ) حيث تقابل إحسانك بعصيانك وامتنانه بطغيانك وإنعامه بانهماكك في خسرانك، (أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ) المذكور من إحسانه مع إساءتك (اسْتِدْرَاجاً لَكَ) يصعدك درجة فدرجة إلى غضبه وعذابه، فإنه إذا أحسن إليك بنعمه وأسأت رقيت درجة من درجات العقاب، فلا يزال أمره وأمرك كذلك حتى يأخذ برقبتك ويرميك في أشد ما يكون لنقمتك.

ما غرك يا أيها العبد اللئيم بربك الكريم؟! أأمنت من قهر القهار أو سطوة الجبار حين اجتترأت بالإحسان على الأوزار؟! ألم تعلم أن سجنه النار ذات الأكرار؟!!

ومثال ما تقدم مثال صياد طَيرٍ كَتَمَ مَصِيدَهُ فِي التُّرَابِ وألقى عليه وما حوله ما يأكله من الحبوب، فينزل الطير يلقط تلك الحبوب، فلا يزال كذلك حتى يقع في المصيدة، ويكون غرمه في غنمه، وهلاكه في لقمه، قال الله تعالى: ﴿سَنَنْدِبُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٢]. أو لا يعرفون أن هلاكهم بما به يتنعمون؟!.



(مِنْ جَهْلِ الْمُرِيدِ) الذي لم يعلم ما يجب عِلْمُهُ له (أَنْ يُسَيِّءَ الْأَدَبَ) مع الله الجليل في حركاته وسكناته وأقواله وأفعاله وظواهره وضمائره،

(فَتَوَخَّرَ الْعُقُوبَةُ) التي يستحقها على سوء أدبه (عَنْهُ) لَأَنَّ العليم الحكيم لم يقدر له العقوبة في ذلك الوقت، (فَيَقُولُ) مغترّاً بحلم الحليم عن عبده الأثيم: (لَوْ كَانَ هَذَا) الذي صدر مني (سُوءُ أَذْبٍ) مع الله (لَقَطَعَ الْإِمْدَادَ وَأَوْجَبَ الْإِبْعَادَ) كما يكون ذلك لمسيء الأدب، ولكنه لم يفعل ذلك، فعلم أنه ليس بسوء أدب.

(فَقَدْ يَقْطَعُ الْمَدَدَ عَنْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ) بقطعه لشدة خفائه (وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مَنْعُ الْمَزِيدِ) - الذي لو سوء الأدب فَقَدْ لَوُجِدَ - لكفاه في قطع الإمداد.

وكيف (وَقَدْ يُقَامُ مَقَامُ الْبُعْدِ) لسوء أدبه (مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا أَنْ يُخْلِكَ) يتركك (وَمَا تُرِيدُ) من سوء الأدب ولم يحفظك لكفأك في الخسران؟!.



(إِذَا رَأَيْتَ عَبْدًا أَقَامَهُ اللَّهُ) الذي يُكْرِمُ عباده بأوراده (بِوُجُودِ الْأَوْرَادِ) التي هي سلم الوصول إلى ذي الإرشاد، (وَأَدَامَهُ) وجعله مقيماً (عَلَيْهَا مَعَ طَوْلِ الْأَمْدَادِ) يحتمل أن يكون بفتح الهمزة على أنه جمع مُدَد وهو جمع مُدَّة أي الأزمنة الطويلة، ويحتمل أن يكون بكسر الهمزة على أنه مصدر أَمَد.

(فَلَا تَسْتَحْزِنُ مَا مَنَحَهُ) أعطاه (مَوْلَاهُ) من الأمداد على الأوراد (لِأَنَّكَ لَمْ تَرَ عَلَيْهِ سِيْمَا) أي: علامة (الْعَارِفِينَ وَبِهَجَّةٍ) نضرة وفرحة (الْمُحِبِّينَ)، فتظن أنه لو كان لأوراده فائدة لظهر آثارها على ظاهره.

(فَلَوْلَا وَاِرِدٌ) ورد على العبد من ذي الجلال والجمال (مَا كَانَ وَرْدٌ) الأوراد نتائج الواردات، وكم من عارف بالله ومحِب له لا يظهر حاله عند الناس. ونفائس الجواهر تُخَصُّ بالسواتر. ولا تظن أن العرفان يختص بمن ظهر عليه سيما، بل هو سرٌّ بين العبد وبين مولاه يظهر أثره تارة ويخفى أخرى.



(قَوْمٌ أَقَامَهُمُ الْحَقُّ لِحُدُومَتِهِ) فيستعملون ظواهرهم وضمائرهم في مرضاته، كآفين أنفسهم عن مواضع سخطاته، (وَقَوْمٌ اخْتَصَّصَهُم بِمَحَبَّتِهِ) فملاً قلوبهم من مودته، وجعلهم مشتاقين إلى حضرته، ومتعطشين إلى شربه وصيلته، وسكارى عن بريته، لا يحبون غير حبيبهم، ولا يشفيهم إلا لقاء طبيهم.

(كَذَلِكَ) من الفريقين (نُفِذُ) بأمداد لائقة به (هَؤُلَاءِ) العابدين (وَهَؤُلَاءِ) المحبين (مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ) الذي يرَبِّي كلاً بما هو أهله، (وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا) ممنوعاً عن أحد، لكن يصل على طبق القسمة التي وقعت في الأزل بالحكمة، وذلك أَنَّ الحكيم أعطى لكل ماهية من ماهيات الموجودات قابلية خاصة، ثم لما أظهرهم من العدم جرى الإمداد على وفق ذلك الاستعداد، فافهم إن كنت طالب الرشاد.



(قُلْ مَا تَكُونُ الْوَارِدَاتُ الْإِلَهِيَّةُ) التي تقربُ العباد إلى الهادي (إِلَّا بَغْتَةً) من حيث لا يدرون (صَيَانَةٌ لَهَا) من (أَنْ تَدْعِيَهَا الْعِبَادُ بِوُجُودِ الْإِسْتِغْدَادِ) الذي حصوله بأعمالهم.

ولو لم تكن بغتة لظنوا أنها لاستعدادهم، فيقعون في شبكة الأنانية، ويغفلون عن أنها إنما هي مواهب ذي الفردانية بمجرد جوده، وفي ذلك فتنة لهم وشوبٌ شريك، والله تعالى برٌّ بعبيده يحفظهم عن ما فيه ختفهم.



(مَنْ رَأَيْتَهُ مُجِيبًا عَنْ كُلِّ مَا سُئِلَ) مع أن هناك أشياء إذا سئل عنها لا يُخَبِّرُ بها؛ إذ ليس كل ما يعلم يخبر عنه، (وَمُعَبَّرًا عَنْ كُلِّ مَا شَهِدَ) مع أن هناك أمور لا يمكن التعبير عنها لعجزِ اللسان عن التبيان عنها، (وَذَاكِرًا كُلِّ مَا عَلِمَ) مع أن هناك علوم لا ينبغي ذكُّها لكل أحد من الناس لقصور أفهامهم عن إدراكها، ولذا قيل: حدّث الناس على قدر عقولهم، لا تُقَدِّرُ الحميرُ أن تحملَ جملَ البعير.

(فَاسْتَدِلُّ بِذَلِكَ عَلَى وُجُودِ جَهَنَّمَ) بحق ما ينبغي كُتْمُهُ؛ إذ لو كان عالِماً بِحَقِّهِ لَكَتَمَهُ، أو بتلك الأشياء والأمور والعلوم؛ إذ العالم بها لا يخبر عنها، ومن أخبر عنها فهو جاهل عنها.



(إِنَّمَا جَعَلَ) الجليل (الذَّارِ الْآخِرَةَ مَحَلًّا لِّجَزَاءِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) بما تقرّ به أعينهم وتفرح به قلوبهم ويتنعم به جسومهم؛ (لَأَنَّ هَذِهِ الذَّارِ) الضيقة (لَا تَسَعُ مَا يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ).

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَرًا رَأَيْتَ نَبْعًا وَوَمَلَكًا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠]، وقال ﷺ: «أدنى أهل الجنة من يكون له من الجنة مقدار الدنيا إحدى عشر مرة» ولذا خلق الكريم لجزائهم داراً عرضها كعرض السماء والأرض، فإذا كان هذا عرضها فما بالك بطولها.

(وَلَئِنَّهُ أَجَلٌ أَقْدَارُهُمْ) الجليلة (عَنْ أَنْ يُجَازِيَهُمْ) على إيمانهم وأعمالهم (في دارٍ لَا بَقَاءَ لَهَا) بل هي سريعة الفناء، مملوءة من البلاء، ولا تخلو لذاتها - مع قلتها - من اللأواء، فأخر جزاءهم لا لهوانهم عليه، بل لإزياد إكرامهم، والفهم يكفيه الإشارة من الحكيم.



(مَنْ وَجَدَ ثَمَرَةً عَمَلِهِ عَاجِلًا) بأن ازداد بذلك نور قلبه ونشاط جسده إلى الخير ورزقه، وفتح السنة العباد بالثناء عليه (فَهُوَ دَلِيلٌ عَلَى وُجُودِ الْقَبُولِ آجِلًا) عند الكريم، وَلِيَشْكُرِ الْعَامِلُ عَلَى ذَلِكَ، وَلِيَزِدَّ مِمَّا هُنَاكَ.



(إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قَدْرَكَ عِنْدَهُ فَانْظُرْ فِي مَا يُقِيمُكَ فِيهِ) فإن أقامك في الطاعة محفوظاً عن المعصية، وحسن الأدب معه، والتواضع له، والشوق إليه، والتعظيم له، وفيما يشاكل هذه فاعلم أن لك عنده قدراً جليلاً حيث وفَّقك لما هو عِلْمُ السعادة، فاحمده عليه، وأقبل بكليتك إليه. وإن ابتلاك بالمعصية محروماً عن الطاعة، وقلة الأدب معه، والتكبر،

وعدم الشوق إليه، وفيما يُشبه هذه، فاعلم أن قدرك مبخوس، وحظك منحوس، حيث بلاك بما هو دليل الشقاوة.

لكن مع ذلك لا تغتر بما يظهر منك من الحسنات، ولا تياس من فضله عند الابتلاء بالسيئات؛ إذ المقبل قد يُردُّ، والمدير قد يُودُّ فيسعدك الجد. ومدار الأمور على اللاحقة، وهي مبنية على السابقة.



(مَتَى رَزَقَكَ الطَّاعَةَ) في ظاهرك وباطنك (و) رزقك (الفنى به عنها) بأن تعلم أن نيل فضله يكفي فيه جوده وكرمه، من غير أن تكون الطاعة علة لذلك لأن عطاءه بمجرد الفضل، لا بالعلل، لكنه جعلها بجوده سبباً للكرامة وعلماً على السعادة.

(فَاعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ أَتَبَعَ عَلَيْكَ نِعْمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) حيث وفقك لما يحبه ويرضاه، وقطع نظرك عن ما عداه، فانقطع إليه عما سواه.



(خَيْرُ مَا تَطْلُبُهُ) أيها الطالب (منه) ليمنن به عليك (ما هو طالِبُهُ مِنْكَ) بلسان الشرع، وهو السعي في أداء مأموراته ومحباته، والتجنب عن منهياته ومكروهاته، فإنه طلب منك ذلك ليكرمك بإنعامه، ويخلصك من انتقامه، لكن لا تقدر عليه إلا بإعانتة، فاطلب توفيق ذلك منه ليسهله لك، وتوكل عليه في ما ضمن من رزقك.



(الْحُزْنُ عَلَى فَقْدَانِ الطَّاعَةِ) التي هي علم السعادة (مَعَ عَدَمِ النُّهُوضِ إِلَيْهَا) والسعي في تحصيلها (مِنْ عِلَامَاتِ الْإِغْتِرَارِ) بتغير الغرار الذي يغر من حزن على فقدان الطاعة بأن هذا الحزن يكفي في الوصول إلى المأمول، أو لا يعلم أن ذلك يحصل بتحمل أثقال الأعمال، لا بالأمانى والآمال؟!



(ما العارفُ مَنْ إذا أشارَ) إلى شيء من الأشياء الدالة على الحق (ووجدَ الحقُّ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ إِشارَتِهِ) لكمال حضوره معه، (بَلِ العارفُ مَنْ لا إِشارةَ لَهُ؛ لِفَنائِهِ فِي وُجودِهِ، وَأَنطوائِهِ فِي مَشْهُودِهِ) لأن بطلوع شمس المعارف عليه اختفى نجوم وجود ما سواه لديه، فلا يعرف إلا مطلوبه، ولا يشاهد إلا محبوبه، وهذا هو العارف عند أهل التصوف، والأول سالك.



(الرَّجاءُ) المعتبرُ (ما قازَنَهُ عَمَلٌ) صالح، (وَأَلاَ فَهُوَ أَمِينَةٌ) لا عبرة بها .
ألا ترى أن من تمنى الزرع لا يوجد بمجرد تمنيه من غير أن يسعى بكده فيه؟!



(مَطْلَبُ العارِفِينَ مِنَ اللَّهِ الصَّدَقُ فِي العُبُودِيَّةِ) التي هي صفة العبد، والصدق فيها أن يرى العبد أنه عَبْدٌ مَخْضٌ لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، وأنه ليس له من الأمر شيء، وأن سيده خَلَقَهُ لخدمته، فيسعى بكمال المحبة والتعظيم في تحصيل ما يحبه من طاعته، مع قطع نظره عنها، واعترافه بقصوره فيها، ويجتهد في الاحتراز عن ما يكرهه من الأوزار والأقذار، مع خوفه على نفسه.



(وَالْقِيَامُ بِحَقُوقِ الرُّبُوبِيَّةِ) التي هي وَصْفُ الحق تعالى، والقيام بحقوقها أن يعتقد العبد أنه تعالى إله واحد كامل في كمالاته، مقدس عن ما لا يليق بذاته العلية وصفاته، ويملا قلبه من حُبِّه، ويطرح نفسه على بابه، ويخاف من سطوات جلاله، ويرجو صلات جماله، ويكون له في باطنه وظاهره في جميع أحواله، ومع ذلك يرى أنه لم يقم بشيء من حقوق الربوبية؛ فَإِنَّ حَقُوقَ رَبِّ الأرباب أَجَلٌ من أن يقدر على القيام بها التراب ابن التراب.



(بَسْطَكَ) بأن تجلَّى عليه بأوصاف الجمال، وظهر لك في مظهر الإفضال، فشرح صدرك، وفرح قلبك، وفي جُودِهِ أطعمك، وأبدى آثار ذلك على ظاهرك، ولولا إمساكه إياك لمت من فرحك.

ألهمك (كَيْ لَا يُبْقِيَكَ مَعَ الْقَبْضِ) فتذوق لذة البسط كما ذقت لدغة القبض، (وَقَبْضُكَ) بأن تبدى عليك بصفات الجلال، وظهر لك في مظهر النكال، فضيق صدرك، وأحزن قلبك، وخوفك من سطوته، وأحمد أنايتك بكبرياء عظمتها، وأظهر علامات ذلك على ظاهرك، ولولا حفظه إياك لتلاشيت من هيتك.

(كَيْ لَا يَتْرُكَكَ مَعَ الْبَسْطِ) الذي يُوجِبُ لضعفاء العقول قلة الأدب، (وَأَخْرَجَكَ عَنْهُمَا) بأن تجلّى عليه بالجلال والجمال (كَيْ لَا تَكُونَ لِشَيْءٍ دُونَهُ) إذ بالخروج عنهما والتوسط يتم خلوصك له، إذ بالشغل بموجبات القبض والبسط يفوت الكون الخالص للموصوف بالقهر والغفران، فافهم إن كنت من أولي العرفان.



(الْعَارِفُونَ إِذَا انْبَسَطُوا) بتجلي أوصاف الجمال والإفضال الموجب لكمال الرجاء (أَخَوْفُ مِنْهُمْ إِذَا قُبِضُوا) بتجلي صفات الجلال الموجب لكمال الخوف؛ لكمال إيقانهم في مقام عرفانهم، فعند البسط يلاحظون سطوة القهار خوفاً أن يَقْعُوا في سوء الأدب مع الجبار، وحال القبض مأمونٌ عن غاية سوء الأدب، إذ لازمه التأدّب.

(وَلَا يَقِفُ عَلَى حُدُودِ الْأَدَبِ) اللائق بالرب (فِي الْبَسْطِ إِلَّا قَلِيلٌ) إذ مقامه يقتضي الانبساط والإذلال، وربما يجر ذلك إلى قلة الإدب مع ذي العزة والكبرياء وإلى الزوال من مرتبة الكمال.



(الْبَسْطُ تَاخُذُ النَّفْسُ مِنْهُ حَظَّهَا بِوُجُودِ الْفَرَجِ) المناسب لها (فيه)، وَمِنْ أَخْذِهَا مِنْهُ حَظَّهَا يَنْشِئُ سُوءُ الْأَدَبِ مَعَ اللَّهِ مِنْ أَهْلِ التَّقْصَانِ. (وَالْقَبْضُ لَا حَظَّ لِلنَّفْسِ فِيهِ) لوجود الغم المنافي لها فيه، ولذا لا يتأتى فيه ما ينافي الأدب، بل يتأدب مع سيدها كمال التأدّب.



(رُبَّمَا أَعْطَاكَ) خير الدنيا أو شيئاً منه (فَمَنْعَكَ) خير الآخرة الذي هو أعلى وأبقى، أو أكثر مما أعطاك. أو ربما أعطاك النعمة فمنعك شكرها. أو ربما أعطاك، وبه عنه أهلك، فمنعك من أن تقترب به إلى مولاك.

(وَرُبَّمَا مَنَعَكَ فَأَعْطَاكَ)، فلا تأمننَّ عند إعطائه من منعه، ولا تأيسنَّ عند منعه من إعطائه، ولا تغفلنَّ عن استدراجه، ولا تقطعنَّ رجاءك عن إفضاله.



(مَتَى فَتَحَ لَكَ بَابَ الْفَهْمِ) عنه (فِي الْمَنَعِ) بأن ألهمك أن المانع حكيم لا يمنع إلا لِحِكْمٍ لا تحصى وفوائد لا تقصى، وقد يكون المنع في حَقِّكَ خَيْرٌ من إعطائك، إذ بإعطائه ربما عنه أهلك، وبمنعه إليه أذكاء.

(عَادَ الْمَنَعُ) مع الفهم عنه (هُوَ عَيْنُ الْعَطَاءِ) إذ يقوم مقامه، بل يزيد عليه، مع أن الفهم لِلْحِكْمِ من أجل النعم.



(الْأَكْوَانُ ظَاهِرُهَا غُورٌ) فمن اغتر بظواهرها حجب بالآثار عن الأنوار وبالأغيار عن الأسرار، فلا تغتروا بها كي لا تبتلوا بوبال الغرور بها.

(وَبَاطِنُهَا عِبْرَةٌ) فمن اعتبر ببواطنها صارت له سُلَّم الوصول إلى أعلى المأمول، وانقلبت الأغيار دلائل على الغفار، والآثار براهين على الستار، فاعتبروا ببواطنها كي تفوزوا بمقاصدها.

(فَالنَّفْسُ) التي هي عديمة الفهم كثيرة الجهل ومجبولة على الشهوات واللذات (تَنْظُرُ إِلَى ظَاهِرِ غُورِهَا) فتغترُّ بها وتتكذِّرُ بأكدارها، (وَالْقَلْبُ يَنْظُرُ إِلَى بَاطِنِ عِبْرَتِهَا) فينتقل منها إلى بارئها، ويستفيد منها، بل يزداد به حباً ومعرفة لموجددها وقرباً إلى خالقها وأنساً بمالكها، فإن غلب نظرُها نظره أطفأت أكدارها أنوارَه، وعمَّت ظلماتُها وجْهَه، وجعلته من جملة جُنْدِها، بل اتخذته وزيرها، فلا يخرج منه إلا ما يوجب البعاد من ربِّ العباد، وإن غلب

نَظَرُهُ نَظَرَهَا أَزَالَتْ قِذَاهَا وَقَذَرَهَا وَانْطَفَأَتْ بِأُضْوَائِهِ ظُلُمُهَا وَجَعَلَهَا مُنْقَادَةً لَهُ
مُسَاعِدَةً لَهُ فِيمَا يَرِيدُ مِنَ الْقَرَبِ إِلَى الرَّبِّ.



(إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ لَكَ عِزٌّ لَا يَفْنَى، فَلَا تَسْتَعِزَّنْ بِعِزِّ يَفْنَى) بل اعتر
بعز المولى الذي عِزُّهُ لَا يَفْنَى، فالعزیز بأداء ما يحبه مولاه، وبترك ما يكرهه
ولا يرضاه عزیز في ذُلِّهِ بعزٌّ لَا يَفْنَى، والعزیز بعزٌّ عز مولاه ذلیل في عزه
الفاني بذل لَا يفارقه أبداً، فبالله فاستعزوا لا بغيره، فإن العزیز من أَعَزُّهُ
والذلیل من أَذَلُّهُ.



(الطَّيُّ الْحَقِيقِيُّ) عند أولي الأبصار (أَنْ تَطَّوَيَ مَسَافَةً الدُّنْيَا عَنْكَ)
وترميها بما فيها وراءك (حَتَّى تَرَى الْآخِرَةَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْكَ). فتجتهد في
العبرات كأنك تشاهد أحوالها، وتلاحظ الجنة مع قصورها وحورها وسرورها
وحبورها ونورها، وتتجنب عن السيئات كأنك ترى أهوال الآخرة وتعاين النار
مع عذابها وعتابها وحرها وشرها.



(الْعَطَاءُ مِنَ الْخَلْقِ حِرْمَانٌ) لَأَنَّ النقص الذي يحصل به لَا يساويه
نفعه، فوجوده حرمان، وحصوله خسران.
(وَالْمَنْعُ مِنَ اللَّهِ) الحكيم (إِحْسَانٌ) منه إلى عبده المسكين؛ إذ ربما
يكون هلاكه في حصول ما يهواه، فلا يفرحن عاقل بعطايا ذي النقصان،
وليعدَّ مَنْعُ مولاه من أجل الإحسان.



(جَلَّ رُبُّنَا أَنْ يُعَامِلَهُ الْعَبْدُ نَقْدًا فَيُجَازِيَهُ نَسِيئَةً) بل يجازيه على نقده
في دنياه فوق ما يتمناه، مع ما يدخر لأخراه.
ألا ترى كيف ينورُ قلوبُ أهل عبادته بأنواره، وعلى صدورهم من

أسراره، ويوفقهم لما يوجب لهم دار القرار، ويظهر سيماهم في وجوههم، ويسهل لهم مصعبات أمورهم، ويفتح السنة عباده بشنائهم، ويلقي الهيبة في قلوب أعدائهم، وقد ادخر لهم لآخرتهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.



(كَفَى مِنْ جَزَائِهِ إِيَّاكَ عَلَى الطَّاعَةِ أَنْ رَضِيكَ لَهَا أَهْلًا) بمجرد جوده وفضله، وأتى للتراب أن يكون أهلاً لخدمة ربّ الأرباب، وأتى لمن أصله نطفة منتنة ويحمل في باطنه قدرة ومآله إلى جيفة مذرة أن يكون أهل المجالسة لذي عالي الحضرة؟! فاحمد ربك على ذلك، وعدّ تكليفه تشريفك.



(كَفَى الْعَامِلِينَ) للخيرات (جَزَاءُ مَا هُوَ فَاتِحُهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فِي طَاعَتِهِ) من أنواره وأسراره التي تشرح بها الصدور ويتنور بها القلوب. (وَمَا هُوَ مُؤَدِّدُهُ عَلَيْهِمْ مِنْ وُجُودِ مُؤَانَسَتِهِ) التي هي من الذّ الأمور وأشهاها، لو جعلت الدنيا والآخرة في مقابلتها لما بلغنا عشر معشار قيمتها، لو ذاق الغافلون لذتها لازدحموا على طلبتها.



(مَنْ عَبَدَهُ لِشَيْءٍ يُرْجَوْهُ مِنْهُ) لا شوقاً إليه (أَوْ لِيَدْفَعَ بِطَاعَتِهِ وَرُودَ الْعُقُوبَةِ عَنْهُ) لا لاستحقاقه لذلك لمجرد ذاته (فَمَا قَامَ بِحَقِّ أَوْصَافِهِ) لأن مقتضى القيام بحقها أن يُعَبَّدَ لكمال ذاته وعلو صفاته، مع قطع النظر عن شيء آخر لاستحقاقه ذلك لذاته.

فمن عبده طمعاً في عطائه فهو أسير الأجرة، ومن عبده خوفاً من عقابه فهو عبد النعمة، ومن عبده له فهو عبد الحضرة، ومن عبده لاستحقاقه ذلك لذاته وصافته مع الرجاء في ثوابه والحذر من عقابه فهو من الكاملين الجمعين.



(مَتَى أَعْطَاكَ أَشْهَدَكَ بِرُّهُ) بتعرفه إليك بأوصاف الجمال لتحبه وتنقطع إليه وتعمل في أمرك عليه .

(وَمَتَى مَنَعَكَ أَشْهَدَكَ قَهْرَهُ) بتعرفه إليه بصفات الجلال لتخافه وتلتجئ إليه وتفر منه إليه .

(فَهُوَ فِي كُلِّ ذَلِكَ) من الإعطاء والمنع (مُتَعَرِّفٌ إِلَيْكَ) تارة يتجلى إليك في خلعة الجمال لتعرف أوصاف إفضاله ، وأخرى يتبدى لك في حلة الجلال لتعرف صفات كماله .

(وَمُقْبِلٌ بِوُجُودِ لُطْفِهِ عَلَيْكَ) فهو في إعطائه وَمَنْعِهِ لطيف بك ، فاعرف ما يعرفك ، وتعلم ما يعلمك ، وتقرب إليه بما به يقربك .



(إِنَّمَا يُؤَلِّمُكَ الْمَنَعَ لِعَدَمِ فَهْمِكَ عَنِ اللَّهِ فِيهِ) لو فهمت ما له فيه من الحكيم لما تألمت ، بل تنعمت .

الجاهل بالحكم معذب عند الفقد بالتقم ، والعارف بها متنعم بنعم الفهم .



(رُبَّمَا فَتَحَ لَكَ بَابَ الطَّاعَةِ وَمَا فَتَحَ لَكَ بَابَ الْقَبُولِ) عنده لسر يعلمه ، وتصير كالحمار يحمل أسفاراً ، فلا تغترن بفتح باب الطاعة أنه قطعاً يحبك ، ولا تأمن من مكره فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون .

(وَقَضَى عَلَيْكَ بِالذَّنْبِ) وابتلاك به (فَكَانَ سَبَباً فِي الْوُصُولِ) بأن أيقظك عند ارتكابه ، وألهمك قُبْحَهُ وسوء مآله ، وحَقَّرَ به إليك نفسك ، وكسر قوة أنانيتك بالابتلاء به ، ووفقك للتوبة عنه ، وجعلك من أوليائه ، فإن الله يحب التوابين ، فلا تيأس من فضله عند الابتلاء بالذنوب .



(مَعْصِيَةٌ أَوْرَثَتْ) لأربابها (ذُلًّا) بأن رأوا أنفسهم أذل الأشياء لابتلائهم بها ، (وافتقاراً) بأن رأوا لأنفسهم افتقاراً شديداً إلى ربهم ، لئن لم يرحمهم لكانوا من الخاسرين .

(خَيْرٌ) عاقبة (مِنْ طَاعَةِ أَوْزَنْتَ عِزًّا) لأربابها بأن رأوا أنفسهم أعزة لصدورها منهم، (وَاسْتِكْبَارًا) بأن رأوا أنفسهم كبيرة على من سواهم، وفيه هلاكهم.

ألا ترى أن آدم ﷺ لما أورثه نسيانه ذلاً بين يدي ربه وافتقاراً إليه جعله صفياً خَلَقَهُ وخليفة أرضه، وأخرج من صلبه أفضل خلقه، وردّه إلى رحمته بأعظم كرامته، وأن إبليس لما أورثته إطاعته عزّاً واستكباراً طرده من الجنة والجوار، وجعله أشقى الأشرار ورأس أهل النار، فاعتبر إن كنت من أهل الاعتبار.



(نِعْمَتَانِ مَا خَرَجَ مَوْجُودٌ عَنْهُمَا، وَلَا بُدَّ لِكُلِّ مُكُونٍ مِنْهُمَا: نِعْمَةٌ الْإِيجَادِ) وهو يدل على كماله في ذاته وصفاته، وجعله الشيء دليلاً عليه من أجل نعمه عليه، (وَنِعْمَةٌ الْإِمْدَادِ) ببقاء الوجود بعد الإيجاد، ولولا إبقاؤه لفني.



(أَنْعَمَ عَلَيْكَ) بجوده (أَوَّلًا بِالْإِيجَادِ) وجعلك دليلاً عليه، (وَ) أنعم عليك (ثَانِيًا بِتَوَالِي الْإِمْدَادِ) ولولا توالي إنعامه عليك لتفانيت. فاشكر مولاك على ما أولاك، واحمده على ما حبأك، وتقرب إليه بما تقدر عليه.



(فَافْتَكُتْ) أيها الفقير (لَهُ ذَاتِيَّةٌ) قال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُ الْفُقَرَاءُ﴾ [محمد: ٣٨] فكما أنّ غناه تعالى عن ما سواه ذاتي، فكذلك فقرنا إليه ذاتي لا يفارقنا حيثما كنا.

(وَوُرُودُ الْأَسْبَابِ) الْمُخَوِّجَةِ إِلَى هِبَةِ الرِّهَابِ (مُذَكِّرَاتٌ لَكَ بِمَا خَفِيَ عَلَيْكَ مِنْهَا) أي: من فافتك، فتذكر بها فقرك وفافتك، وارْجُ قضاء حاجتك من ذي نعمتك، وصِرْ له بكليتك.

(وَالْفَاقَةُ الدَّائِيَّةُ لَا تَدْفَعُهَا) الأمور (العَوَارِضُ) فلو أعطي أحد من العبيد جميع مُلك المجيد لم يخرج من فَقْرِهِ، بل هو بَعْدُ من أَخَوَجِ الخَلْقِ إلى ربه، فلا تستغن بغير مولاك، ولا يشغلنك عنه ما أعطاك.



(خَيْرُ أَوْقَاتِكَ) أيها الفقير (وَقْتُ تَشْهَدُ فِيهِ وُجُودَ فَاقَتِكَ) الذاتية، (وَتُرَدُّ فِيهِ إِلَى وُجُودِ ذِلَّتِكَ) اللازمة لك لفاقتك، وهذه الحالة هي الحالة اللائقة لأهل العبودية.

ابتلى الحكيمُ عبيدَهُ بالفقر والفاقات، وصب عليهم سجال البليات، ليظهر سر عبوديتهم بذلك.

وللحكيم حَكْمٌ في بلاياه وعطاياه، فسَلِمَ له أمره، وكن ملازماً لفقرك ملاحظاً لفاقتك.



(مَتَى أَوْحَشَكَ) يا أيها المريد (مِنْ خَلْقِهِ) بأن ألقى في قلبك نفرة عنهم، أو جعلهم مُعْرِضِينَ عنك، مسيئين الأدب معك، فينقطع التفاتك إليهم، (فَاعْلَمْ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَفْتَحَ لَكَ بَابَ الْأُنْسِ بِهِ) وأنسه من أعظم النعم عند أهل الفهم.

وازجُ عند وحشتك عنهم فَتَحَ باب أنسه، ولا تبال بوحشتهم. ولا يتم به الأنس إلا عند الانقطاع عن ما سواه كالأنس.

والحكيم كثيراً ما يسلط على بعض من يحبه بعض عبيده لينقطع تعلقه عن الخلق ويتبتل إلى الحق، وقليل من يثبت من أرباب الأحوال عند رجوع الخلق إليه والإقبال، وكم أفسد على أولي الأحوال إقبال الرجال.



(مَتَى أَطْلَقَ إِسَانَكَ بِالطَّلِبِ) من فضله (فَاعْلَمْ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُعْطِيَكَ) لأن الكريم الحكيم إذا أراد إكرام عبده بنعمته ألقى في قلبه أمنيته، وأطلق لسانه بطلبته، وأظهر بذلك خلاصة العبودية.

ثم إن قدرها له في الدنيا أعطاه إياها في الوقت الذي عيَّنه لها، وإن لم يقدرها له فإمّا أن يدفع عنه من سوء ما هو أعظم فائدة من حصولها، أو يدخر له في الآخرة ما هو أعلى وأجل، فمن فُتِحَ لسانه بالطلب عن علام الغيوب فليزجُ حصولَ المطلوب.



(العارفُ) بغنى مولاه وفقر ما خلاه (لا يزولُ اضْطِرَّاءُهُ) إلى الغني الجواد؛ لشهوده فاقته الذاتية اللازمة معه، بل كلما يزداد معرفة بربه يزداد عِلْمُهُ بِفَقْرِهِ وفاقته.

(وَلَا يَكُونُ مَعَ غَيْرِ اللَّهِ) الذي شاهد جماله وإفضاله مع كماله في كل مآله (قَرَارُهُ) وكيف يكون مع غيره قراره وهو حبيبه وطيبه وبُغْيَتِهِ وأنيسه وجليسه، لو ذاق المحجوب لذة مشاهدته ومؤانسته وملاطفته لأسقط في يديه للحسرة الواقعة عليه من فوات أعلى المطالب عنه.



(أَنَارَ الظُّوَاهِرِ بِأَنْوَارِ آثَارِهِ) كالشمس والقمر والنجوم والمصابيح، (وَأَنَارَ السَّرَائِرِ) التي صفاها عن ما عداها (بِأَنْوَارِ أَوْصَافِهِ) العلية الأزلية الأبدية، وشتان ما بين الإنارتين.

(لِأَجْلِ ذَلِكَ) الذي تقدم من أنّ أنوار الظواهر من الحديثة وأنوار السرائر من القديمة (أَقَلَّتْ) غربت (أَنْوَارُ الظُّوَاهِرِ) لأفول ما قامت به وتغيّره من حالٍ إلى حال كما هو شأن الحادث، (وَلَمْ تَأْفَلْ) تغرب (أَنْوَارُ الْقُلُوبِ) وَالسَّرَائِرِ لِقَدَمِ ما قامت به.

فأنوار القلوب أبدية أزلية، لكن لا تظهر عليها إلا عند قابليتها لها، وحدوث القلوب وفنائها لا يستلزمان حدوثها وفنائها، (وَلِذَا قِيلَ: إِنَّ شَمْسَ النَّهَارِ تَغْرُبُ بِاللَّيْلِ) لأنها خُلِقَتْ لمصالح لا تتم إلا بذلك، (وَشَمْسُ الْقُلُوبِ لَا تَغِيْبُ) لاستحالة الغروب عليها لِقَدَمِهَا.



(لِيُخَفَّفَ أَلَمَ الْبَلَاءِ عَنْكَ عَلَمُكَ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُبْلِي لَكَ) وهو الحكيم لا يبلي إلا لحكم، وفعلُ ذي الحكم لا يتقَلُّ على ذوي الفهم. وهو ربك الجليل، وأنت عبده، والعبد لا يألم بما يتصرف فيه ربه الجليل. وهو حبيبك وأنت محبه، والمحِبُّ الصادق لا يألم بما يحبه من الحبيب، بل يفرح بذلك فرحاً شديداً حيث رآه أهلاً لأن يمتحنه ببلاءه. وكفاك من حبيبك بأن يعلم أنك تحبه.

ثم البلاء مظهر قَهْرِهِ، يرد به عبده إلى بابه، ويربهم سطوة جلاله، ويظهر لهم كونهم مقهورين مغلوبين ليس لهم من الأمر شيء، ويردعهم به عن الذنوب، ويظهرهم به عن أقدار الأوزار، ويرفع به درجتهم في دار القرار. (فَأَذِنِي وَاجْهَتِكَ مِنْهُ الْأَقْدَارُ) التي قدَّرها في الأزل (هُوَ الَّذِي عَوَّدَكَ حُسْنَ الْإِخْتِيَارِ) يليك بالبلاء الذي قدَّره، ويعودك حسن اختياره لك بأن يصبرك عليه ويهون أمره عليك ويكشفه عنك إذا توجهت بالصدق إليه، وربما تكون العطايا في البلايا، فإذا ابتلاك فارجُ حسن اختيار مولاك، ولا تقنط من فضله.



(مَنْ ظَنَّ أَنْفِكَ أَنْ لُطْفِهِ عَنْ قَدَرِهِ) أَيَّ قَدَرٍ كَانَ (فَذَلِكَ لِقُصُورِهِ) فَإِنَّ لِلطَّيْفِ فِي كُلِّ قَدَرٍ لُطْفًا بِخُلُقِهِ، حَتَّى إِنْ لَهُ لُطْفًا فِي قَدَرِ الْبَلَاءِ بِمَنْ ابْتَلَاهُ، فَإِنَّهُ لَوْ شَاءَ لَا ابْتَلَاهُ بِأَشَدِّ مِنْ ذَلِكَ، لَا يُفَرِّضُ بَلَاءً بَلَغَ النِّهَايَةَ إِلَّا وَفَوْقَهُ بَلَاءُ اللَّهِ قَادِرٌ عَلَيْهِ، وَالْجِبَارُ وَإِنْ يَعَذِّبُ الْكَفَّارَ بِأَشَدِّ الْعَذَابِ لَكِنَّهُ قَادِرٌ عَلَى إِيجَادِ عَذَابٍ أَغْلَظَ مِمَّا أَوْجَدَهُ، فَلَوْ شَاءَ أَوْجَدَهُ وَعَذَّبَهُمْ بِهِ، فَهُوَ فِي تَقْدِيرِهِ هَذَا الْعَذَابَ لَهُمْ لَطِيفٌ بِهِمْ، سُبْحَانَهُ مَا أَشْمَلَ إِحْسَانَهُ.



(لَا يُخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَلْتَبِسَ الطَّرِيقَ) طَرِيقَ الْخَيْرِ وَطَرِيقَ الضَّرِيرِ (عَلَيْكَ) فَلَا تَقْدِرُ عَلَى تَمْيِيزِ خَيْرِهَا مِنْ شَرِّهَا لِاتِّبَاعِهَا فِي ذَوَاتِهَا لِأَنَّ ذَوَاتِ الطَّرِيقِ مُتَبَايِنَةٌ، وَهِيَ مُتَصِفَةٌ بِأَوْصَافٍ مُتَفَارِقَةٍ، فَطَرِيقُ الْهُدَايَةِ بَايِنَةٌ ظَاهِرَةٌ، وَطَرِيقُ الْغَوَايَةِ وَاضِحَةٌ بَاهِرَةٌ لَا اشْتِبَاهَ بَيْنَ ذَوَاتِهَا حَتَّى تَلْتَبِسَ.

(وَإِنَّمَا يُخَافُ عَلَيْكَ مِنْ غَلَبَةِ الْهَوَى) التي تعمي نور البصيرة التي تميز بين طرق الهداية والغواية.

والهوى: مِيلُ النفس إلى ما تشتهيه من الشهوات واللذات والبدعات والسيئات، فإذا غلب هواها وانجذبت إلى ما تهواه أطفأت ظلماتها نور البصيرة، وغطتها حتى تجعلها عمياء لا تدرك إلا ما أشربت من هواها، فحينئذ ينحرف صاحبها عن الصراط المستقيم، وطرق الرشd إلى طريق الجحيم وسبل الغي، كانحراف أعمى البصر عن السبيل الواضح إلى غيره، لا لأن السبل ملتبسة، بل لعماء. فإياك وغلبة الهوى لثلاث تُصرف عن طرق الهدى إلى سبل الردى.



(سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الْخُصُوصِيَّةِ بِظُهُورِ الْبَشَرِيَّةِ) وذلك أن الحكيم العليم خص قوماً بعطاياه ومزاياه، وابتلى قوماً ببلاياه، وأعطى كلاً استعداداً ما خصه به، وأشرك كلهم في البشرية وأظهرهم في كسوتها فالأفاضل والأراذل كلهم في البشرية ولوازمها متشاكرون متشابهون لا يميزون في ظواهرهم، مع أنهم في سرائرهم متباينون بوناً بعيداً.

ألا يرى إلى سيد الأحياء محمد ﷺ، ورئيس الأعداء فرعون، استويا في البشرية، واستباناً في الخصلة السرية.

ومثال هذا مثال الأصداف وما فيها، فأصداف فيها دُرر لا قيمة لها لعلو شأنها، ويزين بها تيجان السلاطين وحلوق حور المستورات لرفعتها، وأصداف فيها قذى وقدر ننته لا ينظر إليها لخستها.

(وَظَهَرَ بِعَظَمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ فِي إِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ) وذلك أن الله تعالى كان كاملاً في ذاته وصفاته وكبرياته وعظمته، وكان يعرف ذلك لنفسه بنفسه، ولم يكن معه غيره حتى يعرفه، وقد أحب أن يُعرف فأظهر أهل العبودية وجعلهم دلائل على عظمة الربوبية، والأشياء تُعرف بالدلائل والأضداد، وعرفهم ذاته وصفاته على قدر قابليتهم وغاية عرفانهم؛ إذ لا يعرف الرب كما ينبغي معرفته غيره.



(لَا تُطَايِبَ رَبَّكَ بِتَأْخِيرِ مَطْلُوبِكَ) لما في ذلك من إيهام تكذيبه في وعده ونسبة الشح إليه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وسوء الأدب معه ربما أخر مطلوبك لتأخيرك مطلوبه؛ جزاء وفاقاً.

(وَلَيْكُنْ طَالِبٌ نَفْسَكَ بِتَأْخِيرِ أَذْبِكَ) الذي أذبك به من إتيان أوامره وترك زواجه، والتسليم لأمره، والتعظيم له لعظيم قدره.



(مَتَى جَعَلَكَ فِي الظَّاهِرِ مُفْتِئِلاً لِأَمْرِهِ) كما يحب ويرضى، (وَوَزَّقَكَ فِي الْبَاطِنِ الْإِسْتِسْلَامَ لِقَهْرِهِ) حيث لا تجد حرجاً في صدرك مما يفعل وتسلم أمره تسليماً، بل ينشرح قلبك لذلك إكراماً له وتعظيماً، (فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَيْكَ الْمِنَّةَ) إذ أعلى المنن بأن تكون الظواهر بطاعته معمورة، وتكون البواطن بالانقياد والإذعان - مع كمال التعظيم لمشيئته - مغمورة. مَنْ أعطاه ذلك فليحمده على ما جباه، ومن بلاه بغير ذلك فليبك على خطاياها.



(لَيْسَ كُلُّ مَنْ ثَبَّتَ تَخْصِيصُهُ) بالسعادة (كَمَلَّ تَخْلِيصُهُ) عن شوائب الشركاء، فكم من شخص خصه بالسعادة وبلاه أولاً بعبادة غيره، ثم أخرجه عنها إلى طاعته، وكم من شخص سبقت له السعادة وهو مشوب بأكدار الأغيار وأوساخ الآثار وأقذار الأوزار، ليس كل ذهب يكون خالصاً.



(لَا يَسْتَحَقِرُّ الْوَرْدَ) الذي شرعه الله تعالى ليتقرب به العباد إليه (إِلَّا جَهُولٌ) عمن شرعه وعن حُكْم شرعه لها، والورد سُلَّم المريد إلى الملك المجيد.

(الْوَارِدُ) الذي يَرِدُ من الله تعالى الكريم على قلوب عباده ليجذبهم به إليه (يُوجَدُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ) كما يوجد في هذه الدار، ولا يزال أهل الجنان يزدادون في العرفان للواردات التي تَرِدُ عليهم من ربه الرحمن.

(وَالْوَرْدُ) الذي هو من فروع التكليف (يَنْطَوِي بِأَنْطَوَاءِ هَذِهِ الدَّارِ)؛ إذ

بطي الدنيا تُطَوَّى صحف التكليف، فلا تكليف بعدها، وإنما تخرج الأذكار من السنة أهل دار القرار على طريق الطبع كخروج النَّفْسِ.

(وَأَوَّلَى مَا يُغْتَنَى بِهِ) بتحصيله (مَا لَا يُخْلَفُ وَجُودُهُ) وهو الْوَرْدُ الفائت بفوات الدنيا والموت، وللأوراد خواص وفواضل لا تحصل إلا بها، وهي أسباب الترقى في الدرجات عند خالق الموجودات، بخلاف الوارد فإنه لا ينقطع. فالاعتناء بالورد أولى من الاعتناء بالوارد، وكثير من أهل القصور اعتناءهم بالوارد أكثر من الورد.

(الْوَرْدُ) الذي جعله سلّم الوصول إليه (هُوَ طَائِبُهُ مِنْكَ) ليرفك به إليه، (وَالْوَارِدُ أَنْتَ تَطْلُبُهُ مِنْهُ) لشدة شوقك إليه، (وَأَيَّنَ) مقدار (مَا هُوَ طَائِبُهُ مِنْكَ) مِمَّا هُوَ مَطْلُبُكَ مِنْهُ) وذلك أن مقدار المطلوب على قدر الطالب، فأَيَ مقارنة بين ما يطلبه العليم الحكيم العظيم الرحيم، وبين ما يطلبه الجهول الضعيف الإدراك؟! مقدار المطالب على قدر الطالب.



(وُورِدُ الْإِمْدَادِ) من المولى الهادي (بِحَسَبِ الْإِسْتِغْدَادِ) الذي قسمه الحكيم بحكمته في خلقته، فكلُّ إمداده على قدر استعداده، كل ميسر لما خلق له.

(وَشُرُوقُ الْأَنْوَارِ) القلبية (عَلَى قَدَرِ صَفَاءِ الْأَسْرَارِ) فمن كانت سريره أصفى من الأكدار كان نوره أنور الأنوار.

ألا يرى أن جلاء المرأة على قدر صقلها؟!

فليجتهد السالك في تصفية أسرارهِ ليزداد نور أنواره التي تُعِين على الوصول إلى مقصوده.



(الْغَافِلُ) عن القادر المختار الذي يفعل ما يختار، وعن معرفة الحق لأهله، (إِذَا أَصْبَحَ نَظَرَ) وتفكر (مَاذَا يَفْعَلُ) لنظره إلى نفسه واعتماده على قوته.

(وَالْعَاقِلُ) الذي عقل حقائق الأشياء وأثبت لكل ذي حق حقه (يَنْظُرُ) ماذا يَقَعُلُ اللهُ الذي بيده الأمر كله، وليس لغيره منه شيء، وَيَسَلِّمُ له أمره ويرضى بما يفعل المولى.

استراح العقلاء من تعب التدبير لتفويضهم الأمر إلى العليم القدير، وتعذب الغفلاء بأنواع عذاب التدبير لجهلهم برب أمرهم.



(إِنَّمَا يَسْتَوْحِشُ الْعُبَادُ) المولعون بأنواع العبادة ليفوزوا بالسعادة، (وَالزُّهَادُ) المولعون بترك الدنيا ليفوزوا بحب المولى (لِغَيْبَتِهِمْ عَنْ) تجلي (الله) بمظاهر صفاته (فِي كُلِّ شَيْءٍ) مع أنه تجلى في كل شيء بمظاهر صفاته وجعله دليلاً على ذاته، فلما غاب عنهم شهوده فيه وشاهدوا الآثار في كسوة الأغيار تنفروا عنها واستوحشوها لحيلولتها بينهم وبين بُغِيَّتِهِمْ.

(فَلَوْ شَهِدُوهُ) بتجليه الصفاتي (فِي كُلِّ شَيْءٍ لَّمْ يَسْتَوْحِشُوا مِنْ شَيْءٍ) لشهودهم إياه فيه. وأقرب مثال مناسب لهذا الباب مثال شخص يحب شخصاً آخر لكمال وجهاله، ولم يزل متعشياً إليه مشتاقاً إلى مشاهدته وملاقاته، فظهر له محبوبه ولم يعرفه، ورآه أنه يصدّه عن حبيبه، فاستوحشه وتنفر منه وأعرض عنه، وكره صحبته لثلا يحول بينه وبين حبيبه، ولو علم أنه هو الذي كان يحبه ويشتاق إليه لما استوحش منه.

والأمثال تضرب لتقريب الأمور الدقيقة إلى الإفهام، وجلّ الباري من أن يكون عين الحادث أو حالاً فيه، وإنما هو دليله الذي لكمال دلالته عليه من شاهده فكأنما شاهد ربه.



(أَمَرَكَ) يا أيها المشتاق إلى رؤية ذاته (فِي هَذِهِ الدَّارِ) الفانية التي لا يتأهل فيها المحب أن يرى محبوبه الدائم الباقي (بِالنَّظَرِ إِلَى مُكَوَّنَاتِهِ) التي تخبرك عن كمال ذاته وصفاته، وهي أنموذج كمالاته لتتسلى بها عنه لأن المحب يتسلى بآثار من يحبه ويزداد شوقاً إليه حين يشاهدها، ويتضاعف حباً

له حين يراها، دلائل الحبيب عند المحب كدواء الطيب.

(وَسَيَكْشِفُ لَكَ فِي تِلْكَ الدَّارِ) الْبَاقِيَةَ الَّتِي تَأْهَلُ أَهْلُهَا لِرُؤْيَا ذَاتِ بَارِيهَا
(عَنْ كَمَالٍ ذَاتِهِ) فَتَرَاهُ عَيَانًا، وَتَزْدَادُ فِيهِ إِيقَانًا، وَتَتَضَاعَفُ لَهُ عِرْفَانًا، وَذَلِكَ
الْفَوْزُ الْأَكْبَرُ.



(عَلِمَ مِنْكَ) لِمَا غَرَزَ فِيكَ مِنَ الْإِنْجِذَابِ إِلَيْهِ (أَنْتَ لَا تَصْبِرُ عَلَيْهِ) عَلَى
فِرَاقِهِ وَكَوْنِكَ مَحْجُوبًا عَنْهُ لَشِدَّةِ شَوْقِكَ إِلَيْهِ وَحُبِّكَ لَهُ، (فَأَشْهَدُكَ مَا بَرَزَ
مِنْهُ) وَأَظْهَرَ فِيهِ جَلَالَهُ وَجَمَالَهُ وَكَمَالَهُ وَإِفْضَالَهُ، فَسَلَّكَ بِهِ لِأَنَّكَ إِذَا شَاهَدْتَهُ
فَكَأَنَّكَ شَاهَدْتَ حَبِيبَكَ.



(لَمَّا عَلِمَ الْحَقُّ) الْعَلِيمَ بِحَقَائِقِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي وَهَبَهَا لَهُمْ (مِنْكَ) وَجُودَ
الْمَلَكِ) مِنْ إِدَامَةِ طَاعَةٍ وَاحِدَةٍ لِأَنَّهُ جَبَلَكَ عَلَى الْمَلَلِ مِنْ ذَلِكَ، (كَلَوْنٍ) نَوْعَ (تِلْكَ
الطَّاعَاتِ) مِنَ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَالْقَوْلِيَّةِ وَالْفِعْلِيَّةِ وَالْمَالِيَّةِ وَالْبَدْنِيَّةِ وَالْمُرَكَّبَةِ
مِنْهُمَا لِتَتَوَسَّعَ فِي مَرَاتِعِهَا وَتَأْخُذَ مِنْ كُلِّ خَطِّهَا وَتَذُوقَ مِنْ كُلِّ حِلَاوَتِهَا.
(وَعَلِمَ مَا فِيكَ مِنْ) وَجُودِ الشَّيْءِ) الْحَرَصِ الشَّدِيدِ لِأَنَّكَ إِذَا عَلِمْتَ
فَوَائِدَهَا وَذَقْتَ عَوَائِدَهَا تَنَهَّمُكَ فِيهَا حَتَّى تَقَعَ فِي الْإِفْرَاطِ الْمَوْجِبِ لِلِاخْتِلَالِ
فِي الْأَعْمَالِ، (فَحَجَّرَهَا عَلَيْكَ) وَكَفَّكَ عَنْ قَرْبِهَا (فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ) الَّتِي
يُوجِبُ الْفَرَاغَ فِيهَا النِّشَاطُ فِي مَا بَعْدَهَا لِأَنَّ ذَا الزَّوَالِ مُجْبُولٌ عَلَى الْكِلَالِ مِنْ
مُبَاشَرَةِ ثِقَالِ الْأَعْمَالِ.

(لَيْكُنْ هَمَّتْكَ إِقَامَةُ الصَّلَاةِ، لَا وَجُودَ الصَّلَاةِ) وَجُودُهَا بِوُجُودِ أَرْكَانِهَا
وَشَرَائِطِهَا اللَّازِمَةِ عَلَى لِسَانِ الشَّرْعِ، وَإِقَامَتُهَا بِأَدَائِهَا بِلَوَازِمِهَا وَنَوَافِلِهَا مَعَ
كَمَالِ الْإِخْلَاصِ وَالْحَضُورِ وَالْخُشُوعِ اللَّهُ فِيهَا كَأَنَّكَ تَرَاهُ.

(فَمَا كُلُّ مُصَلٍّ مُقِيمٌ) لِلصَّلَاةِ، وَالتَّفَاوُتُ بَيْنَ وَجُودِ الصَّلَاةِ وَإِقَامَتِهَا
كَالتَّفَاوُتِ بَيْنَ الدَّرِّ الْأَنْوَرِ وَبَيْنَ الْمَدَرِّ الْأَكْدَرِ، وَجِزَاءُ كُلِّ عَلَى قَدْرِ صَلَاتِهِ.



(الصَّلَاةُ) المؤداة بحقوقها (طَهْرَةُ الْقُلُوبِ مِنْ) أوساخ (الدُّنُوبِ) والعيوب الحائلة عن تجلي كاشف الكروب على القلوب، (وَاسْتِفْتَاخُ) إِبَابِ (الْغُيُوبِ) وهي عبادة جامعة لخلّص العبادات وأعلاها، ولا تزال تكشف الحجب عن قلوب مقيميها وتصفي صدورهم عن أوساخها وتوسع أنوارها حتى تتصل بأنوار المغيبات، ويطلع أصحابها على الكامنات في الملك والملكوت، ويصيرون مشاهدين لذي العزة والجبروت.



(الصَّلَاةُ مَحَلُّ الْمُنَاجَاةِ) مع رب الموجودات بكلامه الجليل الذي أنزله على سيد البريات صلى الله عليه أفضل الصلوات، يناجي فيها المحبون حبيبهم ويخاطبون فيها طبيهم.

(وَمَقْدِنُ الْمُصَافَاةِ) إذ بها يذهب كل كدر وقدر من أربابها، (تُتَسَبَّحُ) فيها مَيَادِينُ الْأَسْرَارِ) فللقُرْآنِ الذي يقرأ فيها أسرار لا تعد ولا تحصى لأن أسرارها على قدر أنواعه، تارة يحمد الرب، وتارة يعترف له بالعبودية، وتارة يسأل منه الإعانة والهداية والنجاة عن الانضمام في سلك أهل الغواية، وتارة يذكر بشارته، وتارة يتلى إنذاره، وتارة يقص القصص. ولأذكارها على اختلاف أقسامها أسرار، ولأركانها وسنتها على تنوع أصنافها أسرار. (وَتُشْرِقُ فِيهَا شَوَارِقُ الْأَنْوَارِ) يُزَالُ بها غَيْنُ الْأَغْيَارِ وكدر الأنار، ويتوصل بها إلى الله الغفار الستار.



(عَلِمَ وَجُودَ الضَّعْفِ مِنْكَ) حيث خلقت ضعيفاً عن تحمل أثقال الطاعات (فَقَلَّلَ أَعْدَادَهَا) بأن جعلها خمساً، (وَعَلِمَ احتِياجَكَ إِلَى فَضْلِهِ) الذي لا يحصل إلا بالصلوات والحسنات (فَكَثَّرَ أَمْدَادَهَا) بأن شرع الوتر والسنن الراتبية وغيرها، ووسع في نوافلها، لم تهجر إلا في أوقات قليلة.



(مَتَى طَلَبْتَ عَوْضاً) من أعواض الأولى أو العقبى (عَلَى عَمَلٍ) صالح من أعمالك (طَوَيْتَ بِوُجُودِ الصَّدَقِ فِيهِ) والصدق فيه أداؤه على أكمل

الرجوه مع أعلى الإخلاص فيه، ولو فتشت عملك الذي تريد عليه العوض لما وجدت فيه الصدق الذي ينبغي له. من لم يعرف حال ماله ربما يفتضح عند نقده لظهور غشه.

(وَيَكْفِي الْمُرِيبَ) في حال عمله هل وجد فيه صدقه أم لا (وُجِدَانُ السَّلَامَةِ) إذ الناقد بصير. وربما يكون عمله مغشوشاً يجد عليه القهار ويؤدبه بالنار، إذ من يسيء الأدب في طاعة الملك الجبار أهلٌ بأن يعذب بأشد الأكدار، ومن لم يأت بالخدمة بأدائها يستأهل أن يعاقب عليها. ثم لو فرض أن عملك قد وجد صدقه فلا ينبغي أن تطلب عليه عوضاً؛ إذ هو ليس لك بقوتك، بل قوة الله، فليس العلم في الحقيقة منك.



(لَا تَطْلُبُ عَوْضاً عَنْ عَمَلٍ لَسْتَ لَهُ عَامِلًا) في الحقيقة لأنّ الكريم هو الذي أوجدك وأوجد قوتك التي قويت بها عليه، وخالقه على جارحتك، وليس لك إلا الكسب المشاهد.

(يَكْفِي مِنَ الْجَزَاءِ لَكَ عَلَى الْعَمَلِ) الذي تريد الجزاء عليه (أَنْ كَانَ لَهُ قَابِلًا) لأن الكريم العظيم الغني الجليل إذا قبل هديتك الحقيرة الضعيفة التي لا تعدل عنده جناح بعوضة كفاك جزاءً وثواباً. وانظر إلى هديتك وانظر إلى من تهديها إليه حتى يتبين لك الأمر على ما هو عليه.



(إِذَا أَرَادَ) ذو الفضل العظيم (أَنْ يُظَهَرَ فَضْلُهُ عَلَيْكَ خَلَقَ) ذلك العمل الذي صدر منك بقدرته الكاملة المنزهة عن الشراكة، (وَوَسَّيَ إِلَيْكَ) وقال: هذا عملك أجازيك عليه من فضلي.

ما أجود هذا الكريم، ينسب ما له إلى غيره، ويكافيه على قدره.



(لَا نِهَايَةَ لِمَذَامِكَ) يا أيها المسكين (إِنَّ أَرْجَعَكَ إِلَيْكَ) فانظر أصلك التراب، ومسكنك الخراب، وانقلابك إلى تراب، وجعل في باطنك من

الأقدار المعنوية ما تعلمها لو فتشت عنها، والأكدار الحسية ما تعرفها لو نظرت إليها، وفي ظاهرك ما لا يعد من القبائح والفضائح، ولو رأيت انغماسك في مذاذك لمتّ من كمدك، ولو شاهدت انخرامك في ذلك لما رفعت رأسك من خجلك.

(وَلَا تَفْرُغْ مَدَائِحُكَ إِنْ أَظْهَرَ جُودَهُ عَلَيْكَ) فانظر أنت مظهر جوده وفَيْضُ فَضْلِهِ، وخليفته في أرضه، ودليل كماله في نكاله وإفضاله، ومنيع أسراره، ومحط أنواره، فإذا كنت كذلك فمتى تفرغ مدائحك؟
ولو عرفت قدرك بالنسبة إلى جوده عليك لطرت من فرحك، فسبحان من جمع في الإنسان كمال العز وغاية الهوان.



(كُنْ بِأَوْصَافِ رُبُوبِيَّتِهِ مُتَعَلِّقًا) بأن تعلم بأنه متصف بالجمال والجلال الذين الربوبية جامعة لهما، وأعطِ كل وصف من أوصافها حقّه، فإذا تجلى عليك بأوصاف القهر والجلال فافعل ما يناسب ذلك من الأعمال والأحوال، وإذا تجلى عليك بصفات الجود والجمال فاشتغل بما يوافق ذلك من الأفعال، وإذا رأيت محل غضبه فاغضب له، وإذا رأيت محل رضاه فارض له، وأعط كل وصف من صفاته حظه.

(و) في كل ذلك كُنْ (بِأَوْصَافِ عُبودِيَّتِكَ مُتَحَقِّقًا) لا تخرج منها في جميع أحوالك، فإنّ الحادث أحقر من أن يكون له وَصْفُ المحدث، كما أن المحدث أكبر من أن يتصف بسمات الحادث.



(مَنَّكَ أَنْ تَدْعِي مَا لَيْسَ لَكَ مِمَّا هُوَ لِلْمَخْلُوقِينَ) من أموالهم وأولادهم لحجّم يعلمها، والكريم قد ملّك بعض ملكه بعض خلقه، (أَفَيُبَيِّحُ لَكَ أَنْ تَدْعِي وَصْفَهُ) الخاص به الذي لا يليق إلا به (وَهُوَ رَبُّ الْعَالَمِينَ) ١٩.
إذا لم يرض بمنازعة ما لغيره فكيف يرضى بمنازعة ما هو خاص به؟!
والعبد إذا عدى طوره وادعى لنفسه ما لسيده، أو أوهم ذلك، طرّده القاهر عن

باب العرفان، وأدخله في زمرة أهل الخسران، وأركزه في الهوان في جميع
الأوان، فالحذر من ادعاء ما هو لصاحب الكبرياء والقهر.



(كَيْفَ تُخْرِقَ لَكَ الْعَوَائِدُ) الأمور الجارية على العادة (وَأَنْتَ لَمْ تَخْرِقْ
مِنْ نَفْسِكَ الْعَوَائِدَ ١٩) الأمور العادية التي تعتادها على مقتضى هواها.

أي: لا تحصل الكرامات إلا لمن ترك العادات، فإن أردتها فكفت
نفسك عن عاداتها على مقتضى شهواتها، وصفت قاذوراتها برياضتها، وحلها
بحلية عبادتها لربها.

وإذا تركت عوائدك لربك خرق لك العادات، وأكرمك بالكرامات،
وجعلك من أهل المشاهدات.



(مَا الشَّأْنُ الْأَمُّ (وُجُودُ الطَّلَبِ) لطاعات ربك، (إِنَّمَا الشَّأْنُ) المهم
(أَنْ تَرْزُقَ حُسْنَ الْأَدَبِ) مع الله في ظواهرك وضمائرك في جميع أعصارك،
فإن حسن الأدب هو الذي يوصل العبد إلى قرب الرب، والأدب أعز الأمور
وأقلها وجوداً لعزته.



(مَا طَلِبَ لَكَ شَيْءٌ) يحصل لك (مِثْلُ الْاضْطِرَارِ) مثل أن تكون عالماً
باضطرارك إلى ربك، متصفاً به، فإنه أعون الأمور على حصول ما يتم به
السرور من معرفة الغفور والقرب إلى الشكور، فارتكز في اضطرارك.

(وَلَا أَسْرَعَ بِالْمَوَاهِبِ) الإلهية (لَكَ مِثْلُ الدُّنْيَةِ وَالْاِفْتِقَارِ) إلى ذي
الاختيار، فإن الكريم إذا رأى عبده الضعيف متصفاً بذلته وفاقته وحاجته،
طارحاً نفسه عن المقدار والاعتبار أحبه وأقبل عليه بمواهبه، وأعطاه ما لم
يكن في خياله، فاتصف بذلتك كي تفوز بهبة ربك، ومواهب القهار إنما تُنثر
على ذوي الافتقار.



(قَدْ أَتَىكَ لَتَاصِفٌ إِلَيْهِ) إِلَى عِرْفَانِهِ (إِلَّا بَعْدَ فَنَاءٍ مَسَاوِيكَ) الْكَائِنَةُ فِي بَاطِنِكَ وَظَاهِرِكَ (وَمَحْوٍ دَعَاوِيكَ) بِلِسَانِكَ (لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ أَبَدًا) لِأَنَّهَا لَا تَفْنَى وَلَا تَمُحَى بِالْكُلِّيَّةِ لِأَنَّهَا لَوَازِمُ ذَاتِكَ لَا تَفَارِقُكَ أَبَدًا، نَعَمْ قَدْ تَنَغَّمَرُ وَلَا يَظْهَرُ شَرُّهَا لِكَثْرَةِ وَغَلْبَةِ مَا يَدْفَعُ ضَرَرَهَا مِنَ الطَّاعَاتِ وَالْأَنْوَارِ.

(وَلَكِنْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَصِّلَكَ إِلَيْهِ) وَيُسَعِّدَكَ بِمَا لَدَيْهِ بِكَشْفِ الْحُجُبِ الَّتِي عَلَيْكَ (سَتَرٌ وَصَفَكَ) الذَّلِيلَ (بِوَضْفِهِ) الْجَمِيلِ، (وَعَطَى نَعْتَكَ) الدِّنِّيَّ (بِنَعْتِهِ) الْعَلِيِّ، (فَوَصَّلَكَ إِلَيْهِ) أَيِ: إِلَى قَرْبِهِ (بِمَا مِنْهُ إِلَيْكَ، لَا بِمَا مِنْكَ إِلَيْهِ).

وَالْحَاصِلُ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ الْوُصُولُ إِلَيْهِ إِلَّا بِإِيصَالِهِ مِنْ إِفْضَالِهِ، وَلَا يَقْدِرُ السَّالِكُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ بِأَعْمَالِهِ، فَاقْطَعْ طَمَعَكَ عَنْكَ، وَارْجُ جُودَهُ وَفَضْلَهُ، وَاطْلُبْ مِنْهُ الْوُصُولَ إِلَيْهِ.



(لَوْلَا جَمِيلٌ سَتَرَهُ) الَّذِي يَسْتَرُ بِهِ عَيْبَ الْمَعِيبِ (لَمْ يَكُنْ عَمَلٌ) مِنَ الْأَعْمَالِ (أَهْلًا لِلْقَبُولِ) إِذْ وَصَفَ الْعَامِلَ مُلَازِمًا لِلْعَمَلِ، وَلَا يَخُولُ عَامِلٌ مِنْ عَيْبٍ لِأَنَّ كُلَّ عَامِلٍ غَرِيقٌ فِي عَيُوبِ الْبَشَرِيَّةِ، فَلَا يَصْفُو عَمَلٌ كَمَا يَلِيقُ لِلْجَلِيلِ.

لَكِنِ الْكَرِيمَ الْجَمِيلَ كَرَمَهُ وَعَظِيمَ سَتَرِهِ يَسْتَرُ عَيْبَ الْمَعِيبِ وَيَتَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ، وَيَجْزِي عَلَيْهِ بِأَعْظَمِ الْمَأْمُولِ.

فَمَا أَجْمَلُ هَذَا الْجَمِيلِ، يَقْبَلُ مِنْ عِبِيدِهِ بِضَاعَتِهِمُ الْمَزْجَاةَ، وَيَجْعَلُهَا سَبَبًا لِلْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ.



(أَنْتَ إِلَى جِلْمِهِ إِذَا أَطَعْتَ أَخَوُجُ مِنْكَ إِلَى جِلْمِهِ إِذَا عَصَيْتَ) لِأَنَّ حَقَّ إِطَاعَتِهِ عَظِيمٌ لَا يَقْدِرُ الْعَاجِزُ عَلَى أَدَائِهِ، بَلْ لَيْسَ لَهُ أَهْلِيَّةٌ لِأَدَاءِ حَقِّهَا الَّذِي يَلِيقُ لَهَا، أَتَى لِلتُّرَابِ أَنْ يَتَأَتَّى مِنْهُ أَدَاءُ حَقِّ طَاعَةِ رَبِّ الْأَرْيَابِ؟! بَلْ أَتَى لَهُ أَنْ يَكُونَ أَهْلًا لَطَاعَتِهِ؛ لَخُسْتِهِ وَذَلَّتِهِ.

فلولا حلمه عنك لأحاطت بك النقمة عند الطاعة، وهل أنت أهل
لطاقته لخستك وجلالته وعظمته؟!

فسبحانه ما أعظم حلمه عمن يسيء الأدب معه، لولا أمره بطاعته لرأفته
ورحمته لاستحيى العبد من خدمته لعظمته مع خسة العبد وذلته. وهو كريم
يعرف ابتلاء عبيده بعصيانهم، وكثيراً ما يعفو عنهم تعزراً وتكرماً.
هذا، ومع ذلك لا تغفلن عن طاعته طمعاً في رحمته، ولا تقربن معصيته
حذراً من نقمته.



(الستّر) مقسوم (على قسمين: ستّر عن المَقْصِيَةِ) وهو أن يحفظ الله
تعالى عبده عن الابتلاء بها بأن يجعل عصمته حائلة بينه وبينها. (وستّر فيها)
وهو أن يستر الستار على عبده عند ارتكابه ولا يفضحه بإظهارها.

(فَالْعَامَّةُ) الذين لا يعرفون قدر ذي الربوبية، وإنما يدركون حظوظ
أنفسهم (يَطْلُبُونَ السَّتْرَ مِنَ اللَّهِ) تعالى (فيها) بأن لا يظهرها عند الناس
(خَشْيَةَ سُقُوطِ مَرْتَبَتِهِمْ عِنْدَ الْخَلْقِ) وذلك أملهم على مبلغ علمهم.

(وَالْخَاصَّةُ) الذين يعرفون حق ذي الألوهية والربوبية وعظمته وجلالته
وشدة احتياجهم إليه (يَطْلُبُونَ مِنَ اللَّهِ السَّتْرَ) الحفظ (عَنْهَا خَشْيَةَ سُقُوطِهِمْ
مِنْ نَظَرِ الْمَلِكِ الْحَقِّ) وذهاب اعتبارهم عنده، وذلك مطلبهم على قدر
معرفتهم، والعبد إذا عصى القهار سقط من نظره وهان عنده وذبح اعتباره
لديه وطرد من الباب وجوزي بالحجاب والعتاب والعقاب، فتبصر إن كنت من
أولي الألباب.



(مَنْ أَكْرَمَكَ) من العبيد (فَإِنَّمَا أَكْرَمَكَ وَ) الحال أَنَّ (فِيكَ جَمِيل
سِتْرِهِ) تعالى حيث ستر عيبك وأظهر فضلك فصار ذلك سبباً لإكرام خلقه
لك، ولو اطلعوا على عيبك لما أكرموك، بل أهانوك ومقتوك.

(فَالْحَمْدُ) على الإكرام (يَمَنْ سَتَرَكَ) فإنه الذي أهلك للإكرام، (لَيْسَ

الْحَمْدُ لِمَنْ أَكْرَمَكَ) لظهور فضلك (وَشَكَرَكَ) على جميلك ؛ إذ لو علموا ما فيك من القبح لما شرفوك ولا حمدوك، بل أخذلوك وأبعدوك، فاعرف الحق لأجله.



(مَا صَحْبِكَ) صحبة مرضية (إِلَّا مَنْ صَحْبِكَ وَهُوَ بِعَيْبِكَ عَلِيمٌ) فإن صحبته لا تنقطع، بخلاف من صحبك وهو بعيبك جاهل، فإن صحبته تنقطع عند ظهور عيبك عنده.

(وَلَيْسَ ذَلِكَ) الكريم الذي يصحبك مع علمه بعيبك (إِلَّا مَوْلَاكَ) العالم بعيوبك كلها ولا يقطع فضله عنك. فاختر صحبته على صحبة غيره. سبحان من يرى عيب العبد ويحسن إليه ولا يقطع إكرامه عنه.

(خَيْرٌ مَنْ تَصَحَّبَ مَنْ يَطْلُبُكَ) ويريد قربك (لَا لِشَيْءٍ يَعُودُ مِنْكَ إِلَيْهِ) حتى يجذبه إليك، وليس ذلك على وجه الكمال إلا لسيدك الذي تفضل عليك بأنواع النوال، لا لطمع فيك، فإنه أجل من ذلك، فلا تتخذ صاحباً إلا إياه، وانقطع إليه عن ما عداه.



(لَوْ أَشْرَقَ لَكَ نَوْرُ الْيَقِينِ) بما أخبر الله من حقائق الأمور (لَرَأَيْتَ الْآخِرَةَ) التي يتجلى فيها الحق في صفة الإفضال ووصف النكال، ويجازي كلاً على طبق الأعمال، (أَقْرَبَ إِلَيْكَ مَنْ أَنْ تَرَحَّلَ إِلَيْهَا) بأن تجعلها نصب عينيك وأهوالها حاضرة لديك كأنك تشاهد أهل النعمة في نعيمهم وأهل النقمة في جحيمهم، فتجتهد فيما يسعدك وتجتنب عما يرديك، (وَلَرَأَيْتَ مَحَاسِنَ الدُّنْيَا) التي غرّت المغرورين بزخارفها وخدعتهم بإظهار زينتها وسحرتهم بحيلتها حتى جعلتهم عبيداً وعشاقها يركضون في تحصيلها لشدة اشتياقها، ويموتون كمداً على فراقها.

(وَقَدْ ظَهَرَتْ كِسْفَةُ الْفَنَاءِ عَلَيْهَا) فإنها دار فناء لا بقاء، وبلاء لا رخاء، ودار غرور وشورور، قد دلت غوائلها على حقيقة حالها، ودلت أحوالها على مآلها. هي دار لو كشفت حقيقة أمرها لما قبلها أحد بلا شيء، ولذا لا

تعدل عند مولاها جناح بعوضة، وجعلها جنة لأعدائه وسجناً لأوليائه، فالحذر من الاغترار بها، وكم قُتلت من أبنائها وأهلكت من عشاقها وطحنتهم برحائها، وفروا إلى الله منها، فإنه الملقأ من دواهيها.



(ما حَجَبَكَ) يا أيها المحجوب بالآثار عن الأسرار (عَنِ اللَّهِ) الذي هو الأول والآخر والظاهر والباطن (وُجُودُ مَوْجُودٍ) مساوٍ (مَعَهُ) في الوجود؛ (إِذْ لَا شَيْءٌ) موجودٌ (مَعَهُ) يساويه تعالى الله عن ذلك.

(وَلَكِنْ حَجَبَكَ عَنْهُ تَوَهُّمُ مَوْجُودٍ مَعَهُ) فتشغلت به عنه، مع أن وجوده كعدمه؛ لحدوثه وفناؤه. ولو حققت تأملك لتيقنت أن ليس في الوجود أصالة غير الله تعالى، وأما ما سواه فأمور بتكوينه مكوّنة، وبإفنائها فانية، فلا تنحجب بها عن ربها، بل اجعلها وسائل الوصول إلى خالقها.



(تَوَلَّى ظُهُورُهُ) بإظهار آثار صفاته (فِي الْمُكُونَاتِ) التي هي مظاهر صفاته ودلائل علوّ ذاته وشواهد كمالاته (مَا وَقَعَ عَلَيْهَا وَجُودٌ إِبْصَارٍ) إذ المعدوم ذاتاً أعجز من أن يقع عليه وجودٌ إِبْصَارٍ لأنه لا يقع إلا على موجود لا معدوم، لكن الكريم أعاره كسوة الوجود، وجعله بجوده محل الشهود، ولذا يقع عليه وجودٌ إِبْصَارٍ، فلا تغفلن عن الحقائق.

(وَلَوْ ظَهَرَتْ) تجلت (صِفَاتُهُ) على ما هي عليه (اضْمَحَلَّتْ) تلاشت (مُكُونَاتُهُ) لعدم قابليتها لتحمل تجليها.

ألا يرى إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ رُبُّهُ الْبِكْبِلَ جَعَلَهُ ذَكَاءً﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقوله ﷺ: «لو كشف الله عن سبحات وجهه لاحترق ما انتهى إليه بصره»^(١) سبحانه، أتى للمفقود قابلية تحمل تجلي الملك المعبود، ولو لا إعانته أهل الجنة لم يقدروا على رؤيته تعالى.

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب في قوله ﷺ: «إن الله لا ينام».

(أَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ) وهو الذي يدرك ويبصر ويرى في هذه الدار إعلاماً (بِأَنَّهُ البَاطِنُ) الذي لا قابلية لما سواه لإدراك ذاته وصفاته، وهو أجلُّ من أن يدركه إبصارُ أهل الافتقار، أو يحيط به عقول أهل الاضطرار، تعالى عن ذلك القهار. (وَطَوَى وُجُودَ كُلِّ شَيْءٍ) حيث ليس في الوجود حقيقة غيره، وإنما أمر موهوم (لِأَنَّهُ الظَّاهِرُ) الذي ليس فوقه شيء في الظهور؛ إذ هو الموجود بذاته أزلاً وأبداً، وما فيما سواه ذرة إلا وهي تدل عليه، وأي ظهور فوق هذا؟! ولذا قيل: إنه لشدة ظهوره اختفى على غيره.



(أَبَاحَ لَكَ أَنْ تَنْظُرَ) نظر استدلالٍ واعتبارٍ واستبصارٍ (مَا فِي الْمَكُونَاتِ) من الدلالات الواضحات والشهادات القاطعات على كمال خالقها وعظمة مالکها وكبرياء باريها لتنتقل منها إليه وتتخذها دلائل الورود عليه ووسائل الفوز بما لديه.

(وَمَا أَذِنَ لَكَ أَنْ تَقِفَ مَعَ ذَوَاتِ الْمَكُونَاتِ) لأنها تحجب عن رب البريات، وتحول بين المعارف والمشاهدات؛ إذ من وقف معها حُجِبَ عن مكوّناتها، وتدنس بأكدارها، وتوسخ بأقذارها.

(قَالَ) الله تعالى: ﴿قُلْ أَظْهَرُ مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ﴾ [يونس: ١٠١] من دلائل وحدانية عالم الغيب والشهادات، وعلو عظمة ربِّ الكائنات، وانتقلوا منها إلى موجدتها.

(فَتَخَّ لَكَ) بهذا الأمر (بَابِ الْإِفْهَامِ) لتكون بفهم ما فيها واصلاً إلى الملك العلام، (وَلَمْ يَقُلْ: انظُرُوا السَّمَوَاتِ لِنِدَائِكَ عَلَى وُجُودِ الْأَجْرَامِ) لأن وجودها ظاهر باهر لا يحتاج إلى الدلالة عليه، وشأن الله أجلُّ من أن يدل على مثل هذه الأمور، فافهم.

والحاصل أنه ليس المقصود النظر إلى ذواتها من حيث هي هي، بل المقصود النظر إليها لِيُسْتَدَلَّ بها على وحدانية بارئها، وذلك بالنظر فيها، لا بنظرها، فتأمل.

مثال الناظر فيها العارف بدلالاتها على مدلولها كمن يعرف الحروف ومعاني الألفاظ المركبة منها، فإنه ينتقل ذهنه من النظر فيها إلى معانيها، ومثال ناظرها الجاهل عن دلالتها على مدلولها كمن لا يعرف أشخاص الحروف ولا معاني الألفاظ المركبة منها، فإنه إنما يشاهد النقوش ولا يعرف ما سواها.



(الْأَكْوَانُ ثَابِتَةٌ) موجودة مشتملة على فوائد لا تقصى (بِإِثْبَاتِهِ) حيث أوجدها من العدم، وأبقاها في وجودها، وأخبر عنها أنه خلقها، وجعلها براهين كماله في جماله وجلاله، فثبوتها العارضي لا يُنْكَرُ، ومن أنكر ذلك فهو جاهل. (وَمَقْهُوَّةٌ بِأَحَدِيَّةٍ ذَاتِهِ) أي: أنها بالنسبة إلى وجوده وأحدية ذاته وصفاته محصورة كأنها لا وجود لها بالنسبة إليها، كلها عنده كحبة خردل، بل أدنى منها.



(النَّاسُ) الذين لا يعلمون ما فيك (يَمْدَحُونَكَ بِمَا يَظُنُّونَ فِيكَ) وكثيراً ما تكون ظنونهم غير مطابقة للواقع، (فَكُنْ أَنْتَ دَائِمًا لِنَفْسِكَ) التي تنتفخ بمدح من لا يعلم حالها وتتكبر حتى توقعك في حفرة الهلاك (لِإِذَا تَعَلَّمَهُ) فيك (مِنْهَا) وأنت أعلم بنفسك من غيرك؛ إذ صاحب البيت أدرى. ولا تترك يقينك بظن غيرك، فإنّ ذلك من قلة العقل. وإن كنت أعمى عن عيوبك ففتشها ناصحاً لنفسك، فإنك تجد فيها من العيوب ما لا يعلمها إلا علام الغيوب، فذم نفسك الذميمة، واكسّر شوكتها بإهانتها، ولا تدعها في مراتعها لئلا توبقك.



(الْمُؤْمِنُ) الذي ملئ قلبه من نور إيمانه وضوء إيقانه (إِذَا مُدِّحٌ اسْتَحْيَى مِنْ اللَّهِ) الذي ستر عيوبه وأظهر الذي مدح به، مع أنه هو الذي خلقه فيه، (أَنْ يُنْثَى عَلَيْهِ بِوَصْفٍ لَا يَشْهَدُهُ مِنْ نَفْسِهِ) بأن لم يكن فيه ما مدح به، أو لا يرى لما مدح به وجوداً من نفسه، بل من ربه.

ومثال ما تقدم مثال سلطان أعطى بعض خدامه العقلاء بعض ماله ليعطيه بعض الفقراء، فأعطى فقيراً، ثم حضر الفقير عند السلطان، وعنده خادمه الذي أعطاه ماله، فشرع الفقير يمدح الخادم ويشني عليه بما أعطاه، فصار الخادم العاقل يستحيي من السلطان بأن يُحمد بما ليس منه لعلمه أن الإعطاء من السلطان، لا منه، فتأمل.



(أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ يَقِينٌ مَا عِنْدَهُ) حيث يتيقن أنه ليس فيه ما مدح به، (يُظَنُّ مَا عِنْدَ النَّاسِ) فيا أيها المسكين لا تترك يمينك لظن ما عند غيرك كما يفعله أهل الغرّة، ولا تطاوع نفسك في اغترارها.

مثال هذا مثال الذي يصدق من يقول له: إنك غني، وعندك ألوف مؤلفة من المال، فيرى نفسه غنية بمجرد قوله، وليس عنده شيء، بل هو من أفقر الفقراء، وهذا التصديق غاية ما يُتصوّر في أهل الجنون.



(إِذَا أَطْلَقَ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ) بأن كنتم قبيحك، وأبدى مليحك، وأجرى السّنة عبادته بالثناء عليك (وَلَسْتَ بِأَهْلٍ) لذلك، (فَإِنَّ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ) حيث أكرمك بهذه الكرامة - التي لست لها بأهل - بقبض فضله.



(الرُّهَادُ) الذين لم يقطعوا وادي الأغيار، ولم يصلوا إلى وادي عدم الاعتبار بالآثار، بل بَعُدُ بقي فيهم شائبة الشهود لما عدى الملك المعبود (إِذَا مُدِّحُوا) بما فيهم (انْقَبَضُوا لِشُهُودِهِمُ الثَّنَاءَ مِنَ الْخَلْقِ) ولا يرضون أن يتحملوا مِنَّةَ الثناء منهم عليهم؛ لعلّو همتهم من أن يكون غير مالکهم مَنْ عليهم، وربما يظنون أن في ذلك إيهام شركة مع الله الذي هو الأهل للثناء والتمجيد.

(وَالْعَارِفُونَ) الذين رموا ما سوى معروفهم وراء ظهورهم ولم يروا غيره فعلاً حقيقة لكمال نورهم (إِذَا مُدِّحُوا اقْبَسَطُوا) بذلك المدح وفرحوا وفرحاً

شديداً؛ (لِشُهُودِهِمْ ذَلِكَ مِنَ الْمَلِكِ الْحَقِّ) الذي خلق المادحين ومدحهم، وأجرى ذلك على ألسنتهم إظهاراً لكماله؛ إذ مَدَحُ صنْعته مَدْحٌ له، فله الحمد كله. فالعارفون في الحقيقة لا يرون مدحاً لأنفسهم، بل يرون مدحاً لربهم لغاية إيقانهم في عرفانهم.



(مَتَى كُنْتُ) موصوفاً بهذه الصفة وهو أنك (إِذَا أُعْطِيتَ بَسَطْتَ الْعَطَاءَ) من حيث إنه عطاء وصل إليك، وأمّا الانبساط له من حيث إنه هدية مولاك أهداها إليك فهو من كمال الإيقان، (وَإِذَا مُنِعْتَ قَبَضْتَ الْمَنَعَ) من حيث إنه منعٌ حُرِّمَتْ به مطلوبك، وأمّا الانقباض له من حيث إن قَطَعَ الهدية ربما يدل على جود المُهْدِي على عبده، فهو من غاية الإيقان.

(فَاسْتَدِيلَ بِذَلِكَ عَلَى ثُبُوتِ طُغُولِيَّتِكَ) والطفل يضحك العطاء، وعند عدمه يغلبه البكاء، (وَعَدِمَ صِدْقِكَ فِي عُيُودِيَّتِكَ) إذ لو كنت عبداً صادقاً لمولاك لاستوى حين حرملك وحين أعطاك؛ لأنه يستحق العبودية منك لألوهيته الذاتية، بل ربما اغتممت عند العطاء خوفاً أن يكون استدراجاً من ذي العزة والكبرياء، وَفَرِحْتَ عند الحرمان طَمَعٌ أَنْ يَكُونَ مَا أَذْخَرَ لَكَ خَيْراً مما حرملك.



(إِذَا وَقَعَ مِنْكَ ذَنْبٌ فَلَا يَكُنْ) ذلك الذنب أو الوقوع (سَبَباً يُؤَيِّسُكَ مِنْ حُصُولِ الِاسْتِقَامَةِ) في حدود الشرع (مَعَ رَبِّكَ) زعماً منك أن لو كنت من أهل سعادته لما ابتليت بأمارات أهل الشقاوة، فتصير مأيوساً من رحمته، وترخي عنان نفسك في شهواتها ولذاتها وسيئاتها.

(فَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ) الذنب الذي ابتليت به (أَخْرَ ذَنْبٌ قُدْرَ عَلَيْكَ) ولا يمكن الفرار من المقدور إلا بعد فراغه، ولعله يتوب عليك ويجعلك من الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ولا تياس من رحمة الله فإنه لا يياس منها إلا القوم الكافرون.



(إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَنْفَتَحَ لَكَ بَابُ الرَّجَاءِ) في الله الذي عطاياه بمقتضى جُوده وقُضله، لا لِعَلَّةٍ أُخرى، (فَاشْهَدْ مَا مِنْهُ إِيَّاكَ) فانظر كيف كساك كسوة الوجود بعد أن لم تكن شيئاً مذكوراً، وأعطاك ما لا يمكن أن يكون محصوراً، وأولاك في الدنيا ما يوجب لك فرحة وسروراً، وأعد لك في الآخرة ما لا ينقطع زمناً ودهوراً، فمن كان كذلك فكيف لا ترجو فضله؟! وكيف تُعرض عنه إلى غيره؟!.

(وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَنْفَتِحَ لَكَ بَابُ الْخَوْفِ) من سطوة القهار (فَاشْهَدْ مَا مِنْكَ إِلَيْهِ) خلقك لعبادته فتركبتها، ووضع فيك قابلية الترقى إليه فبجھلك ضيعتها، وأمرك بطاعته فودعتها، ونهاك عن معصيته فارتكبتها، وأمرك أن تقرب إليه فهربت منه، وطلب منك أن تجعل قلبك خالصاً له فسوّدته بأكدار الأوزار والأغيار، وأمرك أن تطهّر جسدك لجنّته فنجسته، وقابلت إحسانه بكفرانك، وإنعامه بآثامك، وإقباله بإعراضك، أفُ لك فما أقبح شأنك، فكيف لا تخاف يا من هذا صنعك؟!



(رُبَّمَا أَفَادَكَ فِي لَيْلِ الْقَبْضِ) الموجِبِ لكمال الخوف (مَا لَمْ تَسْتَفِدْهُ فِي إِشْرَاقِ نَهَارِ الْبَسْطِ) الموجِبِ لكمال الرجاء، وذلك لأنّ في الْقَبْضِ يتجلّى الحقُّ على القلب في رداء الكبرياء وخلعة العظمة، فيحصل بذلك في القلب أنوار توجب الخوف والهيبة والحذر من ذي القهر، وتكسر أنانية النفوس الأمارة، وتقطع أنوف الأنفة، وتظهر للعبد هوان ذي العبودية وعظمة ذي الربوبية.

وفي البسط يتجلّى عليه في كسوة الكرم والجود والحلم والرأفة والرحمة، ويحصل بذلك فيه أنوار توجب الرجاء والطمع في العطاء والفرحة الشديدة، وربما يخرج ذلك صاحبه إلى القصور في حق الشكور، وقلع خلع الآداب مع رب الأرباب، وذلك غير محمود عند ذوي الألباب، قال الله: ﴿لَا تَذُودُنَّ إِلَيْهِمْ أَقْرَبُ لَكُمْ تَقَرُّمًا﴾ [النساء: ١١] ربما تحسبون أنّ الْبَسْطَ أقرب لكم

نفعاً، والقَبْضُ عند الله أقرب نفعاً، قال الله: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، فلا تختاروا غير ما اختار القادر المختار لكم.



(مَطَالِيعُ الْأَنْوَارِ) الإلهية (الْقُلُوبِ) التي هي مواضع نظر الرب، ومنايع معارفه، وخزائن خصوصياته. (وَالْأَسْرَارُ نُورٌ مُسْتَوْدَعٌ فِي الْقُلُوبِ، مَدَدَةٌ مِنَ النُّورِ الْوَارِدِ مِنْ خَزَائِنِ الْغُيُوبِ).

والحاصل أَنَّ الأسرار أنوار إلهية موضوعة في القلوب، لكن لا تظهر إلا بمدد إلهي، وذلك أنها مغمورة بأكدار البشرية، فإذا أراد الله بعبد خيراً أزال حجب الأغيار عنها، وأطلع نوره عليها، فوصل ضوؤه إليها، فتنورت بنوره، وظهر أنوارها، وصار الغيب عند ذلك كالعيان، واتصلت أسرار ذوي الحداث بأنوار الرحمن، وبهذا تتم المعرفة لأهل العرفان.



(نُورٌ يَكْشِفُ) الله (لَكَ بِهِ عَنْ آثَارِهِ) فتعرف حقائقها ودلالاتها على خالقها لتتخذها سلماً إلى الوصول إلى مالكتها، (وَنُورٌ) آخر (يَكْشِفُ لَكَ بِهِ عَنْ أَوْصَافِهِ) فتعرفها على قدر القابلية لمعرفتها، ويتصل نور إيمانك بأنوارها، وتتطلع بذلك على أسرارها، والنور الأول سبب الوصول إلى النور الثاني الذي يوصل إلى المقصود.



(رُبُّمَا وَقَفَّتِ الْقُلُوبُ) الضعيفة (مَعَ الْأَنْوَارِ) الطالعة من خضرة الغفار لظنها أنها وصلت إلى مقصدها، ولم تعلم أن مقصدها وراءها، وإنما هذه بشائره، فلا تقف مع النور، بل ارحل إلى الغفور، فتصير محجوبة بها عن مقصدها (كَمَا حُجِبَتِ النَّفُوسُ) المحجوبة عن اسرار القدوس (بِكَثَائِفِ الْأَغْيَارِ) فلا تقف يا أيها السالك دون ملك الملوك.



(سَتَرَ) الستار (أَنْوَارِ السَّرَائِرِ) الكائنة في الضمائر (بِكَثَائِفِ الظُّوَاهِرِ)

إِجْلَالًا لَهَا) لجلالته من (أَنْ تُبَيَّنَ بِوُجُودِ الْإِظْهَارِ) الذي لا يخلو عن الابتذال، ولذا كان كل ما هو أعز فهو أستر، (وَأَنْ يُنَادَى عَلَيْهَا بِلسانِ الْإِشْتِهَارِ) الذي لا يخلو عن عدم الاعتبار، فمن أراد حصول أنوار السرائر فليجل عين البصيرة عن أكدار الأغيار وأقذار الآثار، وليدقق الاستبصار بها في حقائق الأمور، تنكشف له حتى تصير عنده الضمائر كالظواهر.



(سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الدَّلِيلَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ) الذين خصهم بخلع الأنوار وحلل الأسرار (إِلَّا مِنْ حَيْثُ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ) فمن عرفه عرف أولياءه، ومن لم يعرفه لم يعرفهم، وذلك أن الولاية سر خاص بين العبد وبين الرب، وهو يتجلى عليه بأنوار عظمته وأسرار رأفته وعواطف رحمته، ولا يعرف ذلك إلا من يعرف الرب المتجلي، فدليله دليل أولياءه.

(وَلَمْ يُوصَلْ إِلَيْهِمْ) ليتوصل بهم إلى ربهم (إِلَّا مَنْ أَرَادَ أَنْ يُوصِلَهُ إِلَيْهِ) فإنهم وسائل وصلته، أقامهم لإرشاد أهل إرادته إلى حضرته، فمن أوصله إليهم ليأخذ بما لديهم فقد أراد أن يوصله إليه.



(وَمَا أَطْلَعَكَ عَلَى غَيْبِ مَلَكُوتِهِ) مع أنه أبعد منك، (وَحَاجَبَ عَنْكَ الْإِسْتِشْرَافَ) الاطلاع (عَلَى أَسْرَارِ الْعِبَادِ) مع أنها أقرب إليك؛ لحكم يعلمها الحكيم الخبير الذي لا يخلو صنعه عن حكمة، ومن جملتها أن (مَنْ أَطْلَعَ عَلَى أَسْرَارِ الْعِبَادِ) الذين لا تخلو أسرارهم من طيب وخبيث (وَلَمْ يَتَخَلَّقْ بِالرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ) التي يرحم الله بها عباده ويحلم عنهم ويسترحم ويتوب عليهم ولا يقطع إحسانه عنهم لعصيانهم، (كَأَنَّ أَطْلَاعَهُ فَتَنَةٌ عَلَيْهِ) حيث يكشف عيوب من لا يحب الله الكريم كُشِفَ عيوبه، ويهتك ستور عباد الله تعالى، ويتكلم بما لا يجوز شرعاً، ويفعل ما يحرم في دين الله، وغير ذلك، (وَسَبَبًا لِبُحْزِ الْوُبَالِ إِلَيْهِ) حيث يفعل ما يوجب هلاكه في الدنيا أو العقبى أو فيهما. سبحان من ستر عيوب خلقه عن غيره، ولم يؤيسهم من فضله عند تعييبهم.

(حَظُّ النَّفْسِ) المجبولة على حب السيئات (في المَقْصِيَةِ) التي تشاكلها (ظَاهِرٌ جَلِيٌّ) حيث استفادت ما اشتته وتناولت ما هوت، (وَحَظُّهَا فِي الطَّاعَةِ) التي هي مجبولة على التنفر عنها وثقلها عليها لعدم المشاكلة بينهما (بَاطِنٌ خَفِيٌّ) لا يطلع عليه إلا الكَمَلُ من أهل التحقيق وأولوا الفضل من أهل التوفيق، وهو أن الطاعة سبب العز والشرف والكرامة عند الله تعالى وعند خلقه، وأن الخلق إذا عرفوا في أحد سببها أقبلوا إليه وعظموه وشرفوه وصاروا كالعبيد له، وهذه الأمور تناسب النفس لأنها مطبوعة على حب التفوق على الأقران والترفع على أهل الزمان، فتجتهد في الطاعة لأجلها، لا للتقرب إلى مولاها، وفي ذلك خسارتها في عظيم عبادتها. (وَمُدَاوَةٌ مَا يُخْفَى صَغَبٌ بِعِلَاجِهِ) ولذا قل من تخلو طاعته عن حظ نفسه، قد شهد بذلك العارفون بنفوسهم.



(رُبُّمَا دَخَلَ الرِّيَاءُ) الذي يوجب إحباط الأعمال وغضب ذي العزة والجلال. والرياء: ملاحظة غير الحق في طاعته، وهو نوع من الشرك. (عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ لَا يُنْظَرُ الْخَلْقُ إِلَيْكَ) مع أن نظرهم هو الباعث غالباً للرياء، وهذا الدخول بأن يحب العامل في خلوته اطلاع الناس على طاعته أو على ما يدل عليها، وهذا معنى ما قال الماتن.



(اسْتَشْرَفُوكَ) طمعك (أَنْ يَفْقَمَ الْخَلْقُ بِخُصُوصِيَّتِكَ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ صِدْقِكَ فِي عُيُودِيَّتِكَ)؛ إذ لو كنت صادقاً فيها لما أحببته، بل استوى عندك عِلْمُهُمْ بِحَالِكَ وَجَهْلُهُمْ لَأَنَّهُمْ أضعف من أن يلاحظ إليهم في عبادة الحق، أو أن يرى أنه مخلص في عمله ويتعزز بذلك في نفسه، وفي هذا ختفه. وهذه بلية لا ينجو منها إلا من عصمه مولاها.



(غَيِّبْ) يا أيها المتشوق إلى نظر الخَلْقِ وَعِلْمُهُمْ بِعَمَلِكَ لتتشرف عندهم

(نَظَرَ الْخَلْقَ إِلَيْكَ) فإنهم أحقر من أن يلتفت إليهم أو يطاع المولى لأجلهم (يَنْظُرُ اللَّهُ) الذي نظره هو النظر المقصود للعبد؛ إذ الخير كله في يديه، والأمر كله إليه، (إِلَيْكَ) فإنه يرى ضمائرهم كما يرى ظواهرهم، ويعلم ما تريد من طاعته، وهو رب قهار غيور لا يرضى من عبده أن يلاحظ غيره في طاعته فإن علم طرده من حضرته وأركزه في أهل حسرته وخسر صفقته في عبادته بل ربما جعلها سبباً لزيادة نعمته فتنبه إن كنت من أهل الخبرة.

(وَعَبَّ عَنْ إِقْبَالِهِمْ عَلَيْكَ) لأن إقبالهم لا ينفع بل يضر (بِشُهُودِ إِقْبَالِهِ عَلَيْكَ) فإنه مقبل عليك ومتوجّه إليك وراقيب عليك، مع جلالة عظمتهم وخستك، فألا تستحيي من أن تُعرض عنه إلى غيره أو تتوجه في حضرته إلى أهل خدمته أو تشتغل في حضوره مع أهل عبوديته؟! تالله لو علمت قدره لم تلتفت إلى غيره، فواحسرة للعبد الدليل من قلة أدبه مع سيده الجليل.



(مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ) الذي أظهر آثار كماله بإيجاد خَلْقِهِ، وكان قائماً بأمرهم وأقرب إليهم من أنفسهم (شَهْدَةً فِي كُلِّ شَيْءٍ) بأن يستدل بكل شيء عليه، وينتقل منه إليه.

(وَمَنْ قَنِيَ بِهِ) بطلوع شمس أنواره على قلبه (غَابَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ) سواء؛ إذ بطلوع الشمس تختفي النجوم، فإذا كان بطلوع الشمس التي هي مخلوقة من مخلوقاته لا تُرى النجوم التي هي مخلوقة، فكيف يرى بطلوع أنواره غيره؟! (وَمَنْ أَحَبَّهُ) حَقَّ حُبِّهِ (لَمْ يُؤَوِّزْ عَلَيْهِ شَيْئاً) هل شيء يساويه أو يدانيه حتى يؤثر عليه؟! وإنما يؤثر غيره عليه عريان القلوب الذين لا يشاهدون جمال علام الغيوب، ولا عبرة بهم لعمامهم عن ما هو أولى لهم.



(إِنَّمَا حَبَّبَ الْحَقُّ عَنكَ شِدَّةَ قُرْبِهِ مِنْكَ) قُرباً يليق بعلو شأنه وعظيم سلطانه، ألا يرى أنه إذا قرب شيء إلى العين الباصرة قُرباً شديداً لا تراه كما تراه في قرب متوسط لشدة قربه إليها؟! وتلك الأمثال تضرب لتقريب الأمور الدقيقة إلى الأفهام، وجل الباري عن سمات أهل الحدوث.

(إِنَّمَا اخْتَجَبَ لِشِدَّةِ ظُهُورِهِ) إِذْ كُلُّ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ، (وَوَخَّيَ عَنِ الْأَنْبَصَارِ) الضَّعِيفَةِ (لِإِعْظَمِ نُورِهِ) نَسْبَحَانَهُ مَا أَبْطَنَهُ فِي ظُهُورِهِ، وَأَظْهَرَهُ فِي بَاطِنِيَّتِهِ.



(لَا يَكُنْ طَلِبُكَ) يَا أَيُّهَا الْفَقِيرُ إِلَى عَطَائِهِ (سَبَباً إِلَى الْعَطَاءِ مِنْهُ) بَأَنْ تَجْعَلَ هَمَّكَ فِي طَلْبِكَ حَصُولَ عَطَائِكَ مِنْ حَيْثُ هُوَ هُوَ، (فَيَقِلُّ فَهَمُّكَ عَنْهُ) لِأَنَّ الْغَنِيَّ يَفْهَمُ مِنْ نَحْوِ قَوْلِهِ: ﴿أَدْعُوْنِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] أَنَّ الْمَقْصُودَ هُوَ تَحْصِيلُ الْعَطَاءِ بِالسُّؤَالِ عَنْهُ، وَالذَّكِيَّ يَفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْمَقْصُودَ إِظْهَارُ الْفَاقَةِ وَالْفَقْرَ لَدَيْهِ، وَالتَّنْذِلُ بِإِظْهَارِ الْحَاجَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِلَّا فَالْكَرِيمُ لَا يَحْتَاجُ فِي إِعْطَائِهِ إِلَى الطَّلْبِ، بَلْ هُوَ يُعْطِي قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَ، فَافْهَمْ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَهْمِ.



(وَلْيَكُنْ طَلِبُكَ) مِنْهُ (لِإِظْهَارِ الْعُبُودِيَّةِ) لَدَيْهِ بَأَنْ تَظْهَرَ عِنْدَهُ بِطَلْبِكَ مِنْهُ بِأَنْيَ عَبْدٌ فَقِيرٌ مُحْتَاجٌ عَاجِزٌ ذُو فَاقَةٍ شَدِيدَةٍ، لَا غَنَى لِي عَنْ فَضْلِكَ، وَلَا عَوْضَ لِي عَنْ كَرَمِكَ، فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ رَضِيَ عَنْكَ لَالتِّجَانِكَ إِلَيْهِ فِي أَذْلِ الْأَحْوَالِ، وَأَقْبَلَ عَلَيْكَ بِأَنْوَالِ النُّوَالِ، وَأَفَاضَ عَلَيْكَ سَجَالَ الْإِفْضَالِ.

(وَقِيَاماً بِحَقِّ الرُّبُوبِيَّةِ) فَإِنَّ رَبُوبِيَّتَهُ تَقْتَضِي إِظْهَارَ عُبُودِيَّتِكَ لَدَيْهِ، وَعَرَضَ فِقْرَكَ وَفَاقَتَكَ عَلَيْكَ، وَإِبْدَاءَ كَمَالِ الذَّلِّ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا تَنْظُنْ أَنَّ طَلْبَكَ سَبَبٌ لِعَطَائِكَ.



(كَيْفَ يَكُونُ طَلِبُكَ الْمَلَاحِقُ) الْحَادِثُ بِخَلْقِهِ فَيْكَ (سَبَباً لِعَطَائِهِ) (السَّابِقُ) الَّذِي سَبَقَ بِهِ عِلْمُهُ وَقُدْرَتُهُ وَمَشِيتُهُ؟! وَمَا كَانَ كَذَلِكَ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ. وَمَحَالٌ أَنْ يَكُونَ الْحَادِثُ سَبَباً لِلْقَدِيمِ، هَلْ أَعْطَاكَ وَجُودُكَ بِطَلْبِكَ؟! فَكَمَا أَعْطَاكَ وَجُودُكَ بِفَضْلِهِ كَذَلِكَ يُعْطِيكَ عَطَاءَهُ بِجُودِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ طَلِبُكَ سَبَباً لَهُ، فَإِذَا طَلَبْتَ فَاطْلُبْ إِظْهَاراً لِلْعُبُودِيَّةِ، لَا لَغَرَضٍ غَيْرِهَا.



(جَلُّ حُكْمِ الْأَزْلِ) وهو تقديره بعبثك وغيره (أَنْ يَنْضَافَ إِلَى الْعِلَلِ) الحادثة؛ لعلو شأنه عن ذلك. وأيضاً الانضياف إليها ينافي مقتضى الجود. وأيضاً إن العِلَلِ باعثة للفاعل على الفعل، فيتأثر وَيَنْفَعِلُ عنها ويفعل الفعل، والله أجلُّ من أن يتأثر وَيَنْفَعِلُ.



(عِنَايَتُهُ فِيكَ) بمجرد جوده وفضله وكرمه، (لَا لِشَيْءٍ مِنْكَ) حتى يكون باعثاً له على عنايتك، (وَأَيُّنَ كُنْتَ حِينَ وَاجِهَتَكَ عِنَايَتُهُ) الأزلية بإرادة وجودك وما يتعلق بك (وَقَابَلَتَكَ رِعَايَتُهُ) بتعلق مشيئته بأن يوجدك من العدم وينعم عليك ما لا يحصر من النعم، ويقيك من النقم، ويجعلك دليلاً عليه؟! لَمْ يَكُنْ فِي أَزْلِهِ) القديم (إِخْلَاصُ الْأَعْمَالِ) من العباد، (وَلَا وُجُودُ الْأَحْوَالِ) تكون سبباً لوجودهم؛ إذ لم يوجدوا حتى يكون أحوالهم وأعمالهم، (بَلْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ) أي: في الأزَل (إِلَّا مَحْضُ الْإِفْضَالِ) من ذي الجود والجمال (وَعَظِيمُ النُّوَالِ) من كريم الأفعال، فكُفَّ نفسك يا أيها المسكين من هذا الخيال، واعلم أنه لا يوجد شيء إلا بمجرد فضل ذي الإنوال.



(عَلِمَ) بعلمه القديم (أَنَّ الْعِبَادَ يَتَشَوَّفُونَ) يشاققون (إِلَى ظُهُورِ سِرِّ الْعِنَايَةِ) ليعلموا لأي شيء خُصَّ هذا بهذه الكرامة، وأُكْرِمَ هذا بهذه الخصوصية، هل لذلك سبب؟ (فَقَالَ: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ﴾) من خلقته (مَنْ يَكُنْ) [البقرة: ١٠٥] اختصاصه ليس بالعِلَلِ والأسباب، إنما هو مجرد هبة الوهاب.

والحاصل أنه كان الأول القديم، ولم يكن معه شيء، وقد قسم بحكمته لكل ماهية من ماهيات ما أراد إيجادها وجعلها مظاهر صفاته قابلية خاصة، فمنها ما أعطاها قابلية الاهتداء والكمال، ومنها ما أعطاها قابلية الغواية والضلال على تفاوتها في ذلك، وسر هذه القسمة لا يعلمها إلا الله تعالى، بل إنما هي قسمة الحكيم العليم.

(وَعَلِمَ) من العباد (أَنَّهُ لَوْ خَلَّاهُمْ وَذَلِكِ) ولم يخبرهم بعلامة أهل

السعادة (فَتَرَكُوا الْعَمَلَ) الذي جعله بحكمته سبباً ظاهرياً للوصول إلى أكمل المأمول وعلامة للسعادة، (اعْتِمَاداً عَلَى الْأَزْلِ) التقدير الذي سبق لهم، زعماً منهم أن من كان متاً من أهل السعادة يصير إليها وإن لم يعمل، ومن كان منا من أهل الشقاوة يصير إليها وإن عمل، إذ المدار على الأقدار، لا على الأعمال، فلم نتعب أنفسنا بأثقالها.

(فَقَالَ) إزالة لشبهتهم: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] أي: وبعيدة من المسيئين، وذلك أنه وإن كان المدارُ على الأزَل، لكن الحكيم جعل لأهل السعادات علامات يُعرفون بها، وأسباباً يتوصلون بها إلى سعادتهم وهي الأعمال الصالحة الموجبة للإحسان والامتنان بجعل الرحمن، وجعل لأهل الشقاوة أمارات يعرفون بها وأسباباً يتوصلون بها إلى شقاوتهم وهي الأفعال القبيحة الموجبة للخيبة والخذلان بإرادة الديان، فلا ينبغي تركُ العمل اعتماداً على الأزَل، وكلُّ مُيسَّرٍ لَمَّا خُلِقَ لَهُ، والكريم إذا استعمل عبده في علامات إكرامه لا يخيبه، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ١٢٠] وإن كان هو سلطان لا يبالي بما يفعل.



(إِلَى الْمَشِيئَةِ يَسْتَنْدُ كُلُّ شَيْءٍ) سِوَى اللَّهِ تعالى؛ إذ ما من شيء إلا وهو مبشينة الله وإرادته وقدرته وقضائه وقدره وعلمه.

(وَلَا تَسْتَنْدُ هِيَ إِلَى شَيْءٍ) أي: تعلقُ مشيئة الله تعالى بإيجاد الأشياء بمجرد اختياره، وليست لها علةٌ توجيهاً، وأفعالُ ذي الفضل لا تَعْلَلُ بِالْعِلَلِ.



(رُبُّمَا دَلَّهُمْ) أي: العارفين بالله تعالى (الْأَدَبِ) مع الله الذي قسم لكل عبد نصيبه في الأزَل بمجرد الجود والفضل، (عَلَى تَرْكِ الطَّلَبِ) من الله تعالى ما قسم لهم؛ لأن طلبه يؤهم قلة الأدب مع الجواد الذي يعلم العلانيات والخفيات، ويوصل إلى كل عبد قسطه في الوقت الذي عيَّنه للإعطاء بحكمته؛ لما في ذلك من الاستعجال وإيهام اتهام البخل للقدوس عن سمات أهل

الزوال. (اعْتِمَاداً عَلَى قِسْمَتَيْهِ) التي قسمها لهم في الأزل لأن ما قسمه لا بد أن يوصله، فالطلب من قلة الأدب.

لكن هذا إذا كان الطلب لمجرد تحصيل العطاء، أما إذا كان لإظهار العبودية لذي الآلاء، وإبداء الفاقة لدى ذي الكبرياء، فهو من كمال معرفة العارفين والأولياء.

(وَاشْتَغَالاً بِذِكْرِهِ) القلب واللساني (عَنْ مَسَائِلِهِ) لأن من اشتغل بذكره أعطاه أحسن ما يعطي السائلين، بل ذكّره سؤالاً منه لأن الفقير إذا ذكر الغني ومدّحه فقد سأل ما يدفع فقره.



(إِنَّمَا يُدَكَّرُ) بالطلب مما عنده من الذي وَعَدَهُ أو من الذي عِنْدَهُ (مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِغْفَالُ) عن إسعاف الآمال، وذلك العبد المَجْبُولُ على البخل والنسيان، وأمّا الله العليم فلا يجوز عليه ذلك لأنّ ذاته وصفاته منزّهة عنه.

(وَإِنَّمَا يُنَبَّهُ) على إعطاء ما عنده (مَنْ يُمْكِنُ مِنْهُ الْإِهْمَالُ) في الإفضال - لشحه أو شغله - هو المخلوق المطبوع على السهو والغفلة، أمّا الباري فمُنَزَّه عن ذلك، فمن سأل لمجرد تحصيل المطلوب كأنه لم يعتمد على قسمته، ولم يشتغل بأعلى الوسائل إلى مقصوده، وكأنه جَوَّزَ عليه الإغفال والإهمال، تعالى عن ذلك الكبير المتعال.



(وُرُودُ الْفَاقَاتِ) من خالق الموجودات الذي صُنِعَ لا يخلو عن الحِجَمِ (أَعْيَادُ الْمُرِيدِينَ) الذين يريدون السلوك إلى مَلِكِ الملوك، وذلك أنّ ورودها يكسر أنانيتهم، ويظهر سر العبودية عندهم، ويبيد ذلهم وهوانهم، وبذلك تصفى قلوبهم عن سوى مطلوبهم، فيصلون إلى محبوبهم. وعيدُ المِحْبِ وقت ملاقاته مع حبيبه، أو وقت مجيء بشارة ملاقاته.



(رُبَّمَا وَجَدَتْ مِنْ الْمَزِيدِ) في الترقّي إلى الحميد (في الْفَاقَاتِ) التي

تطهر عن أوساخ القاذورات (ما لَا تَجِدُهُ) من المزيد (في الصَّومِ وَالصَّلَاةِ) الذين هما من أجل أفراد العبادات، وذلك أَنَّ حالة الفاقة أنسب بحال العبودية، وبقدر الاتصاف بالعبودية يُتوصَّل إلى ذي الربوبية.



(الفاقاتُ) المطهرات عن سوى مالِك الأرض والسَّمَوَاتِ، المرقبات إلى أعلى الدرجات (بُسْطُ الْمَوَاهِبِ) الوهابية يَهَبُها لمن يختاره من خَلْقِهِ.



(إِنْ أَرَدْتَ) يا أيها المحب الصادق (وُورِدَ الْمَوَاهِبِ) الإلهية (عَلَيْكَ صَحْحُ الْفَقْرِ) عن غير الله إليه، (وَالْفَاقَةُ) عن ما سواه (لَدَيْكَ)، فإذا صححتهما واتصفت بهما كما ينبغي الاتصاف بهما نُثِرَتْ عليك أطباق مواهب الرحمن وهدايا الحنان ومِنَ المنان، فإنما ينال كرم الكريم مَنْ تَذَلَّلَ بين يديه وأظهر فاقته لديه، كما قال المصنف: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ﴾ [التوبة: ٦٠] فصدقات الفقراء لفقرائها، وصدقات الله تعالى لفقرائه، وشتان ما بين الصديقين.



(تَحَقَّقْ بِأَوْصَافِكَ) العبودية بأن تعطي كل وَصْفٍ من أوصاف عبوديتك حقَّها، وتتصف بها كما ينبغي الاتصاف بها، فأعْطِ وَصْفَ الفقر والفاقة حقَّه، وَوَصَفَ الذلة والخسة حقَّه، والتعبد قِسْطَه، (يُمِدُّكَ بِأَوْصَافِهِ) فعلى قدر اتصافك بأوصافك تُمَدُّ من أوصافه، وعلى قدر التواضع والذلة تُمَدُّ بالعز، وعلى قدر الفاقة تُمَدُّ بالغنى، وعلى قدر الإذعان تُمَدُّ بالعرفان، وهلم جرأً. هذا كما قال: (تَحَقَّقْ بِذِلَّتِكَ) الذاتية اللازمة معك بأن ترى نفسك أذل الأشياء عند ذي العز والكبرياء (يُمِدُّكَ بِعِزَّتِهِ) فيجعلك عزيزاً في ملكه كأنك عروس مملكته.

(تَحَقَّقْ بِعِزَّتِكَ) الأصلي بأن لا ترى لنفسك قدرة على شيء من الأشياء (يُمِدُّكَ بِقُدْرَتِهِ) حتى يجعلك قادراً على تحمل أثقال التجليات الإلهية

وعلى خوارق العادات حتى تقطع الأرض كلها بخطوة. سبحانه من لا يعطي قدرته إلا من ترك قدرته.

(تَحَقَّقْ بِضَعْفِكَ) الذي خُلِفْتَ عليه بأن تعلم أنك لا تقدر على شيء ما (يُمِدُّكَ بِحَوْلِهِ) بأن تصرف من البلايا والمِخَن ما لا تقدر عليه بحولك لولا إمداد الله إياك بحوله.

(وَقُوَّتِهِ) بأن تقوى على ما لا تقدر عليه بقوتك لولا إمداد الله إياك بقوته. ألا ترى أن الأنبياء ﷺ والأولياء لما تبرئوا من حولهم وقوتهم خرق لهم خوارق العادات، ومكّنهم من الجولان في ملكوت الأرض والسموات، وأكرمهم بما يعجز عنه البشر من الكرامات.



(رُبَّمَا زَرَقَ الْكَرَامَةَ) التي هي عبارة عن خرق العادة (مَنْ لَمْ تَكْمُلْ لَهُ) الاستقامة على حدود الشريعة التي توجب الفوز والفلاح، إمّا لُيَعِنَهُ بها على سلوكه في طريقه لأنه إذا رأى الكرامة اشتاق إلى ما فوقها، أو لينفع به خلقه بأن يقضي حوائجهم بواسطة إظهارها على يديه، أو ليستدرجه بها إن لم يُرِدْ به خيراً، أو أعلى منها، فإن لم يُرِدْ به خيراً رَدَّهُ بخرق العادة إلى الضلالة، وإن لم يُرِدْ به أعلى منها شغله بها عن ما أمامها.

وكم قيّدت الكرامات من أهل البدايات عن الوصول إلى أعلى درجة الولايات، ولذا قيل: الاستقامة خيرٌ من ألف كرامة.



(مِنْ عَلَامَةِ إِقَامَةِ الْحَقِّ) الذي يقيم من يشاء من خلقه في مظهر وصف الحق من صفاته، (إِيَّاكَ فِي الشَّيْءِ إِقَامَتُهُ إِيَّاكَ مَعَ حُصُولِ النَّتَائِجِ) الموضوعه فيه بأن تزداد به قرباً من الحق، وأمّا إذا لم تحصل نتائجه فاعلم أنه ليس من إقامة الحق إياك فيه.

توضيح هذا المقام أن الله تعالى أوصافاً تقتضي الاهتداء لخلقه وقربهم إليه وزيادتهم في معرفته والفوز بفضلته لتظهر مظاهرها كالجود والكرم والرحمة

والرأفة والعفو، ويعبر عنها بالجمال، وأنّ له أوصافاً تقتضي إضلال الخلق وبعدهم وزيادتهم في الجهل به والابتلاء بالعقوبة لتظهر مظاهرها كالقهر والعظمة والكبرياء والعلو، ويعبر عنها بالجلال، فإذا اشتغل العبد - بقدرته تعالى - بعبادة من عباداته فإذا حصلت له نتائجها نسب ذلك إلى الله تعالى كما هو في حقيقة الأمر، وإذا لم تحصل نسب ذلك إلى العبد أو إلى نفسه أو إلى الشيطان تأدباً مع الله تعالى، فإذا قام العبد في شيء وحصلت له نتائجها التي تقربه إلى مولاه علم أنّ ذلك من إقامة الحق إياه فيه، وإذا لم تحصل علم أنّ ذلك من إقامة النفس والشيطان، تأمل في هذا المقام إن كنت من أولي الأحلام.



(مَنْ عَبَّرَ) بمقاله أو حاله (مِنْ بِسَاطِ إِحْسَانِهِ) كأن يقول أو يظن: إني عبدت ربي كأنني أراه، (أَصْمَتَتْهُ الْإِسَاءَةُ) التي هي لازمة مع الإنسان لا تفارقه في آن من الأوان، وأتى للناقص أن يتأتى شيء منه من غير نقصان؟!!

فينبغي له أن يستحيي أن يتفوه بإحسانه بلسانه أو يخيله في جنانه لِعَلِّمِهِ بِإِسَاءَتِهِ ونقصانه. إذا رأيت من يعبر عن إحسانه من حيث وقوعه منه فهو من قلة عقله وحيائه، وأتى للمسيء أن يعبر عن إحسانه؟! لو عرف انغراقه في نقصانه لاختجل في جميع أزمائه.

(وَمَنْ عَبَّرَ مِنْ بِسَاطِ إِحْسَانِ اللَّهِ إِلَيْهِ) بأن يذكر ما منّ الله به عليه من الأعمال والأحوال، مع عِلْمِهِ أن ربه هو الذي أحسن إليه بأن جعله مظهرًا للفضائل والفواضل والأنوار والأسرار، واتخذة خاصاً لنفسه يظهر فيه أنوار قدسه، (فَمَ يَصْمُتْ) عن ذكر الإحسان (إذا أساء) لأنه إذا عبر عن إحسانه مع عصيانه إنما يعبر تحدثاً بنعمة ربه وشكراً لما منّ عليه به من مواهبه وإعلاماً بقصور حاله، كأنه يقول بلسان حاله: إن سيدي أكرمني بهذه الكرامة، وأنا قابله بهذه القبيحة، ومثل هذا يبوح بإحسانه عند عصيانه ويزداد به قرباً إلى رحمانه.



(تَسْبِقُ أَنْوَارُ الْحُكَمَاءِ) الذين ظهروا أنفسهم عن غير ذي الكبرياء، وخلصوها لذي النعماء، فوهبهم أنواراً يدركون بها غوامض الأمور، ويعبرون عنها بالطف العبارة وألخصها في ميدان الحقائق، (أَقْوَالُهُمْ، فَحَيْثُ سَارَ التَّنْوِيرُ) الحاصل بالأنوار، وذلك أَنَّ الأنوار تنور للقلوب حقائق الأمور وغوامضها على قدر القابلية، (وَصَلَ التَّعْبِيرُ) عن حقائق الأشياء وغوامضها، فمن كان تنويره أعلى كان تعبيره أصوب وأجلى، ومن كان تنويره أدنى كان تعبيره لا يخلو عن الخطأ والخفاء.

لَمَّا كَانَ تنوير الأنبياء ﷺ أتم وأكمل كان تعبيرهم مطابقاً للواقع وأظهر وأجمل، وَلَمَّا كَانَ تنوير الأولياء ومن دونهم أنقص من تنوير الأنبياء ﷺ كان تعبيرهم لا يخلو عن خطأ وخلل.

ثم نور كل مؤمن على قدر اتباعه للنبي ﷺ لأنه الشمس، وهؤلاء النجوم، يكتسبون أنوارهم من نوره على قدر اقتدائهم به.



(كُلُّ كَلَامٍ يُبَيِّرُ) من خزائن الضمائر إلى ميادين الظواهر (وَالْحَالُ أَنَّ عَلَيْهِ كِسْفَةً) آثار أنوار (الْقَلْبِ الَّذِي بَرَزَ مِنْهُ) فَإِنَّ بَرز من أنوار القلوب كان عليه آثار ذلك على قدر ذلك، وَإِنْ بَرَزَ مِنْ أَكْدَارِ القلوب كان عليه علامات على قدر ذلك، فانظر في أقوال الأنبياء ﷺ تجد عليها أنواراً كالبدور، وأقوال الأولياء تجد عليها نوراً على قدر مقامهم، وأقوال غيرهم تجد عليها آثار الكدر على قدر حالهم، وَإِنْ كَانَ كَلَامُ الْمُؤْمِنِ عَلَى مُقْتَضَى إيمانه لا يخلو عن نور الإيمان.



(مَنْ أَدْنَى لَهُ فِي التَّعْبِيرِ) عن الحقائق التي سُيِّرَتْ فِي خَزَائِنِ الْعَلِيمِ الْقَدِيرِ (فُهِمَتْ فِي مَسَامِعِ الْخَلْقِ عِبَارَتُهُ، وَجُلِّيَتْ عَلَيْهِمْ إِشَارَتُهُ) يفهم أصل مقصوده كل من كان له نوع قابلية، ألا ترى إلى كلمات رسول الله ﷺ يفهم أصل مقاصدها كل من يعرف لسان العرب، مع أن تحت كل كلمة منها أبحراً

من العلوم، وإلى كلمات غيره لا يفهم كثير من كلماتهم إلا بعد تعب شديد، مع أنه لو حقق الإنسان أمرها لم يجد تحتها شيئاً.



(رُبَمَا بَرَزَتِ الْحَقَائِقُ مَكْسُوفَةً الْأَنْوَارِ) التي أمكن بها على التعبير عنها (إِذَا تَمَّ يُؤَدَّنْ لَهُ فِيهَا بِالْإِظْهَارِ) فتذهب أنوارها للمخالفة في إظهارها، وكثيراً ما تكون مثل هذه الحقائق سبباً في هلاك مخبريها وتكفيرهم وتبديعهم.



(عِبَارَتُهُمْ) أي: عبارة أهل الله تعالى (إِنَّمَا لِفَيْضَانِ وَجِدٍ) في قلوبهم التي تَرُدُّ عليها واردات الحق فلا يقدرّون على عدم التعبير عن ما في ضميرهم. (أَوْ لِقَصْدٍ هِدَايَةٍ مُرِيدٍ) يهتدي بعباراتهم الموضحة لطريق الحق، المرغبة للسلوك فيه، ولا يعبرون عن ما في ضمائرهم لغير ذلك، ومن عبّر لغير ذلك فاعلم أنه متكلّف.

(هَالِأُولُ حَالُ السَّالِكِينَ) الذين لم يستأهلوا بعد لتحمل واردات الحق لضعف قابليتهم، فإذا ورد عليهم واردٌ قوي عبّروا عنه ليتخفف ما بهم. (وَالثَّانِي حَالُ أَزْبَابِ الْمُكْنَنَةِ) أهل التمكين في مواقع اليقين (وَالْمُحَقِّقِينَ) الذين استأهلوا - لتحقيقهم في منازل سلوكهم - لتحمل واردات الحق.

ألا ترى أن البعير إذا وضع عليه في ابتداء الأمر حمل ورغى وصاح وإن كان خفيفاً، وإذا تمرن في ذلك لم يرغ ولم يصح، ولو وضع حمل ثقيل، وربما يموت من ثقله ولا يبدو شيء من صوته.



(الْعِبَارَاتُ) عن الأمور الحقة (قُوَّتُ لِعَائِلَةِ الْمُسْتَمْعِينَ) أي: لفقيرهم، فإنه لفقره يتقوت بعبارات الحقائق، ويرقى بها إلى فهم الدقائق، لا لغنيهم فإنه لغناه الذي حصله بإيقانه في إيمانه يدرك الحقائق من غير أن يحتاج إلى استماع العبارة.

(وَلَيْسَ لَكَ) يا أيها القائل من أقوالك ويا أيها السامع مما تسمع (إِلَّا) ما أَنْتَ لَهُ أَكِلٌ) أي: متصِفٌ به عامِلٌ به ماشٍ على مقتضاه، فَإِنَّ مجرد القول بالأقوال لا يوجب التحقُّق بالأحوال، وسماعها من غير عمل عليها لا يحصل في السامع حقائقها.

ألا ترى أن من قال بلسانه: «اللبن» لا يصير شارباً له ذائِقاً لذته بمجرد التقوُّل به؟! بل لا يجد ذوقه إلا بعد شربه، وكذا إذا سمع شخصٌ لفظَ «اللبن» لا يصير شاربه حتى يشربه، فمن زعم أنه بمجرد القول بالأقوال أو بسماعها يصير متصفاً بحقائقها فهو مجنون لا يستأهل للخطاب، بل هو أشبه الناس بالسوفسطائية الذين يزعمون أنَّ حقائق الأشياء تابعة لعقائدهم.



(رُبُّمَا عَبَّرَ عَنِ الْمَقَامِ) من مقامات أهل الله التي يسلكونها في سلوكهم إلى ربهم (مَنْ اسْتَشْرَفَ عَلَيْهِ) ولم يدخله ولم يعرفه حق معرفته. (وَرُبُّمَا عَبَّرَ عَنْهُ مَنْ وَصَلَ إِلَيْهِ) وعرفه حق معرفته. ومثالهما مثال من ينظر البلدة فيخبر عنها قبل أن يدخلها، ومن يدخلها ويعرف ما فيها ويخبر عنها.

(وَذَلِكَ) أي: أمرهما (مَلْتَمِسُ) لا يميِّز المستشرف عن الواصل، (إِلَّا عَلَى صَاحِبِ الْبَصِيرَةِ) بذلك المقام، فإنه يرى على كلام المستشرف كسوة عدم وصوله إليه، وعلى كلام الواصل كسوة وصوله إليه.



(لَا يَنْبَغِي لِمَسَائِكَ) الذي لم يصل بعد إلى مطلوبه (أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ) (وَارِدَاتِهِ) التي تَرُدُّ عليه من ربه وهو لا يرضى بالتعبير عنها؛ (فَإِنَّ ذَلِكَ) التعبير (يُقِلُّ عَمَلَهَا) أثرها الذي تَرُدُّ لأجله (فِي قَلْبِهِ).

واردادُ الربِّ القريب في حق السالك كأدوية الطبيب في حق المريض، فالمريض إن صبر على مرارة الأدوية حصل له أثرها الذي هو الشفاء من الأمراض الظاهرية، وإن لم يصبر عليها، بل لَفَطَهَا، لم يظهر أثرها، كذلك السالك إذا صبر على ثِقَلِ الواردات ولم يظهرها ظهر فيه أثرها الذي هو شفاء

من الأمراض الباطنية وسبب للترقي إلى ذي الألوهية، وإن لَفَظَ بها لم يظهر أثرها، فتأمل.

(وَيَمْنَعُهُ وُجُودُ الصَّدَقِ مَعَ رَبِّهِ) لأنه حين وضع رجله في طريق السلوك إلى مَلِكِ الملوك عَاهَدَهُ بلسان حاله أنه لا يفشو أسرارَه قبل إذنه، وقال له: أنا صادق في هذا الوعد، فإذا باح بها فقد أخلف وَعْدَهُ وظهر عَدَمُ صدقه.



(لَا تَمُدَّنْ يَدَكَ إِلَى الْأَخِذِ مِنَ الْخَلَائِقِ) التي لا تملك ضرراً ولا نفعاً (إِلَّا أَنْ تَرَى أَنَّ الْمُعْطِي فِيهِمْ مَوَلَاكَ) بأن تعلم أنه هو الذي يتصرف فيهم وفي إعطائهم، وإنما هم وُكُلَاؤُهُ، فإن أراد أعطوا، وإلا لا، أو أن يكشف لك عن مغيبات الأمور فيصير عندك الغيب كالعيان.

(فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ) بأن اتصفت بأن لا ترى المعطي غير ربك (فَخُذْ مَا وَافَقَكَ الْعِلْمُ) الذي أتى به رسول الله ﷺ من ربه ويَبَيِّنُ به الحلال والحرام (فِيهِ) ولا تأخذ غيره اعتماداً على عرفانك أو كُشْفِكَ؛ إذ لا يُعْمَلُ بهما إذا لم يوافقاً شريعةَ محمد ﷺ فإنها هي الحاكمة على الكل.

وأما ما يعتمد عليه بعض الناس في الحل والحرمة والطاعة والمعصية وغيرها على عرفانهم أو كشوفهم فهو جَهْلٌ وخروجٌ عن دائرة الإيمان إلى الكفران، فالحذر الحذر من مخالفة شريعة سيد البشر ﷺ فإن من خالفها فقد أوبق نفسه في المهالك.



(رُبُّمَا اسْتَخَيَّ الْعَارِفُ) بالله تعالى (أَنْ يَرْفَعَ حَاجَتَهُ إِلَى مَوْلَاهُ) فضلاً عن ما عداه (اِكْتِفَاءً بِمَشِيقَتِهِ) إذا علم أن الاكتفاء بالمشيئة في المطلوب أهم وأقدس وأولى وأفيد من إظهار الفقر والفاقة، (فَكَيْفَ لَا يَسْتَخِي أَنْ يَرْفَعَهَا إِلَى خَلِيقَتِهِ) مع أنهم أعجز من أن يقضوا حاجته بدون إرادته؟!.

هذا إذا علم أن السيد لا يرضى برفع حاجته إليهم، وأما إذا علم أن

السيد يحب ذلك لِعِلْمِهِ أَنَّهُ يَأْخُذُ مِنْ اللَّهِ لَا مِنْ غَيْرِهِ فَلِيرْفَعَهَا إِلَيْهِمْ لِيَأْخُذَهَا مِنْ أَيْدِيهِمْ لِأَنَّهَا وَسَائِطُ أَجْرِي الْكَرِيمِ عَطَايَاهُ عَلَى أَيْدِيهِمْ، وَهُوَ مِنْ كَمَالِ الْعُرْفَانِ، فَافْهَمُ إِنْ كُنْتَ مِنْ أَهْلِ الْإِيقَانِ.



(إِذَا التَّبَسَّ عَلَيْنِكَ أَمْرَانِ) أَيُهُمَا أَحَقُّ، وَلَمْ يُعَلِّمْ مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرْعِ حُلُمَا أَوْ حَرَمَتُهُمَا أَوْ جَوَازُهُمَا وَمَنْعُهُمَا؛ إِذْ مَا بَيَّنَّ فِي الشَّرْعِ لَا تَحْكِيمَ لِلنَّفُوسِ فِيهَا، بَلْ تَحْكِيمُهَا فِيهِ جَهْلٌ وَضَلَالَةٌ، (فَانْظُرْ أَيُهُمَا أَثْقَلُ) مُبَاشَرَةً (عَلَى النَّفْسِ) الَّتِي جُبِلَتْ عَلَى خِفَةِ الْبَاطِلِ وَثِقَلِ الْحَقِّ عَلَيْهَا، (فَاتَّبِعْهُ) فَإِنْ ثَقُلَ عَلَيْهَا عَلَامَةُ كَوْنِهِ حَقًّا، (فَإِنَّهُ لَا يَثْقُلُ عَلَيْهَا إِلَّا مَا كَانَ حَقًّا) لَمَّا طُبِعَتْ عَلَى ثِقَلِهَا إِيَّاهُ.



(مِنْ عِلَامَاتِ اتِّبَاعِ الْهَوَى) الَّذِي جُبِلَ عَلَى الْفِرَارِ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي هِيَ حَقٌّ (الْمُسَارَعَةُ إِلَى تَوَافُلِ الْخَيْرَاتِ) أَيِ: الزَّوَائِدِ عَلَى الْفَرَائِضِ، (وَالْتَّكَاسُلُ عَنِ الْقِيَامِ بِالْوَاجِبَاتِ) وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ مُجْبُولَةً عَلَى التَّنَفُّرِ مِنَ الْأُمُورِ الْحَقَّةِ الْمُقَرَّبَةِ إِلَى الرَّبِّ، وَحَقِيقَةِ الْوَاجِبَاتِ أَثْقَلُ، وَالتَّقَرُّبُ بِهَا أَكْثَرُ، وَحَقِيقَةُ النَّوَافِلِ أَخْفَ، وَالتَّقَرُّبُ لَهَا أَقْلُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْفَرَائِضِ، فَإِذَا خُيِّرَتْ بَيْنَهُمَا سَارَعَتْ إِلَى مَا هُوَ أَخْفَ عَلَيْهَا بِمَقْتَضَى طَبْعِهَا وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا ثَقِيلًا فِي الظَّاهِرِ.



(فَقِيْدُ) الْحَكِيمُ (الطَّاعَاتِ) كَالصَّلَوَاتِ وَالصِّيَامِ وَالْحَجِّ (بِأَعْيَانِ الْأَوْقَاتِ) وَوُظِفَهَا فِيهَا (كَتَى لَا يَمْتَعَكَ عَنْهَا وُجُودُ التَّسْوِيفِ) وَذَلِكَ أَنَّ النَّفْسَ مُتَسَوِّفَةً، فَلَوْ قِيلَ لَهَا مِثْلًا: صَلِّ فِي عَمْرِكَ كَذَا وَكَذَا صَلَاةً، أَوْ فِي سَنَةٍ أَوْ شَهْرٍ أَوْ جُمُعَةٍ كَذَا وَكَذَا صَلَاةً، تَسَوَّفَتْ وَقَالَتْ لِصَاحِبِهَا: الْوَقْتُ كَثِيرٌ، وَالْعَدَدُ قَلِيلٌ، أَنَا أَوْفِي لَكَ هَذَا الْعَدَدَ فِيمَا بَعْدَ، دَعْ وَاسْتَرَحْ، فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى تَفْجَأَ الْمَنِيَّةُ وَتَفُوتَ الْأَمَنِيَّةُ.

(وَوَسَّعَ الْوَقْتَ عَلَيْكَ) فإنه جعل لكل صلاة مثلاً وقتاً موسعاً زائداً على قدر أدائها (كَتَبَ تَبْقَى لَكَ حِصَّةٌ فِي الْاِخْتِيَارِ) فتفعل لاختيارك في أي جزء شئت من أجزاء الوقت.

وللعبد اختيار في كسبه وإن كان ذلك أيضاً بخلق الله، ولو ضيق عليك لكنت كالمضطر في أدائها، فسبحان من شرع أحكام الدين منوطة بكمال الحكمة.



(عَلِمَ قَلَّةُ نُهْوِضِ) قيام (العباد إلى مُعَامَلَتِهِ) طاعته التي هي لازمة عليهم بمقتضى عبوديتهم للذي الربوبية؛ لما ابتلوا به من النفوس المجبولة على التكاثر عن العبادة، (فَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ وُجُودَ طَاعَتِهِ) وأوعدهم على تركها بغضبه وعقابه، (فَسَاقَهُمْ إِلَيْهِ بِسَلْسِلِ الْامْتِحَانِ) إلى العرفان والإيمان والجنان لأنهم إذا علموا أَنَّ السيد إذا خالفوه في ما أوجب عليهم من طاعته أغمرهم في نعمته وحرّمهم من نعمته ومعرفته، وإذا أطاعوه أكرمهم بنعمته وجنته ونجاهم من نعمته وألذهم بمعرفته، أسرعوا إلى الطاعة كافرين أنفسهم عن المعصية وإن كانت نفوسهم لا تُسَاق إليها إلا بسلاسل الامتحان.



(عَجِبَ رَبُّكَ) عجباً يليق به (مِنْ قَوْمٍ يُسَاقُونَ إِلَى الْجَنَّةِ بِالسَّلَاسِلِ) أي: بسلاسل الحديد أو التكليف على رغم أنوفهم، فما أكرم هذا الكريم، يجر عبيده غصباً عليهم إلى النعيم.



ولا تترك العبادة لعدم علمك بدخول الجنة، فإنه (أَوْجَبَ عَلَيْكَ وُجُودَ خِدْمَتِهِ) التي تقتضيه بشريتك لألوهيته، (وَمَا أَوْجَبَ عَلَيْكَ) بإيجاب الطاعة في الحقيقة (إِلَّا دُخُولَ جَنَّتِهِ)؛ إذ العبادة جَنَّةٌ عاجلة يتمتع بها أهلها الكاملون، ووسيلة إلى جَنَّةٍ فيها ما تقر به العيون.



(مَنْ اسْتَعْرَبَ أَنْ يُنْقِذَهُ اللَّهُ مِنْ شَهَوَاتِهِ) التي جُبِلَ عليها (وَأَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ وُجُودِ غَفَلَتِهِ) التي طُبِعَ عليها (فَقَدْ اسْتَعْجَزَ) عَدُّ (الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَةِ) عاجزة عن إنقاذه من شهوته وإخراجه من غفلته، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُمِناً﴾ (الكهف: ٤٥)) قادراً على إيجاده، وهذا ممكن في حد ذاته، وليس بمحال، فالله قادر عليه.

لكن قلّ ما ينقذه ويخرجه لحكم يعلمها، ولو أخرج الناس كلهم عن شهواتهم وغفلاتهم وعصمهم عن السيئات ووقفهم للطاعات متى تظهر مظاهر الصفات التي لا توجد إلا بها؟! ومن يعمر هذه الدنيا التي تعميرها بهم؟! ومن يملئ جهنم التي خلقها لأهل الشهوات والغفلات؟! فسبحانه ما أعظم شأنه وأجلى برهانه.



(رُبَّمَا وَزَدَتْ الظُّلُمُ) القلبية المغطية لأنوار القلوب وأسرارها (عَلَيْكَ يُعْرِفُكَ قَدَرٌ مَا مَنُ بِهِ عَلَيْكَ) من أنواره الموجبة لأسراره، فتعرف قدر نعمة النور، وتزداد شكراً للغفور ومعرفةً للشكور. والأشياء تعرف بأضدادها وعند فقدانها كما قال المصنف:



(مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَدَرَ النِّعَمِ بِوُجْدَانِهَا) بأن لم يقم في أداء شكرها حق القيام ولم يفرح بها حق الفرحة بها، (عَرَفَهَا بِوُجُودِ قُدْرَانِهَا) كما قيل: إن زنجياً جُعل في السفينة، فجعل يبكي ويصيح، فأدلى في البحر، فتعلق بالسفينة، فرفعه فأدخلوه فيها فسكن صياحه لأنه عرف مقدارها حين فقد قرارها.



(لَا تُدْهِشُكَ) لا يوقعك في الدهش الموجب للغفلة (وَارِدَاتُ النِّعَمِ) من ذي الفضل والكرم (عَنِ الْقِيَامِ بِحُقُوقِ شُكْرِكَ) الذي طلبه منك المولى المنعم على قدر طاعتك، وإلا فَنِعَمُ الله لا يقدر أحد أن يحصيها، فضلاً عن أن يؤدي شكرها.

(فَإِنَّ ذَلِكَ) الدهش المذكور الموجب للقصور في شكر الشكور (وَمَا يَحُطُّ مِنْ وُجُودِ قَدْرِكَ) عند ربك على قدر قصورك في شكرك، فَإِنَّ من لم يعرف نِعَم المولى ولم يؤد شكرها نقص قدره عند مرسلها.



(تَمَكُّنُ حَلَاوَةَ الْهَوَى) الذي هو مَيْلُ النفس الأَمَارَةُ إلى شهواتها وزلاتها وهفواتها، (مِنْ الْقَلْبِ) الذي هو منبع الأنوار والأسرار، (هُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ) الذي لا يخرج منه إلا بالشدة، وذلك أن للقلب تأثيراً مما يَرِدُ عليه، فإذا تمكن فيه حلاوة الهوى خرج منه موجبات التقوة، وامتلاً بمحصلات الردى، وتكدر وتقذر، وترسخ فيه أقدار الأوزار. قال الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]. ولا يصفى القلب من هذه الأوساخ إلا بعد علاج شديد، وقلماً يصلح لحالٍ جليل.



(لَا يُخْرِجُ الشَّهْوَةَ) التي جُبِلَ عليها الإنسان (مِنْ الْقَلْبِ إِلَّا خَوْفٌ) من هيبة القهار وجبرياء الجبار ومن غضب العظيم ودخول النار، (مُزْعِجٌ) للقلب، فإنه يذيب كدوراته ويطهره عنها كما تُذْهِبُ النار خَبَثَ الحديد وتطهره من الأقدار.

(أَوْ شَوْقٌ) إلى ذي الإفضال والنوال (مُقَلِّقٌ) له، فإنه لا يزال ينظفه عن ما في باطنه من الأقدار والعَلَلِ حتى يجعله خالصاً للذي يشتهى إليه، وهو الكريم ذو الجود والفضل.

ومن لم يكن فيه كلاهما أو أحدهما لا يتأتى له قَلْعُ شهوته من قلبه. ألا يرى هل يمكن أخراج وسخ الحديد من غير إدخاله في الكير؟!



(كَمَا لَا يُحِبُّ) المنفردُ بالآلوهية المستحقُّ للعبودية (الْعَمَلَ الْمُشْتَرَكِ) بينه وبين غيره، بل يَرُدُّه على وجه عامله، ويخيبه من أمله لشركه مع ربه، (كَذَلِكَ لَا يُحِبُّ الْقَلْبُ الْمُشْتَرَكِ) بين حبه وبين غيره والتوجه إليه والتوجه

إلى غيره، بل هو أحق بعدم الحب لأنه موضع نظر الرب من البدن، عليه مداره صلاحاً وفساداً.

(الْعَمَلُ الْمُشْتَرَكُ لَا يَقْبَلُهُ) بل يرُدُّه على وجه المشرِك ويعذبه.
(وَالْقَلْبُ الْمُشْتَرَكُ لَا يُقْبَلُ عَلَيْهِ) ولا يتجلى بجماله وجلاله عليه، ولا يلتفت إليه، بل يجعل صاحبه أحقر الأشياء لديه للإعراض عن ربه في حضرته وتضييعه محل معرفته. وعدم الإقبال عند أهل الكمال أشد عقوبة من عدم القبول.



(أَنْوَارٌ) واردة من غفور (أُذِنَ لَهَا فِي الْوُصُولِ) إلى قلب السالك إلى المالك يشاهدها ويشتاقي إلى مرسلها، ولم يؤذن لها أن تدخل إلى قلبه لعدم قابليتها لدخوله بعد.

(وَأَنْوَارٌ أُذِنَ لَهَا فِي الدُّخُولِ) في قلبه لتأهله لذلك، فتدخله وتنوره وتضيئه له الطريق الذي يسلكه وتوصله إلى مقصوده.



(رُبُّمَا وَرَدَتْ عَلَيْكَ الْأَنْوَارُ) النازلة من الغفار (فَوَجَدَتِ الْقُلُوبَ) الذي هو محل دخولها (مَحْشُورًا) مملوئاً (بِصُورِ الْأَثَارِ) الشاغلة للقلب بالأكدار (فَارْتَحَلَتْ مِنْ حَيْثُ نَزَلَتْ) لوجدانها موضع نزولها مشغولاً بأضدادها، فالويل كل الويل لمن ترد عليه هدايا سيده فترجع لعدم أهليته لها.



(فَرَّغَ قَلْبَكَ) الذي هو مقر الأنوار (مِنَ الْأَغْيَارِ) الموجبة للأكدار، وذلك أن تجتهد في إزالتها حتى تنقلب عندك دلائل على خالقها وشواهد على مالِكها، (تَمَلَّذَةٌ بِالْمَعَارِفِ) الربانية (وَالْأَسْرَارِ) الإلهية؛ لأنَّ الأغيار والأسرار ضدان لا يجتمعان، فمن أراد تحصيل الأسرار مع تلطخه بأكدار الأغيار فهو من الأغمار.



(لَا تَسْتَبْطِئُ مِنْهُ الثُّوَالِ) العطاء، فإنه ينزله بحكمته في الوقت الذي يختاره، (وَلَكِنْ اسْتَبْطِئُ مِنْ نَفْسِكَ) الهائمة في أودية الآثار (وُجُودَ الْإِقْبَالِ) على ذي الجود والإفضال، فإذا أَقْبَلْتَ إليه وتوجَّهْتَ إليه قَابَلَكَ بالنوال، وزادك ما لم يكن في الخيال.



(حُقوقُ فِي الْأَوْقَاتِ) كالصلوات والصيام (يُمْكِنُ قَضَاؤُهَا) في غير أوقاتها، وقد وسَّع الكريم على الضعفاء بتداركها في غير أوقاتها. (وَحُقوقُ الْأَوْقَاتِ) المطلوبة لأجلها (لَا يُمْكِنُ قَضَاؤُهَا) لعدم وجود ما تُقْضَى فيه؛ (إِذْ مَا مِنْ وَقْتٍ) من الأوقات (يَرِدُ) بعد مُضِيِّ ما قبله (إِلَّا وَلِلَّهِ) المنعم على خلقه في كل آنٍ (عَلَيْكَ فِيهِ حَقٌّ جَدِيدٌ وَأَمْرٌ أَكِيدُ) تقوم به شكراً للمولى، وذلك أَنْ إِبْقَاءَ الله تعالى عبده في الوجود وحفظه من الآفات في كل آن نعمة جديدة تتجدد بتجدد الوقت ينبغي شكرها، (فَكَيْفَ تَقْضِي فِيهِ حَقَّ غَيْرِهِ) إذ ليس فيه زيادة عن حقه (وَأَنْتَ لَمْ تَقْضِ حَقَّ اللَّهِ فِيهِ؟) ألا يرى هل يسع الإناء بعد امتلائه من جنس ما مُلئ به؟!



(مَا فَاتَكَ مِنْ عُمْرِكَ) في غير ما يُوجِبُ قُرْبَكَ مِنْ رَبِّكَ (لَا يَوْضُ لَهُ) فيما بعد؛ إذ الفائت لا يرجع. (وَمَا حَصَلَ لَكَ مِنْهُ) بأن تقربت فيه إلى مولاك (لَا قِيَمَةٌ لَهُ) فإنك تحصل بذلك من الكرامات الدنيوية والأخروية ما لا قيمة لها، ألا ترى إلى الجنة التي هي جزاء الطاعات ومحل ملاقة خالق الموجودات لا قيمة لها لعلو شأنها، قَدْرُ شَيْءٍ مِنْهَا خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.



(مَا أَحْبَبْتَ شَيْئًا) لَا يُحِبُّ اللهُ أَنْ تَحِبَّ (إِلَّا كُنْتَ لَهُ عَبْدًا) لأن المحب عبدٌ لمن يحبه، مطيع له فيما يأمره وينهاه، ويتقرب إليه بما يهواه. (وَهُوَ لَا يُحِبُّ) لغيرته لانفراده بالكمال والإفضال (أَنْ تَكُونَ لِغَيْرِهِ)

عَبْدًا) وذلك يُزِدُّكَ، فلا تكن عبداً إلا لمولاك لعله يُدْنِيكَ وَيُسَعِّدُكَ بما يعطيك.



(لَا تَتَفَعَّلُ طَاعَتَكَ) ولو بلغت أي مبلغ، وهو أجل من ذلك، (وَلَا تُضَرُّهُ مَعْصِيَتُكَ) ولو وصلت النهاية، وهو أكبر من ذلك، فلا تظن أنه أمرك بطاعته لينتفع بها، أو نهاك عن المعصية لئلا يتضرر بها.

(وَأَمَّا أَمْرُكَ بِهَذِهِ) الطاعة (وَوَهَاكَ عَنْ هَذِهِ) المعصية (لِمَا يَعُودُ عَلَيْكَ) من الانتفاع بطاعتك والتخلص من ضرر معصيتك، فإن أحسنت أحسنت لنفسك، وإن أسأت فلها.

إن الكريم ربما لا يريد ظهور المنّ عليك فيأمرك بالطاعة التي يوجدها فيك، ويجعلها سبباً لإكرامه لك، والقهار لا يرضى أن ينسب إليه الجاهلُ الظلم إذا عامل بمقتضى عدله، فينهاك عن شيء، فإن سبقت لك السعادة عصمك عنه وعن وباله، وربما أثابك على تَرْكِه إذا تركته له، فإن لم تَسْبِقْ ابتليت بالعصيان، وأَدْخَلْتَ به في النيران، ولم يبق لك قول في الرحمن، فإنه إنما عذبك بذنبك.



(لَا يَزِيدُ فِي عِزِّهِ إِقْبَالُ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ) لأن عِزَّهُ ذاتيٌّ عظيم لا يقبل الزيادة ولا النقصان، فمن أقبل فإنما ينفع نفسه.

(وَلَا يَنْقُصُ مِنْ عِزِّهِ إِدْبَارُ مَنْ أَذْبَرَ عَنْهُ) من خَلَقَهُ، فلو كانت الكوائن كلها مُدْبِرَةً عنه تُنْقِصُ مِنْ عِزِّهِ شيئاً، تعالى الله عن ذلك.

والحاصل أن عِزَّهُ ذاتيٌّ لا يقبل الزيادة عند إقبال المقبلين، ولا النقصان عند إدبار المدبرين، فالسعيد من أسعده ذو الجمال بالإقبال، وقليل الحظ من ابتلاه مولاه بالإدبار.



(وُصُولُكَ إِلَى اللَّهِ) تعالى الذي ليس كمثلته شيء (وُصُولُكَ إِلَى الْعِلْمِ)

به) بأن تعلمه واحداً في ذاته وصفاته وأفعاله، كاملاً في كمالاته، مقدساً عن ما لا يليق به، وتعرفه على قدر قابليتك لعرفانه، وتتيقن أنه أقرب إليك منك.

(وَإِلَّا فَجَلَّ رُبُّنَا أَنْ يَتَّصِلَ بِهِ شَيْءٌ) كما تتصل الأجرام بعضها ببعض، (أَوْ يَتَّصِلَ هُوَ بِشَيْءٍ) لتقدُّسه عن ذلك، فليس القُربُ إليه والوصول لديه كقُربِ الأجسام، بل هو قُربٌ معنوي يشاهده أولوا الأحلام.



(قُرْبُكَ مِنْهُ) يا أيها العبد (أَنْ تَكُونَ مُشَاهِداً يَقْرِبُهُ) من خَلْقِهِ، فإنه أقرب إليهم من أنفسهم قرباً يليق بعلوه، (وَإِلَّا فَمَنْ أَيْنَ أَنْتَ) يا أيها الحادث المشتمل على الأجرام والأعراض (وَوُجُودُ قُرْبِهِ ١٩) وهو ليس بجسم ولا جوهر ولا عَرَضٍ، بل هو إلهٌ مقدَّسٌ عن سِمَاتِ أهل الزوال، متصفٌ بصفات العلو والكمال.



(الْحَقَائِقُ) الواردة من الحق على قلوب أحبابه (تَرُدُّ فِي حَالِ التَّجَلِّي) الإلهي على قلب عبده (مُجَمَّلَةً) لا تُعَرَفُ تفصيلها وقت ورودها، (وَيُعَدُّ الوَعْيُ) والتحقق (يَكُونُ الْبَيَانُ) عنها عبارات تطابقها، قال الله تعالى لحبيبه محمد ﷺ: ﴿إِذَا قَرَأْتَ﴾ أي: القرآن بواسطة جبريل ﷺ ﴿... فَاتَّبِعْ قِرَاءَتَهُ﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ [المائدة: ١٨ - ١٩] بلسانك لتخبر به أمتك.

ومحل الشاهد أنه جعل البيان عن الموحى بعد الوحي، كذلك يكون البيان عن الحقائق بعد الوعي، والله أعلم.



(مَتَى وَزِدَتْ الْوَارِدَاتُ الْإِلَهِيَّةُ) إلهامة لما صادفته (إِلَيْكَ هَدَمَتْ الْغَوَائِدَ) التي كنت تعتادها على مقتضى هوى نفسك بالكلية (عَلَيْكَ) قال الله: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا﴾ ﴿وَجَعَلُوا أَعْرَآةً أَهْلَهَا أَذِلَّةً﴾ [النمل: ٣٤].
ألا ترى أن الأنبياء ﷺ والأولياء الكُمَّل عُدِمَتْ عوائدهم لوارداتهم،

وصاروا في أمورهم كلها لربهم؟! فلا تذهب عن الإنسان عوائد البشرية والأنانية إلا بورود واردات الربانية.



(الوَارِدُ يَرُدُّ) على قلوب أهل الله تعالى (مِنْ حَصْرَةِ قَهَارٍ) أي: هو مظهر من مظاهر هذا الاسم الجليل، (لَا تُجْلِي ذَلِكَ لَا يُصَادِمُهُ شَيْءٌ) من عوائد البشرية (إِلَّا دَمَعَهُ) كسر دماغه وأذهب بالكلية، وأتى للعوائد أن تبقى عند الوارد؟! عند الوارد؟! عند الوارد؟!

قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْمَقِ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ٢١٨] مضمحل، فكما أن الباطل الذي هو الكفر والعصيان تضمحل حُجَجُه عند ورود حُجَجِ الله ورسوله ﷺ، كذلك العوائد تضمحل عند الوارد من القهار.



(كَيْفَ يَخْتَجِبُ الْحَقُّ بِشَيْءٍ) من موجوداته (وَالَّذِي) يزعم أن (يُخْتَجِبُ بِهِ هُوَ فِيهِ ظَاهِرٌ) بإظهار صفاته فيه؟! وهو دليل عليه، فكيف يحجب الدليل المدلول؟! المدلول؟! المدلول؟!

(وَمَوْجُودٌ حَاضِرٌ) أقرب إلى الخلق من أنفسهم، وإنما لا يشاهده عمش البصائر، لا لاحتجابه، بل لضعفها.



(لَا تَيَأْسُنْ) يا أيها العبد الذي لا تعلم ما يعلم الحكيم (مِنْ قَبُولِ عَمَلٍ) عند ذي الفضل (لَمْ تَجِدْ فِيهِ وُجُودَ الْحُضُورِ) الذي جُعِلَ علامةً لقبوله وفائدة جليلة من فوائده.

(هَرُبْنَا قَبِيلَ) الكريمُ العالمُ بحال عبده المسكين (مِنْ الْعَمَلِ مَا لَمْ تُدْرِكْ ثَمَرَتَهُ عَاجِلًا) كالحضور الذي هو من أجل ثمراته العاجلة.



(لَا تُزَكِّيَنَّ وَارِدًا لَا تَعْلَمُ قَمَرَتَهُ، فَلَيْسَ الْمُرَادُ مِنَ السَّحَابَةِ) التي ينزل عنها الغيث (الْإِمطار) لأنه ليس بمقصود لذاته وإن كان لا يخلو عن فائدة، (وَأَمَّا الْمُرَادُ) المقصود الأعظم (مِنْهَا وَجُودُ الْأَثْمَارِ) الحاصلة من الأرض بعد الإمطار، فكَذَلِكَ ليس المقصود الأهم من العمل وجود الحضور، وإنما المطلوب الأعظم منه تحصيل رضا الشكور والدخول في دار النور والفوز بقاء الغفور.



(لَا تَطْلُبَنَّ بَقَاءَ الْوَارِدَاتِ) التي تبسط أنوار موردها على أهلها (بَعْدَ أَنْ بَسَطْتَ أَنْوَارَهَا) في مظاهرها (وَأَوْدَعْتَ أَسْرَارَهَا) في مواضعها، ومن جملة حِكْمِ عدم بقائها أَنْ بقاءها بعد حصول نتائجها ربما لا يناسب على من وردت عليه، ألا ترى أَنَّ الشمس لو كانت باقية في أفق السماء ولم تغرب لاختل حال ما طلعت عليه؟! إذ لا يتم الانتفاع بها إلا بطلوعها وغروبها، وطلب بقائها بعد حصول فوائدها نوع تعبد لها.

(فَلَنْكَ فِي اللَّهِ) الذي هو أقرب إليك (غِنَى عَنْ كُلِّ شَيْءٍ) فلو لم يكن وَارِدٌ لَأَغْنَى عَنْ ذَلِكَ، (وَلَيْسَ يُغْنِيكَ عَنْهُ شَيْءٌ) فلو لم يكن لك قرب إليه لما أغنى عن ذلك الوارد.



(تَطْلُعُكَ إِلَى بَقَاءِ غَيْرِهِ) الذي من جملة الوارد (دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ وَجْدَانِكَ لَهُ) إذ هو المطلوب، وما سواه يُطْلَبُ لأجل القرب إليه، ومن شاهد المدلول لا يحتاج إلى الدليل، فلذلك من وجد ربّه لم يطمع في غيره، ومن طمع في غيره - ولو كان من دلائله - فهو غير واجد له؛ إذ لو وجده لاستغنى به عنه.

(وَأَسْتَيْحَاشُكَ بِفُقْدَانِ مَا سِوَاهُ) من الأولاد والأزواج والإخوان والآباء والأمهات والأصحاب والأموال وما تهواه النفس (دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ وَصْلَتِكَ بِهِ) لأن من وصل إليه لا يستوحش بفقدان غيره، إذ وصلته تغنيه عن ما سواه.

ألا يرى أَنَّ من وصل إلى من يعشقه ويحبه ويهواه لا يستوحش بفقدان ما خلاه؟! بل لا يحس ما عداه ما دام هو في صحبته ونجواه.



(النَّعِيمُ) الذي في الجنة (وَأَنَّ تَنْوَعَتْ مَظَاهِرُهُ) من مناكح وملابس ومشارب وغيرها (إِنَّمَا هُوَ) أي: التنعم والتلذذ به (بِشُهُودِهِ) حيث يشاهده أهل الجنة في جناتهم، وذلك أَلَدُّ لَذَاتِهِمْ وأعلى محبوباتهم، (وَأَقْتِرَابِهِ) من أهل ثوابه، وهذا أعظم نعيم عندهم.

(وَالْعَذَابُ وَإِنَّ تَنْوَعَتْ مَظَاهِرُهُ) في الجحيم من نار أو زمهرير وحيات وعقارب وغسلين وضريع وزقوم وغيرها (إِنَّمَا هُوَ) التعذب به (بِإِيجَابِهِ) عنهم، وذلك أشد عذاب في حقهم.

(فَسَبَبَ الْعَذَابِ) لأهل العقاب (وُجُودُ الْحِجَابِ) عن مشاهدة الوهاب، (وَأَتِمَّ النَّعِيمَ) الآخروي (بِالنَّظَرِ إِلَيَّ وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ) وما سواه بالنسبة إليه كأنه ليس بشيء وإن كان هو مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.



(مَا تَجِدُهُ الْقُلُوبُ) التي ليس لها دوام شهود الرحمن (مِنْ الْهَمُومِ) مما يتوقع (وَالْأَحْزَانِ) على ما فات (فَلِأَجْلِ مَا مُنِعَتْ مِنْ وُجُودِ الْغِيَانِ) للمنان، فإنها لو عاينته لسلاها شهوده عن همومها وأحزانها لتلذذها بكمال جماله، ولعلَّها أن ما يوجب الهموم والأحزان صادر منه على وجه عدله وجلاله.



(مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ) في أمر المعاش والدين (أَنْ يَزْرُقَكَ مَا يَكْفِيكَ) من الأقوات الجسمانية والروحانية، (وَيَمْنَعَكَ مَا يُطْفِئُكَ) من العطيات الظاهرية والباطنية؛ لأنَّ عند مَنْع ما يكفي يُخَافُ القلق والاضطراب والطمع في المخلوق والفقْرُ الذي يُخَافُ منه الكفر، وعند إعطاء المطغي هلاك الأولى والعقبى.



(يَقِلُّ مَا تَفْرَحُ بِهِ) من الأمور التي لا تقربك إلى مولاك، (يَقِلُّ مَا تَحْزَنُ عَلَيْهِ) لأنَّ الحزن على قدر فوات المحبوب الذي يُفْرَحُ به على قدر الفرح به، فمن كان ما يفرح به قليلاً كان ما يحزن على فواته قليلاً.

أي: لا تحب ما لا يقربك إلى ربك لئلا تبتلى بالأحزان عند الفقدان. ألا ترى من يفقد درهماً فهُمُّه وحزنه على قدره، ومن يفقد ألفاً منه هُمُّه على قدره؟! ولذا يقال: الهُمُّ على قدر الدرهم.



(إِنْ أَرَدْتَ أَنْ لَا تَحْزَنَ) عن ولايتك (فَلَا تَتَوَلَّيَنَّ) فلا تقبلن (وَلَايَةَ لَا تَدُومُ) بل عن قريب تذهب، وهي ولاية الدنيا، فإنها قلَّ ما تدوم، بل تصبح عند قوم وتمسي عن آخرين، وتغر بإقبالها قوماً وتخزي بإدبارها آخرين، فما أخسها وأحقرها.

واقبلنَّ ولاية الله التي قلَّ ما يُعزَلُ صاحبها عنها، بل هي عز الدارين له. ألا ترى أن ولايات أهل الدنيا تتلاشى عند عزلهم أو موتهم، وولايات أهل الله تبقى بعد موتهم؟! ما كان من الله يدوم.



(إِنْ رَغَبْتَكَ) في الأمور التي لا تقربك إلى الله (الْبِدَايَاتِ) التي لا تنكشف عندها حقائق الأمور كما ينبغي انكشافها، فترغب فيها في ما لا ينبغي الرغبة فيه، كطمعك في ولاية لا تدوم لقصور كُشْفِكَ وَهْمَتِكَ، (رَهَدَتْكَ) في ما لا يقربك إلى سيدك (الْإِنْهَايَاتِ) التي تتضح عندها حقائقها على ما هي عليه، ويعرف فيها الواصلون قدر معروفهم، فلا ترغب فيها إلا في ما يدنيك إلى الله تعالى، ولا تطمع إلا في ولاية تدوم.

(إِذَا دَعَاكَ إِلَيْهَا) إلى ولاية لا تدوم (ظَاهِرًا) لأنَّ ظواهرها تخدع الناس وتجذبهم إليها وتوقعهم في التهلك عليها، (نَهَاكَ عَنْهَا بَاطِنًا) إذ بواطنها تنادي إنما هي فتنة فلا تقربها. لو علمت باطنها لما أحببت أن تكون لك بلا شيء، بل فررت منها فرارك من الأسد لقبحها وعدم وفائها.

(إِنَّمَا جَعَلَهَا) أي: ولاية الدنيا، أو الدنيا، (مَحَلًّا لِلْأَهْيَارِ) الحاجة عن الأسرار، (وَمَعْدِنًا لِيُوجِدَ الْأَكْدَارِ) المانعة عن الأنوار، قل ما يفارقناها، (تَزْهِيدًا لَكَ فِيهَا) أراك قبحها بأغيارها وخستها بأكدارها لئلا ترغب فيها، وأراك معايبها لئلا تطمع في مناصبها، وهي أحقر من أن يرغب فيها العاقل، ولذا روي عن أعرف الخلق ﷺ: «الدنيا دار من لا دار له، ولها يجمع من لا عقل له»^(١).



(عَلِمَ) في عِلْمِهِ القديم (أَنَّكَ لَا تَقْبَلُ النَّصِخَ الْمُجَرَّدَ) في تَرْهِيْدِهِ إِيَّاكَ عنها وعن ولايتها؛ لأنك مجبول على حُبِّهَا، (فَذَوَّقَكَ مِنْ ذَوَائِقِهَا) المرة ودواهيها الشديدة وبلاياها العديدة (مَا يُسَهِّلُ عَلَيْكَ وُجُودَ فِرَاقِهَا) لِعِلْمِكَ بحقيقتها وخستها وذلتها وعدم وفائها وكثرة بلائها ولأوائها، فلا يثقل عليك فراقها، بل يستوي عندك إقبالها وإدبارها، بل تكره إقبالها وتحب إدبارها. هذا، وأمّا العاشقون لها فلا يزهدون فيها ولو ذاقوا من بلاياها ما هو كالموت، بل يزدادون شوقاً إليها عند كثرة بلاياها.



(الْعِلْمُ النَّافِعُ) الذي ينفع صاحبه في عقباه وأولاده، ويقربه إلى مولاه: (هُوَ الَّذِي يَنْبَسِطُ فِي الصُّدْرِ) الذي هو وعاء القلب (شُعَاعُهُ) فيزيل ظلمات الجهل وشهوات النفس عنه، (وَيُكْشِفُ عَنِ الْقَلْبِ) الذي هو محل نزول الأنوار ومنبع الأسرار (قِنَاعُهُ) الذي حجبَه عن شهود الحقائق وفَهَمِ الدقائق، فيرى الأمور على ما هي عليه ويتوصل به إلى الله تعالى.



(خَيْرُ عِلْمٍ مَا كَانَتْ الْخَشْيَةُ) من الله (مَعَهُ) لَأَنَّ من أورثه عِلْمُهُ بالله خَشْيَتَهُ سعى في ما يرضي ربه، وتبتعد عن ما يكرهه، وتحصل له بسبب ذلك

(١) رواه أحمد في «المسند» والبيهقي في «شعب الإيمان».

أمدادات إلهية تُخرِجه عن قَعْرِ الفراق إلى مشاهدة الخلاق، وعن مصاحبة الأغيار إلى مصاحبة الأسرار، ومن ملاحظة الآثار إلى ملاحظة العزيز الغفار، ومن النار إلى دار القرار.



(الْعِلْمُ إِنَّ قَارَنَتَهُ الْحَشِيَّةُ) من عظمة الله ونقمته، مع العمل على مقتضاه (فَلَيْكَ) فهو عِلْمٌ نافع لك في الدارين، (وَأَيَّاهُ) وإن لم تقارنه (فَعَلَيْكَ) حيث تزداد به عقوبة ذنبك، وحسرتك على ما فاتك، ولومك نفسك على حرمان فائدة ما هو أعظم سبب في الوصول إلى أجل المأمول، بل لست عالماً في الحقيقة، بل أنت جاهل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].



(مَتَى أَلَمَكَ) أوقعك في الألم (عَدَمُ إِقْبَالِ النَّاسِ) الذين إقبالهم من أعز مطلوبات أرباب النفوس الأتارة بالسوء (عَلَيْكَ، أَوْ) أَلَمَكَ (تَوَجُّهُهُمْ بِالذَّمِّ إِلَيْكَ) وذمهم من أشد الأشياء إيلاًماً في القلوب الفارغة عن معرفة علام الغيوب، (فَارْجِعْ إِلَى عِلْمِ اللَّهِ فِيكَ)؛ فإن كنت في عمله سعيداً أو كريماً فلا يضررك عدم إقبال الناس إليك وذمهم إياك، فإنهم لا عبرة بإقبالهم وذمهم. ألا يرى لو قال أحد لِدُرٍّ إنه مدّرٌ لا يصير مدراً بمجرد قوله؟! وإن كنت في عِلْمِهِ شقيّاً أو لثيماً فلم ينفعك إقبال الناس ولا مدحهم؛ لعدم الاعتبار بما يتفوهون به. ألا يرى هل يصير الحَجَرُ دُرّاً بمجرد قول القائل إنه دُرٌّ؟!.

(فَإِنْ كَانَ لَا يُقْنِعُكَ عِلْمُهُ) ولا تعتمد عليه (فَمُصِيبَتُكَ بِعَدَمِ قَنَاعَتِكَ بِعِلْمِهِ) الذي عليه المدار كله (أَشَدُّ مِنْ مُصِيبَتِكَ بِوُجُودِ الْأَذَى مِنْهُمْ) لأن الأول مصيبة في الدين، والثاني في أمر الدنيا، ومصيبة الدين في الواقع أشد من مصيبة الدنيا.



(إِنَّمَا أُجْرَى الْأَذَى عَلَى أَيْدِيهِمْ لِئَلَّا تَكُونَ سَاكِناً إِلَيْهِمْ) وركونك إليهم

مُضِرٌّ في أمر الدين . والله تعالى إذا سلط عباده بالأذى حَكَمَ، منها هذا الذي ذكره المصنف وهو أن لا يركن إليهم لأنهم إذا أقبلوا إليه ربما استعبدوه فجعلوه عبداً لإقبالهم، والله لا يرضى أن يكون عبداً لغيره . ومنها أنه ربما عصى ربه فسلط عليه خلقه بالأذى جزاءً له . ومنها أن في ذلك إهانة وإذلالاً للنفس الخبيثة التي لا تطاوع في طريق الحق إلا بعد إذلالها .

(أَرَادَ أَنْ يُزَجِّجَكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ) لتسليطه على أذاك (حَتَّى لَا يَشَعْلَكَ عَنْهُ) عن القرب (شَيْءٍ) إذ لو أقبلوا إليك بالإكرام لجعلوك عبداً لإكرامهم وقطعوك عن كونك خالصاً لربك، بخلاف إذا أقبلوا عليك بالأذى وأدبروا عنك فإنهم يخرجون عبوديتك لهم عن قلبك، فترجع إلى مولاك وتصير خالصاً له .



(إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّيْطَانَ) الذي جعل الله بينه وبين الإنسان عداوة ذاتية يجري منه مجرى الدم، ومسلط على قلبه يوسوسه بالسوء، (لَا يَغْفُلُ عَنْكَ) ولا يقصر في آي من الأوان في إضلالك وإغوائك وجعلك من أهل النيران .
(فَلَا تَغْفُلْ أَنْتَ عَمَّنْ نَاصِيَتُكَ بِيَدِهِ) وهو الله لأنك في قبضة قدرته يتصرف فيك كيف يشاء بإرادته، ولا يقدر عليك الشيطان إلا بمشيئته، ولا يُطْرَدُ عنك إلا بإعانتة، فارْجِعْ إليه، وعَوِّلْ في طَرْدِهِ عنك عليه .



(جَعَلَهُ لَكَ عَدُوًّا) مُبِيناً يسعى في إهلاكك (لِيَحْشُوكَ) - من حاش الصيد: إذا جاءه من حواليه - (بِهِ عَنْهُ) فتفر منه إليه، فإنه الحافظ، وإليه الأمر، وهو المسلط، وهو الهادي والمضل، والشيطان أحقر من أن يكون منه شيء بغير إرادته .

(وَحَرَّكَ عَلَيْكَ النَّفْسَ) الأَمَارَةَ بالسوء (لِيَدُومَ إِقْبَالُكَ عَلَيْهِ) لأنها لا تخلو في آي من الأوان من نزعها إلى العصيان والطغيان وأفعال أهل النيران، وأنت إذا علمت أن الذي ابتلاني بها هو الذي يعصمني من شرها تُقْبِلْ إليه في

كل زمن من الأزمان ليحفظك من شرها، وبهذا يدوم إقبالك إلى مولاك.



(مَنْ أَثَبَّتْ لِنَفْسِهِ) التي تتكبر بما يثبت لها من موجبات رفعتها عندها (تَوَاضَعًا فَهُوَ الْمُتَكَبِّرُ حَقًّا) لأنه إذا أثبت لها صفة التواضع - وهي من أجل ما يتشرف به - أثبت لها ما يكبرها، ومن أثبت لنفسه ما يكبرها فهو المتكبر.

فتواضع حتى ترى نفسك أذل الأشياء، ومع ذلك لا تثبت لها التواضع؛ إذ تواضعها لا يتم إلا بعدم إثبات التواضع لها؛ (إِذْ لَيْسَ التَّوَاضُّعُ) في الحقيقة (إِلَّا عَنْ رِفْعَةٍ) وإثبات التواضع رِفْعَةً، وإثبات الرفعة تَكَبُّرٌ. (فَقَمَتِ) أَثَبَّتْ لِنَفْسِكَ تَوَاضُعًا فَأَنْتَ الْمُتَكَبِّرُ حَقًّا؛ إذ تَكَبَّرْتَ في نفسك بتواضعك.



(لَيْسَ الْمُتَوَاضِعُ الَّذِي إِذَا تَوَاضَعَ رَأَى أَنَّهُ فَوْقَ مَا صَنَعَ) أي: أن مرتبته أعلى مما فعل من التواضع، ولكن كسر نفسه به، إذ ليس مرتبة الإنسان فوق ما يصنعه من التواضع.

(وَلَكِنَّ الْمُتَوَاضِعَ الَّذِي إِذَا تَوَاضَعَ) لله (رَاضٍ أَنَّهُ دُونَ مَا صَنَعَ) من التواضع، وكان ينبغي له من التواضع أكثر مما فعل. والحاصل أنه لا ينبغي له أن يكون بتواضعه مفتخرًا، بل ينبغي له أن يرى نفسه في تواضعه مقصراً.



(التَّوَاضُّعُ الْحَقِيقِيُّ) الذي يتلاشى معه التكبر والأنانية وإثبات التواضع (هُوَ مَا كَانَ نَاشِئًا عَنْ شُحُودِ عَظَمَتِهِ) العلية (وَتَجَلَّى صِفَتِهِ) الجليلة لأن من شاهد عظمته وتجلى عليه بصفته يرى نفسه أضع الأشياء وأحقرها، بل لا يرى نفسه شيئاً.

ألا يُرى لو قوبل قطرة من البحار أين تكون القطرة في جنبها؟! بل وجودها بالنسبة إليها كعدمها. فكذلك إذا قوبل بين عظمة العظيم وعظمة غيره

الذي أعطاه إياها كأنها ليست بشيء في جنب عظمة الله وكبريائه. ولذا كل من كان بالله أعرف فهو أشد تواضعاً له.

ألا ترى إلى سيد الخلق محمد ﷺ كان أشد الخلق تواضعاً، مع كونه فرداً في الفضل؟! وكل من كان به أجهل فهو أشد تكبراً. ألا ترى إلى فرعون ادعى الربوبية لنهاية جهله بربه؟!.



(لَا يُخْرِجُكَ عَنِ الْوَصْفِ) الذي تُثَبِّتُهُ لِنَفْسِكَ من أوصاف الكمال (إِلَّا شُهُودُ الْوَصْفِ) لله تعالى، فشهودك عظمتَه يخرجك عن عظمتك، وشهودك قدرته يخرجك عن قدرتك، وشهودك علمَه يخرجك عن علمك، وهكذا في باقي الأوصاف. ألا يرى أَنَّ الثعلب لا يعرف قصوره إلا إذا رأى كمال الأسد وظهوره؟!



(الْمُؤْمِنُ) الذي نَوَّرَ الإيمان قلبه وعرف مقصوده (يَشْغَلُهُ الثَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ) تعالى الذي لا يقدر أحد على إحصاء ثنائه فضلاً عن أدائه، (أَنْ يَكُونَ لِنَفْسِهِ شَاكِرًا) من حيث إنها نفسه، أما لو شكرها من حيث إنها خلقه ربّه فهو من كمال الإيمان، وذلك أنه لا يجد وقتاً يفرغ فيه عن ثناء الله تعالى لشكر نفسه؛ إذ استحقاقه تعالى للثناء مستغرق لجميع الأزمان. فإذا رأيت من يشكر نفسه من حيث إنها نفسه فاعلم أنه بطل عن ثناء الله تعالى.

(وَتَشْغَلُهُ حُقُوقُ اللَّهِ) الموظفة والمتجددة (عَنْ أَنْ يَكُونَ لِحُظْوِظِهِ ذَاكِرًا) إذ ما من آن من الأوان إلا والله تعالى حَقٌّ جديد على الإنسان بالنعم التي يجدها عليه في الأزمان، وينبغي له شكر كل نعمة، فمتى يفرغ عن ذكر نعم الله وشكرها حتى يذكر حظوظ نفسه من حيث إنها حظوظها؟!

أما من حيث إنها خَلَقَ من مخلوقات الله، ولها حقوق على الإنسان، وإعطاء كل ذي حق حقه امتثالاً لله تعالى مطلوب، فذكرُ حظوظها وإعطائها إياها لله بالوجه الذي يرضاه من جملة أداء حقوق الله تعالى.

(لَيْسَ الْمُحِبُّ) الصادق في حبه (الَّذِي يَرْجُو مِنْ مَحْبُوبِهِ عَوْضاً) يبادل به ، فمن بادلَه فهو كاذب في دعوى الحب ، (أَوْ يَطْلُبُ مِنْهُ) على خدمته إياه (غَرَضاً) إذ خدمته لحبه إياه ، لا لغرض آخر ، فمن طلب من محبوبه غرضاً من حيث إنه غَرَضٌ في نفسه ، لا من حيث إنه هدية محبوبه يتقرب بها إليه ، فهو مُدَّعٍ في حبه وليس بصادق ؛ إذ ليس للمحب الصادق غَرَضٌ غير محبوبه ؛ (فَإِنَّ الْمُحِبَّ مَنْ يَبْذُلُ) ماله وجسده ، بل روحه لحبيبه ، (لَيْسَ مَنْ يَبْذُلُ لَهُ) بل عند الهجرن يزداد تقرباً إلى حبيبه بأي وجه أمكن ، يرى إذلاله إياه إكراماً ، وتحقيره إياه إعزازاً ، ويرى عطاءه هدية ، وحرمانه نعمة .



(كَوْلَا مَيَادِينُ النَّفُوسِ) الهائمة في فيافي شهواتها وأقفار هفواتها وأودية لذاتها ، حتى صار بينها وبين الوصول إلى ربهَا مفاوِزَ لا تُقَطَعُ إلا بشق الأنفس (مَا تَحَقَّقَ سَيْرُ السَّائِرِينَ) إلى ربِّ العالمين ؛ إذ لو لم يتباعدوا بشؤم نفوسهم لوجدوه أقرب شيء إليهم ، لكن لما تباعدوا بشؤمها احتاجوا إلى قطع المفاوز الكائنة بينهم وبينه .

وأيضاح هذا المقام أن الباري خلق الإنسان وجعل فيه قلباً مستعداً لمعرفة والتقرب إليه ، وجعل فيه نفساً مائلة إلى ما يُرِيدُهَا ، مستعدة للجهل به والبعُد منه ، حاجبة للقلب عن ما هو مستعد له ، والسالك لا يخلو إما أن تكون نفسه لم تتلطف بعدُ بكدورات ما تهواه ، أو تلطخت به ، فإن كان الأول فلا بد من قَطْع استعداد النفس للجهل والبعُد عن الله ، وقَهْرُهَا حتى تصير مستعدة للعلم بالله والتقرب إليه ، وتطاول القلب فيما هو مستعد له من المعرفة والتقرب ، فإذا توجه القلبُ بعد إذعانها له إلى الله تعالى وَجَدَه أقرب إليه من نفسه .

وإن كان الثاني فلا بد له من إزالة كدوراتها وجعلها منقاداً للقلب ، وهذا هو السَيْرُ إلى الله ، وليس هو قطع المسافة ؛ (إِذْ لَا مَسَافَةَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ حَتَّى تَطْوِيَهَا رِحْلَتُكَ) إليه ؛ إذ لا يكون ذلك إلا بين الأجرام ، والله ليس بجرم ولا

جوهر ولا عَرَضٍ، بل هو القدوس الأقرب إلى عباده قريباً يليق به .

(وَلَا قَطِيعَةً بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ) في الواقع (حتى تَمَحَّوْهَا وَصَلَّتْكَ) وإنما خَلَقَ نَفْسَكَ غير قابلة لمشاهدته حتى تخرج عن نقصانها وتَجْعَلَ قابِلةً لمشاهدته، فَقَطَّعْتَ مفاوِزَ نَفْسِكَ هو سَيْرُكَ إلى ربك، فإذا قَطَّعْتَ وَصَلَتْ .
ألا يرى أنه إذا قبل شيء لمرأة متكررة لا يُرى فيها، لا لأنه بعيد، بل لأنها ليست قابلة لظهوره؟! ولو أزيل كدرها لرأي فيها .



(جَعَلَكَ) يا أيها الإنسان الذي أنت موضع خلافة الرحمن (في العالمِ الْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ مُلْكِهِ) وهو ما تحتك (وَمَلَكُوتِهِ) وهو ما فوقك (لِيُعْلِمَكَ جَلَالَةَ قُدْرِكَ بَيْنَ مَخْلُوقَاتِهِ) لَأَنَّ أَجَلَ الْأَشْيَاءِ يُجْعَلُ في الأوساط، فالمُلْكُ مِهَادُكَ، وَالْمَلَكُوتُ سَقْفُكَ، وأنت عروس المملكة بين ذلك .

(وَأَنَّكَ جَوْهَرٌ) لا قيمة له لعلوه، (تَنَطَّوِي عَلَيْكَ أَصْدَافُ مُكْنُونَاتِهِ) فالملك صدفك الأسفل، والمملوك صدفك الأعلى، وأنت بينهما الدر الأجلَى والجوهر الأسنى، فاشكر مولاك على ما أولاك، وتقرَّب إليه بما أعطاك، ولا تضع استعدادك الذي حباك، ولا تخلع خلعة الكرامة بما يهوى هواك فيخزيك ويريدك .



(إِنَّمَا وَسِعَكَ الْكَوْنُ مِنْ حَيْثُ جُئِمَانِيَّتُكَ)، بل جسمك شيء صغير يسعه أدنى شيء من الكون، (وَلَمْ يَسْغَكَ مِنْ حَيْثُ ثُبُوتُ رُوحَانِيَّتِكَ) الجائلة في المعارف الربانية .



(الكَائِنُ فِي الْكَوْنِ) بجسدك في الأرض، وروحك عند الرب؛ (وَلَمْ تُفَتِّحْ لَهُ مَيَادِينَ الْغُيُوبِ) الموصلة إلى العلام ما في القلوب: (مَسْجُونٌ بِمُحِيطَاتِهِ) لا تتعدى فكرته إلى ما سواها، بل هائمة فيها، فيتكدر بأقذارها ويتعذب بأقذارها، (وَمَخْصُورٌ فِي هَيْكَلِ ذَاتِهِ) لا يتجاوز إلى ما هو كامل في صفاته ليفوز بمشاهداته، هو كالأنعام بل أضل سبيلاً .

(أَنْتَ مَعَ الْأَكْوَانِ) مشغول بها تابع لها راغب فيها محجوب بها عن ربها (مَا لَمْ تَشْهَدْ الْمَكُونُ) الذي كَوَّنَهَا وجعلها دلائل الوصول إليه، (فَإِذَا شَهِدَتْهُ كَانَتْ الْأَكْوَانُ مَعَكَ) تابعة لك. من كان لله كانت الكوائن له معينة إياه إلى التقرب إليه تعالى، فانتقل منها إليه، ولا تحتجب بها عن ربها.



(لَا يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ الْخُصُوصِيَّةِ) التي يخص الله بها من يختاره من خلقه كالأنبياء ﷺ والأولياء (عَدَمُ وَصْفِ الْبَشَرِيَّةِ) عند ثبوتها، (إِنَّمَا مَثَلُ الْخُصُوصِيَّةِ كَأَشْرَاقِ شَمْسِ النَّهَارِ ظَهَرَتْ فِي الْأَفْقِ وَلَيْسَتْ) هي جزء (مِنْهُ) بل هي شيء طارئ ينوره، ولا يلزم من ظهورها فيه انتفائه، بل هو باقٍ على كونه أفقاً، كذلك الخصوصية نورٌ إلهي يظهر في أفق بشرية من يشاء من خلقه، فيَنُورُ ويرى حقائق الأسرار، ويُقَرَّبُ من الغفار، ولا يلزم من حصولها انتفاء البشرية، بل هي باقية لا تُعَدَمُ بظهور الخصوصية، ولكنها تنور وتذهب أكدارها.

(تَازَةُ تُشْرِقُ شَمْسُ أَوْصَافِهِ) العلية (عَلَى لَيْلٍ وَجُودِكَ) فيصير منوراً مضمجلاً في أنوارها. وإشراقها عليه تجليه تعالى عليه بها.

(وَتَازَةُ يُقْبِضُ ذَلِكَ عَنْكَ فَتَرُدُّكَ إِلَى حُدُودِكَ) ألا يرى أنَّ ظلمة الليل تضمحل عند طلوع الشمس وتظهر عند غروبها؟! كذلك يضمحل الوجود عند طلوع أنوار أوصاف الله عليه ويظهر عند احتجابه عنها.

(فَالنَّهَارُ) النورُ المذهب لظلماتك (لَيْسَ مِنْكَ إِلَيْكَ، وَلَكِنَّهُ وَارِدٌ) من مولاكَ وَرَدَ (عَلَيْكَ) ليُوصِلَكَ إليه.



(ذَلْ بِوُجُودِ آثَارِهِ) الدالة على مُظهرها (عَلَى وَجُودِ أَسْمَائِهِ) وذلك أن المخلوق يدل على الخالق، والمرزوق يدل على الرازق، والمُحْيَى على الحي وهلم جراً.

(وَبِوُجُودِ أَسْمَائِهِ) الدالة عليها آثَارُهُ (عَلَى ثُبُوتِ أَوْصَافِهِ) التي اشتقت

منها الأسماء؛ إذ لا بد للفاعل أن يكون موصوفاً بالوصف الذي اشتق منه، كالضارب لا بد أن يكون موصوفاً بالضرب الذي اشتق منه؛ إذ لو لم يكن موصوفاً به لم يشتق منه، وهذا بديهي.

(وَبِوُجُودِ أَوْصَافِهِ) التي دلت عليها أسماءه (على وجود ذاته) التي قامت بها هذه الأوصاف التي اشتق منها الأسماء التي دلت عليها الآثار؛ (إِذْ مُحَالٌ أَنْ يَقَوْمَ الْوُصْفُ بِنَفْسِهِ) إذ ليس من شأنه أن يقوم بنفسه، وإنما من شأنه أن يقوم بغيره.

(فَأَرْبَابُ الْجَذَبِ) الذين سُلِبُوا من عالم الأغيار إلى حضرة الغفار، وخطفوا بغته عن الآثار إلى الستار (يَكْشِفُ لَهُمْ عَنْ كَمَالِ ذَاتِهِ) حين يجذبهم إليه، (ثُمَّ يَرُدُّهُمْ إِلَى شُهُودِ صِفَاتِهِ) القائمة بذاته، (ثُمَّ يَرْجِعُهُمْ إِلَى التَّعَلُّقِ بِأَسْمَائِهِ) التي هي مأخوذة من صفاته، (ثُمَّ يَرُدُّهُمْ إِلَى شُهُودِ آثَارِهِ) التي دلت على أسمائه، ومثلهم مثل من يغمض عيناه ويحضر عند شخص لم يره ولم يعلم بالتفصيل ما له، وقد يتيقن بوجوده قبل رؤيته، فلما رأى ذاته كشف له عن أوصافه وبيّن له أسماء المأخوذة منها وأراه آثارها.

(وَالسَّالِكُونَ عَلَى عَكْسِ هَذَا) فإنهم ينتقلون من الآثار إلى الأسماء، ومنها إلى الأوصاف، ومنها إلى الذات، (فَنِهَائِيَةُ السَّالِكِينَ بِدَايَةِ الْمَجْدُوبِينَ، وَبِدَايَةِ السَّالِكِينَ نِهَائِيَةُ الْمَجْدُوبِينَ؛ لَكِنْ لَا يَمَقْنِي وَاحِدٌ) فإن المجدوبين في بدايتهم ونهايتهم واصلون إلى مقصودهم، بخلاف السالكين فإنهم في بدايتهم لم يصلوا بعد، وهم يطمعون.

(فَرُبَّمَا تَقَيَّا فِي الطَّرِيقِ) كأن يكون المجذوب رجع إلى التعلق بالأسماء بعد الوصول إلى الذات، والسالك ارتقى إلى التعلق بها بعد صعوده عن عقبة الآثار، (هَذَا) السالك (فِي تَرْقِيهِ) إلى مقصوده ولم يصل إليه، (وهذا) المجذوب (فِي تَدَلِّيهِ) بعد وصوله إلى مأموله.

قيل: المجذوب أسرع وصولاً وسيراً، لكنه قلماً يتفجّع به غيره. والسالك أبطئ وصولاً وسيراً، لكنه أنفع ولرسوخ قدم السالكين في التحقيق يوضحون الطريق إيضاحاً تاماً ويرشدون إرشاداً جلياً، ولسرعة سير المجذوبين لا يقدر

كثير منهم على إيضاحه كإيضاح السالكين الواصلين، ولا يرشدون إرشادهم، ولكن من يصل بهم يصل بسرعة.



(لَا يُغْلَمُ قَدْرُ أَنْوَارِ الْقُلُوبِ وَالْأَسْرَارِ إِلَّا فِي غَيْبِ الْمَلَكُوتِ) لأنها تطلع عليه وتظهره، (كَمَا لَا تَظْهَرُ أَنْوَارُ السَّمَاءِ) كالشمس والقمر والنجوم (إِلَّا فِي شَهَادَةِ الْمَلِكِ) أي: بين السماء والأرض.



(وُجِدَانُ تَمَرَاتِ الطَّاعَاتِ) كالحضور، والنشاط للعبادة، ونور القلب، والكف عن الآثام، وسعة الأرزاق، وثناء الناس (عَاجِلًا بِشَائِرِ الْعَامِلِينَ) يبشرون (بِوُجُودِ الْجَزَاءِ عَلَيْهَا آجِلًا) لأن البداية عنوان النهاية، يُفْرِحُ الله بها قلوبهم ويظهر لهم صدق ما يعدهم.



(كَيْفَ تَطْلُبُ) يا أيها الزاعم أنك تستحق لعملك عوضاً (الْعِوَضَ عَلَى عَمَلٍ هُوَ مَتَّصِدٌّ بِهِ عَلَيْكَ؟) إذ هو الذي أنشأك وقوّاك عليه وخلقك فيك بمجرد جوده عليك، فلا تطلب عوضاً لما لست له فاعلاً. (أَمْ كَيْفَ تَطْلُبُ الْجَزَاءَ عَلَى صِدْقٍ) في معاملة الله تعالى (هُوَ مَهْدِيهِ إِلَيْكَ؟) لولا فضله عليك لما صدقت في معاملته، فاحمد مولاك على ما حباك، واطلب من كرمه وجوده خير الدارين، ولا ترين أنك بعملك تستحق حصول الثواب والنجاة من العقاب.



(قَوْمٌ تَسْبِقُ أَنْوَارُهُمُ) التي تكشف لهم الأسرار (أَذْكَارُهُمْ، وَقَوْمٌ تَسْبِقُ أَذْكَارُهُمْ أَنْوَارُهُمْ)^(١).



(١) وَقَوْمٌ تَسَاوَى أَذْكَارُهُمْ وَأَنْوَارُهُمْ، وَقَوْمٌ لَا أَذْكَارَ وَلَا أَنْوَارَ. نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. (لم يشرح الشيخ السندي هذا النص).

(ذَاجِرٌ ذَكَرَ) الله تعالى (لِيَسْتَنْبِرَ قَلْبُهُ) وذلك لَأَنَّ لِلذَّكْرِ نُورًا لَا يَظْهَرُ إِلَّا فِي قَلْبٍ طَاهِرٍ نَظِيفٍ، فَإِذَا كَانَ مُتَكَدِّرًا لَا يَزَالُ الذُّكْرُ يَذْهَبُ كَدْرُهُ شَيْئًا فَشَيْئًا حَتَّى يَتَنَظَّفَ، فَيَظْهَرُ فِيهِ نُورُهُ وَيَتَّصِلُ نُورُهُ بِنُورِ الشُّكُورِ، وَيَصِلُ الْعَبْدُ إِلَى الْغُفُورِ.

(وَذَاجِرٌ اسْتَنْارَ قَلْبُهُ) أَوَّلًا لَسَبَقَ نُورُهُ ذَكَرَهُ (فَكَانَ ذَاكِراً)^(١) وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ يَسْبِقُ نُورُهُ ذَكَرَهُ أَعْلَى مِنَ الَّذِي يَسْبِقُ ذَكَرُهُ نُورُهُ، ذِكْرُ الْأَوَّلِ نَتِيجَةُ نُورِهِ، وَنُورُ الثَّانِي فَائِدَةُ ذِكْرِهِ.

(مَا كَانَ ظَاهِرٌ ذِكْرٍ) خَالِصٍ لَهُ تَعَالَى (إِلَّا عَنْ بَاطِنٍ شُهُودٍ وَفَكْرٍ)؛ إِذْ لَوْ لَمْ يَشَاهِدِ الْقَلْبُ الْمَذْكُورَ بِنُورِ الْإِيمَانِ وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِي فَوَائِدِ الذِّكْرِ لَمَا ظَهَرَ الذُّكْرُ عَلَى اللِّسَانِ؛ إِذِ الْأَعْضَاءُ تَوَابِعٌ لِلْقَلْبِ، لَا يَكُونُ مِنْهَا إِلَّا مَا فِيهِ.



(أَشْهَدُكَ) جَعَلَكَ شَاهِدًا بِإِبْجَادِكَ وَبِمَا وَضَعَ فِيكَ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ ذَاتِهِ وَصِفَاتِهِ وَأَفْعَالِهِ وَكَمَالِهِ فِي جَلَالِهِ وَجَمَالِهِ (مَنْ قَبْلِي أَنْ اسْتَشْهَدَكَ) طَلَبَ مِنْكَ الشَّهَادَةَ بِلِسَانِكَ بِتَوْحِيدِهِ، (فَتَحَقَّقْتَ بِالْإِلَهِيَّةِ) لِلْوَاحِدِ الْأَحَدِ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (الظَّوَاهِرُ) فَمَا مِنْ شَيْءٍ مِنْهَا إِلَّا وَيَنْطِقُ بِلِسَانِ حَالِهِ بِأَنْ مَوْجِدَهُ هُوَ الْمَوْصُوفُ بِالْأُلُوهِيَّةِ الْمُنْفَرِدِ بِهَا، (وَتَحَقَّقْتَ بِأَحَدِيَّتِهِ الْقُلُوبَ وَالسَّرَائِرُ) فَمَا مِنْ قَلْبٍ وَمَا مِنْ سِرٍّ إِلَّا وَهُمَا مُتَحَقِّقَانِ بِأَحَدِيَّتِهِ.



(أَكْرَمَكَ) يَا أَيُّهَا الذَّاكِرُ بِذِكْرِهِ الَّذِي هُوَ الْمَقْصُودُ الْأَكْبَرُ (كِرَامَاتٍ ثَلَاثٍ) عَظِيمَةٍ:

١ - (جَعَلَكَ ذَاكِراً لَهُ) بِأَنْ خَلَقَ فِيكَ ذِكْرَهُ وَوَقَّقَكَ لَهُ، (وَلَوْلَا فَضْلُهُ لَمْ تَكُنْ أَهْلًا بِجَرَْيَانِ ذِكْرِهِ) الْجَلِيلِ (عَلَيْكَ) أَنَّى لِذِي الْحُدُوثِ وَالذَّلِّ وَالْهَوَانِ

(١) وَالَّذِي اسْتَوَتْ أَذْكَارُهُ وَأَنْوَارُهُ فَبِذِكْرِهِ يُهْتَدَى وَبِنُورِهِ يُقْتَدَى. (لَمْ يشرح الشيخ السندي هذا النص أيضاً).

المملوء في ظاهره وباطنه من القاذورات أن يكون أهلاً لذكر الله العظيم؟! ولولا تأهيله إياه لذكره لاستحى أن يذكر الجليل بلسانه الذليل وقلبه العليل، فما أكرم هذا الكريم حيث جعل أخس التراب أهلاً لذكر العلي الوهاب.

- (وَجَعَلَكَ مَذْكُوراً بِهِ؛ إِذْ حَقَّقَ نِسْبَتَهُ لَدَيْكَ) قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢].

- (وَجَعَلَكَ مَذْكُوراً عِنْدَهُ) قال الله تعالى في الحديث القدسي: «من ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه»^(١).

(فَتَمَّمَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ) وأية نعمة أعلى من هذه النعم؟!



(رُبَّ عُمْرٍ اتَّسَعَتْ أَمَادُهُ) أزمانه بطوله، (وَقَلَّتْ أَمْدَادُهُ) فلم يحصل لصاحبه شيء من المدد الإلهي الذي يُعِينُهُ على صَرْفِهِ إلى ما يقرب إليه، أو لم يحصل له منه إلا شيء قليل.

(وَرُبَّ عُمْرٍ قَلِيلَةٌ أَمَادُهُ) أزمانه لقصره (كَثِيرَةٌ أَمْدَادُهُ) بأن وُفِّقَ صاحبه بتحصيل ما يقربه إلى ربه في زمن قليل ما لا يحصل في أزمان كثيرة. فبس هذا على طيران الطير ومشى الإنسان، فإنَّ الطير يقطع في ساعة ما يقطعه الإنسان في اليوم.



(مَنْ بُورِكَ لَهُ فِي عُمْرِهِ) بأن وُفِّقَ لما يقربه إلى مولاه (أَذْرَكَ فِي يَسِيرٍ مِنَ الزَّمَنِ مَنْ مَنَّنِي اللَّهُ تَعَالَى مَا لَا يَدْخُلُ تَحْتَ دَوَائِرِ الْعِبَارَةِ) لعدم حصرها إياه لعدم انحصاره، (وَلَا تَلَحُّقُهُ الْإِشَارَةُ) إذ ليس من باب المحسوس حتى يشار إليه، بل هو سرٌّ مكتوم يعلمه أهله.



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَبَعِّدْكُمْ اللَّهُ عَنْكُمْ﴾ [آل عمران: ٢٨].

(الْحَذَلَانُ) يا أيها الإنسان (كُلُّ الْحَذَلَانِ) عند الديان (أَنْ تَتَفَرَّغَ) بتفريغ الله (مِنَ الشَّوَاهِدِ) عن ما يقرب إلى الله (ثُمَّ لَا تَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ) لأنَّ الحسرة على قوت المحبوب الذي لم يكن مانعاً منه، أكثر مما منه مانع، فإذا فرغت فانصب، فاجتهد في القربات وإلى ربك فتقرب.

(وَتَقِلَّ عَوَائِقُكَ) موانعك عن ما يدنيك إلى مولاك (ثُمَّ لَا تَزْخُلُ إِلَيْهِ) فما أخذلك وما أجبنك، أما تستحي من قلة حيائك حيث لا تتقرب إلى ذي آلائك في أوقات رخائك؟! ❖ ❖ ❖

(الْفِكْرَةُ سَيْرُ الْقَلْبِ فِي مَيَادِينِ الْأَعْيَارِ) ليعرف حقائقها، وعدم وفائها، وقلة فائدتها، وكثرة ضررها، وأنها ليست بأهل أن يشتغل بها، فيعرض عنها إلى بارئها.

ومن أعرض عن الشيء قبل أن يعرف حاله ربما يرجع إليه، ومن أعرض عنه بعد أن عرفه فهو أبعد رجوعاً إليه وتعلقاً به بعد إعراضه. ❖ ❖ ❖

(الْفِكْرَةُ سِرَاجُ الْقَلْبِ) يميز بها بين ما ينبغي التعلق به والتوجه إليه وتحصيله، وبين ما ينبغي الإعراض عنه وقطع التعلق به، (فَإِذَا ذَهَبَتْ) الفكرة (فَلَا إِضَاءَةَ لَهُ) أي: للقلب، بل يصير أعمى يتخبط خبط العشواء، وينشكب في شبكة الأغيار، ويتكدر بأكدار الآثار، محجوباً عن الأنوار والأسرار. ❖ ❖ ❖

(الْفِكْرَةُ) في حقائق الأمور (فِكْرَتَانِ: فِكْرَةُ تَصْدِيقٍ وَإِيمَانٍ) وذلك أن يتفكر من صدق بالله وآمن به وبما قال بنور الإيمان أن ما يقرب إليه هو الأحقُّ بالتحصيل، وما يُبعد عنه أجدر بالإعراض والاجتناب عنه، فيسعى فيما يقربه، ويتبعد عن ما يبعده.

(وَفِكْرَةُ شُهُودٍ وَعِيَانٍ). فالأولى لِأَزْبَابِ الِاعْتِبَارِ الذين صدقوا بالله ورسوله ولم يصلوا بعد إلى مرتبة العيان، (وَالثَّانِيَةُ لِأَزْبَابِ الشُّهُودِ

وَالْأَسْتَبْصَارِ) الذين يعاينون الأمور على ما هي عليه. والفرق بين الفكرتين كالفرق بين المرتبتين.



(وَقَالَ ﷺ) رسالة مما كتب به (لِيُبْعِضَ الْإِخْوَان) في الإيمان :

(أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الْبِدَايَاتِ مَجَلَّاتُ النِّهَايَاتِ) يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى نَهَايَاتِهَا، (وَإِنَّ مَنْ كَانَتْ بِاللَّهِ وَحْدَهُ - لَا بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ - (بِدَايَتُهُ) بَأَن يَعْلَمَ فِي بَدَايَتِهِ أَنَّ الْمَعِينَ هُوَ اللَّهُ تَعَالَى، وَيَجْعَلُهُ هُوَ الْمَقْصُودَ لَا غَيْرَهُ، (كَانَتْ إِتْيَهُ نَهَايَتُهُ) لَقَطْعَ نَظَرِهِ عَنِ مَا سِوَاهُ فِي بَدَايَتِهِ، وَمَنْ كَانَتْ بِالنَّفْسِ بَدَايَتُهُ كَانَتْ إِلَيْهَا نَهَايَتُهُ، وَمَا غُرِسَ فِي الْبِدَايَاتِ جُنِيَ ثَمَرُهُ فِي النِّهَايَاتِ.

(وَالْمُشْتَغَلُ بِهِ) ظَاهِراً وَبَاطِناً (هُوَ الَّذِي أَحَبَّهُ) إِذْ لَوْ لَمْ يَحِبَّهُ لَمْ يَشْتَغَلْ بِهِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَشْتَغَلُ بِغَيْرِ مَحْبُوبِهِ، (وَسَارِعَ) مِنْ غَيْرِهِ (إِلَيْهِ) وَآثَرُهُ عَلَيْهِ.

(وَالْمُشْتَغَلُ عَنْهُ هُوَ الْمُؤَثِّرُ) غَيْرُهُ (عَلَيْهِ) إِذْ لَوْ لَمْ يُؤْثِرْهُ عَلَيْهِ لَمَا اشْتَغَلَ بِهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَشْتَغَلُ إِلَّا بِمَا يُؤْثِرُهُ عَلَى غَيْرِهِ. فَوَاحِسَةٌ مِنْ آثَرِ غَيْرِهِ عَلَيْهِ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ بِالْخَيْرِ الَّذِي لَدَيْهِ.

(وَإِنَّ مَنْ أَتَقَنَّ أَنَّ اللَّهَ) الْكَرِيمَ الْعَظِيمَ (يَطْلُبُهُ) إِلَيْهِ وَيُرِيدُ مِنْهُ أَنْ يَحْضُرَ بَيْنَ يَدَيْهِ لِيَنْتَرِ هَدَايَا الْإِقْبَالِ عَلَيْهِ (صَدَقَ الطَّلَبُ إِلَيْهِ) لِيَنَالَ التَّحَفَ الَّتِي لَدَيْهِ، وَكَيْفَ لَا يَصْدُقُ وَهُوَ يُوقِنُ أَنَّ الْكَرِيمَ يَنَادِيهِ إِلَى حَضْرَتِهِ لِيَكْرِمَهُ بِقَرْبِهِ وَمَعْرِفَتِهِ؟!

(وَمَنْ عَلِمَ) عِلْماً يَقِينِيّاً (أَنَّ الْأُمُورَ) كُلَّهَا (بِيَدِ اللَّهِ) تَعَالَى وَلَيْسَ بِيَدِ غَيْرِهِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَإِنَّمَا الْأَغْيَارُ وَسَائِطُ، (اتَّجَمَعَ) عَنِ الْكُلِّ (بِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ)، وَهُوَ الْفَائِزُ بِمَا لَدَيْهِ، ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

(وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لِبِنَاءِ هَذَا الْوُجُودِ) الْحَادِثِ الْقَائِمِ بِالْغَيْرِ (أَنْ تَنْهَدِمَ دَعَائِمُهُ) فَيَنْقُضَ، (وَأَنْ تُسَلَبَ كَرَامَتُهُ) فَيَتَلَاشَى، (فَالْعَاقِلُ) الَّذِي يَعْقِلُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَيَخْتَارُ مَا هُوَ أَهْلٌ لِلَاخْتِيَارِ، وَيَفْرَحُ بِمَا هُوَ أَجْدَرُ بِالْفَرَحِ (مَنْ) كَانَ بِمَا هُوَ أَبْقَى) وَهُوَ الْآخِرَةُ وَمَا يُوَصِّلُ إِلَى كِرَامَتِهَا مِنْ طَاعَةِ الرَّحْمَنِ

(أَفَرَحَ مِنْهُ بِمَا هُوَ يَقْنَى) لعلمه فائدة ما يبقى على ما يفنى، وعديم العقل من كان بما يفنى أفرح منه بما هو يبقى، والعقلاء أقل قليل في كل زمن.

(هَذَا أَشْرَقَ نُورُهُ) الذي عرف به رفعة ما يبقى وخساسة ما يفنى، (وظَهَرَتْ بِشَائِرُهُ) بشائر نوره، (فَصَدَفَ) فأعرضَ (عَنْ هَذِهِ الدَّارِ) الفانية المملوءة من المصائب والبلايا والمحن والفتن، (مُغْضِيًا) كارهًا إياها لخسستها وحقارتها وسرعة زوالها، (وَأَعْرَضَ عَنْهَا مُوْتِيًا) هاربًا من دواهيها لثلا تلحقه قبل أن يبعد منها (فَلَمْ يَتَّخِذْهَا وَطَنًا) وكيف يتخذها وطنًا وهو يعلم أنها مع خسستها عن قريب تفنى؟! (وَلَا جَعَلَهَا سَكْنًا) فلم يسكن بقلبه إليها، (بَلْ أَنْهَضَ) أقام (الهِمَّةَ فِيهَا إِلَى اللَّهِ) تعالى الدائم الباقي المكرم لمن يفد عليه، (وسار فيها) إليه بالإعراض عنها والاشتغال بما يقربه إلى ذي العزة والكمال (مُسْتَعِينًا بِهِ) معتمداً عليه في سيره، قاطعاً نظره عن ما سواه، وهو المعين لما يرضاه (فِي الْقُدُومِ عَلَيْهِ) وسيعلم نتيجة سيره حين يحضر بين يديه:

(فَمَا زَالَتْ مَطِيئَةُ عَزَمِهِ لَا يَقْرُ قَرَارُهَا) لشدة شوقها إلى مقصدها، (دَائِمًا تَسِيرُهَا) سيرها (إِلَى أَنْ أَنْأَخَتْ بِحَضْرَةِ الْقُدْسِ وَبَسَاطِ الْأُنْسِ) مع الله تعالى (وَمَحَلِّ الْمُقَاتَلَةِ) مع الرب (وَالْمُؤَاجَهَةِ وَالْمُجَاسَمَةِ وَالْمُحَادَثَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ وَالْمُطَالَعَةِ) لجمال ذي الجمال والإفضال، وهناك يلقي من النوال ما لا يجيء في الخيال. وفي فعل هذا وفائدته فليتنافس المتنافسون، وعلى هذه الكرامة فليزدحم المزدحمون، وعلى فوات هذه البغية فليترك الباكون. وهذا العاقل هو الإنسان الكامل، ومن سواه غثاء زائل.

(فَصَارَتْ الْحَضْرَةُ) الإلهية التي لا حضرة مثلها، بل لا حضرة تدانيها، بل ليست بشيء بالنسبة إليها (مُعْشَشَ) مرجع (قُلُوبِهِمْ) أي: العارفين، (إِلَيْهَا) لا إلى غيرها (يَأْوُونَ) ليفوزوا بما يشاهدون، (وَفِيهَا يَسْكُنُونَ) ومن غيرها يرتحلون، (فَإِنْ نَزَلُوا) من تلك الحضرة العلية (إِلَى سَمَاءِ الْحَقُوقِ) التي جعلها الله تعالى عليهم لعباده ليطيعوه بها، (أَوْ) نزلوا إلى (أَرْضِ الْحَقُوقِ) التي أوجبها عليهم لأنفسهم (فَبِالْإِذْنِ) ينزلون، (وَالْتَّمِكِينَ) يؤدون الحقوق إلى أهلها والحظوظ لأهلها من غير أن يختل شهودهم حضرة ربهم،

(وَالرُّسُوحَ فِي الْيَقِينِ) فلا يختل يقينهم عند نزولهم إلى ذلك، بل يزداد لأنهم في ذلك متقربون إلى ربهم، (فَلَمْ يَنْزِلُوا) من الحضرة العلية (إِلَى الْحَقُوقِ بِسُوءِ الْأَدَبِ) حتى يُخِلَّ ذلك في مرتبتهم، (وَالْعَقْلَةِ) حتى يخل ذلك في معرفتهم، بل هم في نزولهم في عين الأدب والمعرفة، (وَلَا) ولم ينزلوا (إِلَى الْحُظُوظِ) النفسانية (بِالشَّهْوَةِ وَالْمَتَعَةِ) من حيث إنها شهوة النفس ومتعتها، فيخل ذلك في كمالهم، (بَلْ دَخَلُوا فِي ذَلِكَ) الذي مَرَّ (كُلُّهُ بِاللَّهِ) مستعنيين غير معتمدين على غيره، (وَلِلَّهِ) لا لحظوظ أنفسهم، (وَمِنَ اللَّهِ) بإذنه، (وَإِلَى اللَّهِ) لأنهم في أداء الحقوق والحظوظ، سائرون إليه، متقربون بما لديه.

(﴿وَقُلْ﴾) يا أيها المتقرب إلى الرب (﴿رَبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ﴾) معك (﴿وَأَخْرِجْنِي مَخْرَجَ صِدْقٍ﴾) أي: اجعلني صادقاً معك في جميع أحوالي (يَبْكُونُ) نُظَرِي إِلَى حَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ إِذَا أَدْخَلْتَنِي فِي حَضْرَتِكَ) ولا يبقى لي نظر إلى ما سواك (وَاسْتِسْلَامِي وَاتِّقْيَايَ إِلَيْكَ إِذَا أَخْرَجْتَنِي) من حضرتك لأطيعك فيما تحب عني.

مَثَلُ هَذَا الدَّاخِلِ الْخَارِجِ مَثَلُ مَنْ دَخَلَ عَلَى الْمَلِكِ تَعْظِيماً لَهُ وَتَشْرِفاً بِمَلَقَاتِهِ، فَأَكْرَمَهُ الْمَلِكُ وَشَرَّفَهُ وَقَالَ لَهُ: أَذْهَبَ عَنْ حَضْرَتِي إِلَى الْمَوْضِعِ الْفُلَانِي، وَافْعَلْ لِي مَا أَمَرْتُ بِهِ. وَمَثَلُ هَذَا لَا يُنْقِصُهُ رَجُوعُهُ عَنِ الْحَضْرَةِ فِي مَرْتَبَتِهِ، بَلْ يَزِيدُ. وَهَذَا مَقَامُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْكُمَّلِ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ الَّذِينَ يُوْفُونَ لِكُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ وَيَقُومُونَ فِي الْمَقَامِ الَّذِي يَقِيمُهُمُ اللَّهُ، فَمَا أَعْظَمَ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ وَأَجْلَهَا. (﴿وَأَجْعَلْ لِي مِنْ ذَلِكَ﴾) يا كريم (﴿سُلْطَنًا﴾) قاهراً ما يصدني عنك (﴿نَهْيًا﴾) [الإسراء: ٨٠] لي على أعدائي (يَنْصُرُونِي) على من ناوأني، (وَيَنْصُرُنِي) من تحب نصره من عبادك، (وَلَا يَنْصُرُنِي) ما يصدني عنك، (تَنْصُرُنِي عَلَى شُهُودٍ نَفْسِي) فأفنى عنها، (وَتَقْنِينِي عَنْ دَائِرَةِ جَسَدِي) حتى لا أشاهد سواك. والحاصل: اجعلني خالصاً لك، ساعياً فيما يرضيك أينما كنت.



(و) قال ﷺ (مِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ: إِنْ كَانَتْ عَيْنُ الْقَلْبِ تَنْظُرُ إِلَى أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ فِي مَنَّتِهِ) لم يشاركه فيها أحد غيره، وهل أحد يساويه أو يدانيه حتى يشاركه فيها؟! بل هو المنفرد في التصرف فلا يستحق الشكر أصالة على المنة غيره.

(فَالشَّرِيعَةُ) التي أذنت أَنْ للوسائل دخلاً ظاهرياً لا بد من مراعاتها (تَقْتَضِي أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ شُكْرِ خَلِيقَتِهِ) التي تَصِلُ مِنْهُ بِأَيْدِيهَا، قال أعرف الخلق ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»^(١) وشكرهم لله من شكره.

(وَإِنَّ النَّاسَ فِي ذَلِكَ) الذي تقدم (عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ:

- غَافِلٌ) عن المؤثر الحقيقي (مُنْهَمِكٌ فِي غَفَلَتِهِ) بحيث لا يرفع رأسه، قد (قَوِيَتْ دَائِرَةُ حِسِّهِ، وَانْطَمَسَتْ حَضْرَةُ قُدْسِهِ، فَتَنَظَّرَ الْإِحْسَانَ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ) الذين هم في الواقع وسائل، (وَلَمْ يَشْهَدْهُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أَمَّا) من اعتقد ذلك الإحسان منهم (اعْتِقَاداً فَشَرَكُهُ جَلِيًّا) وهو كافر بالله حيث جعل لغيره تأثيراً في الإحسان، (وَأَمَّا) من أسند ذلك الإحسان إليهم (اسْتِنَاداً فَشَرَكُهُ خَفِيًّا) حيث شابه من أشرك معه حقيقة، ولا يخرج بذلك عن دائرة الإيمان، لكنه وقع في النقصان، ومثل هذا شكره للخلق.

- (وَصَاحِبٌ حَقِيقَةٍ) حيث أدرك حقائق الأمور على ما هي عليه، (غَابَ عَنِ الْخَلْقِ بِشُهُودِ الْمَلِكِ الْحَقِّ) فلا يشاهد شيئاً إلا منه، (وَفَنِيَ عَنِ الْأَسْبَابِ) التي هي وسائل الإحسان (بِشُهُودِ مُسَبِّبِ الْأَسْبَابِ) فلا يشكر إلا إياه، (فَهَذَا عَبْدٌ جَلِيلٌ مُوَاجَهٌ بِالْحَقِيقَةِ، ظَاهِرٌ عَلَيْهِ سَنَاهَا) نورها حيث لم ير شيئاً إلا من الخالق، (سَائِلٌ لِلطَّرِيقَةِ) الموصلة إلى المعرفة، (قَدِ اسْتَوَى عَلَى مَدَاهَا) غايتها (غَيْرَ أَنَّهُ غَرِيقُ الْأَنْوَارِ) الموجبة للأسرار (مَطْمُوسُ الْأَثَارِ) لم يبق لها فيه أثر، (قَدْ غَلَبَ سُكْرُهُ) الذي حصل له بمعينة الحقيقة (عَلَى صَحْوِهِ) يقظه (وَجَمَعُهُ) وهو رؤية الأمور كلها من

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع الصحيح»؛ الذبائع؛ أبواب البر والصلة عن رسول الله ﷺ؛ باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك.

الخالق (عَلَى فَرْقِهِ) الذي ينبغي له، وذلك أَنَّ الله تعالى وإن كان هو الفاعل حقيقة لكنه قد جعل بعض خلقه أسباباً ونَسَبَ الأمور إليها، وأمر شكر الواسطة، لا لذاته، بل امتثالاً لمن جعله واسطة. (وَهَنَّاؤُهُ) في الحق (عَلَى بَقَائِهِ) لغير الله (وَعَيْبَتُهُ) عن ما سوى الحق (عَلَى حُضُورِهِ).

- وَأَتَكْمَلُ مِنْهُ) مقاماً (عَبْدٌ شَرِيبٌ) كزوسَ كَشَفِ الحقائق (فَارْدَادَ صَحَواً) لكمالهِ، (وَعَابَ) عن الغير (فَارْدَادَ حُضُوراً) له الله، (فَلَا جَمْعُهُ) لعلو إيقانه وعرفانه (يَحْجُبُهُ عَن فَرْقِهِ، وَلَا فَرْقُهُ يَحْجُبُهُ عَن جَمْعِهِ، وَلَا فَنَّاؤُهُ) عن غير الله (يَصْرِفُهُ عَن بَقَائِهِ) لآداء حقِّ له تعالى، (وَلَا بَقَاؤُهُ) لآداء حقه (يَصُدُّهُ عَن فَنَائِهِ، يُعْطِي كُلَّ ذِي قِسْطٍ قِسْطَهُ) بإذن الله لَهُ، (وَيُؤْفِي كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ) من الله ومن خلقه، فحقوقُ الله تعالى لا تشغله عن حقوقِ خلقه، وحقوقهم لا تشغله عن حقوقه، وهذا مقام الإنسان الكامل الجامع للكمالات كلها.

(وَقَدْ قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ) الذي هو أعلى هذه الأمة بعد نبيها ﷺ (إِعَايِشَةً) التي لم تبلغ رتبته (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ثَمًّا نَزَلَتْ بِرَاءَتُهَا مِنْ الْإِفْكَ) من الكذب الذي كُذِّبَ عليها وهو قَدْفُهَا بما لا يليق بها ولا ببعليها (عَلَى لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) الذي هو الواسطة في ذلك، إذ لو لم يوجد لما وُجِدَ الوحي المنزل من الحق، ولم تتشرف عائشة رضي الله عنها بهذه البراءة ببركته: (يَا عَائِشَةُ أَشْكُرِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ) الذي أنزل الله فيك كلامه الذي يُتْلَى إلى يوم القيامة ببركته، وقومي إليه وقبلي رأسه، (فَقَالَتْ) لفنائها في الله تعالى حيث لم يبق فيها لغيره شيء: (وَاللَّهِ لَا أَشْكُرُ إِلَّا اللَّهَ) الذي أنزل برائتي بجوده وفضله.

(ذَلَّهَا أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَلَى الْمَقَامِ الْأَكْمَلِ مَقَامِ الْبَقَاءِ الْمُقْتَضِي لِإِقْبَاتِ الْأَثَارِ) من غير أن تكون حائلة عن الغفار، أرشدها على قدر مقامه، ومشت على قدر مقامها، وشتان ما بين المقامين، لو شكرته ﷺ لله تعالى لكان ذلك زيادة في شكرها لمولي نعمتها.

(وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ أَشْكُرْ لِي﴾) لأنني أنا الخالق الموجد حقيقة

(و) اشْكُرْ ﴿وَلَوْلَا ذِيكَ﴾ [لقمان: ١٤] اللذين كانا سببين ظاهرين في وجودك وأعطى كل ذي حق حقه.

(وَقَالَ ﷺ): وهو أعرف الخلائق بالخالق وأعلى مقاماً في إدراك الحقائق (لَا يَشْكُرُ اللَّهُ) أي: لا يؤدي شكره كما ينبغي أداء شكره (مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ)، الذين هم وسائط نعمه من حيث هم وسائطها، فتمام شكره موقوف على شكرهم له تعالى، فمن لم يشكرهم لم يؤد شكره كما ينبغي أدائه وإفياً.

(وَكَانَتْ) ﷺ (فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ) الذي انقطع رجاؤها في برائتها من غير مولاه، (مُصْطَلَمَةً) فانيةً (عَنْ شَاهِدِهَا) عمن كان حاضراً عندها، (غَائِبَةً عَنْ الْآثَارِ) لفنائها في الستار (فَلَمْ تَشْهَدْ) في ذلك الوقت (إِلَّا الْوَاحِدَ الْقَهَّارِ) المفرد في التصرف، وهذا مقام عالٍ، لكن أعلى منه إعطاء الآثار حقوقها.



(و) قال ﷺ: (لَمَّا سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١) هَلْ ذَلِكَ) أي: كونها قرة (خَاصٌّ بِهِ ﷺ) لعلو شأنه، (أَوْ) له (وَيُغَيِّرُهُ مِنْهُ شَرِّبٌ) حظٌّ على قَدْرِ حَالِهِ (وَتَصِيبٌ؟ فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ قُرَّةَ الْعَيْنِ» فيها حاصلة (بِالشُّهُودِ) للحق المعبود (عَلَى قَدْرِ الْمَعْرِفَةِ بِالشُّهُودِ) فمن كان شهوده أعلى ففُتْرَتُهُ أعظم وأجلى، ومن كان شهوده أدنى ففُتْرَتُهُ على قدر ذلك، (فَالرَّسُولُ ﷺ) الذي هو المفرد في باب القرب والعرفان والعطايا والإحسان، (لَيْسَ لِأَحَدٍ مَعْرِفَةٌ) بالله (كَمَعْرِفَتِهِ) إذ لم يبلغ أحد مرتبته حتى تكون معرفته كمعرفته، بل ولا داناه أحد، (فَلَيْسَ قُرَّةُ عَيْنٍ) لأحد في الصلاة (كَقُرَّتِهِ) ﷺ لعلو شهوده لمقصوده. والحاصل إن لغیره قرة عين في الصلاة لكن على قدر شهوده لمعبوده.

(وَأِنَّمَا قُلْنَا: «إِنَّ قُرَّةَ عَيْنِهِ» ﷺ) (فِي صَلَاتِهِ بِشُهُودِ جَلَالِ مَشْهُودِهِ لِأَنَّهُ قَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ) الذي عيَّاه (بِقَوْلِهِ: «فِي الصَّلَاةِ»، وَلَمْ يَقُلْ: بِالصَّلَاةِ) وهو يدل على أن قُرَّةَ عَيْنِهِ ليس بالصلاة، بل بما في الصلاة؛ (إِذْ هُوَ ﷺ) لعلو برهانه وعظم عرفانه برحمته (لَا تَقَرُّ عَيْنُهُ بِغَيْرِ رَبِّهِ) الذي هو مقصوده ومعبوده.

(١) «المستدرک علی الصحیحین» للحاکم؛ کتاب النکاح.

(وَكَيْفَ) لا يكون قُرْتَهُ كذلك (وَهُوَ يَدُلُّ) غيره (عَلَى هَذَا الْمَقَامِ) الجليل (وَيَأْمُرُ بِهِ مَنْ سِوَاهُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «اعْبُدِ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»^(١)) الحديث، فسر الإحسان بشهوده في عبادته، فعلم أنه روح العبادَة، (وَمُحَالٌ أَنْ يَرَاهُ) تعالى في عبادته (وَيَشْهَدُ مَعَهُ مِنْ سِوَاهُ) لأن من رآه لا يشهد ما عداه لاستغراقه في جماله ونجواه.

والحاصل أنه ﷺ أخبر أنّ روح العبادَة رؤية المعبود فيها، ومعلوم قطعاً أنه كان يرى مولاه فيها، فعلم أن شهوده قُرّة عينه في صلاته.

(قَالَ لَهُ الْقَائِلُ: قَدْ تَكُونُ قُرّةُ الْعَيْنِ بِالصَّلَاةِ) وتكون «في» بمعنى «الباء» (لَأَنَّهَا فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ) حيث تفضل بها على عبده تُقربه إليه، (وَبَارِزَةٌ مِنْ عَيْنِ مَنْةِ اللَّهِ) على عبيده، (فَكَيْفَ لَا يَفْرَحُ بِهَا) وهي هدية الحبيب؟!!

(وَكَيْفَ لَا تَكُونُ قُرّةُ الْعَيْنِ بِهَا) وهي تحفة المطلوب؟! (وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ [يونس: ٥٨]) وهي فضله ورحمته، وهو ﷺ أول عامل بما يأمره به ربه، (فَاعْلَمْ أَنَّ الْآيَةَ قَدْ أَوْمَأَتْ إِلَى الْجَوَابِ لِمَنْ تَدَبَّرَ سِرَّ الْخِطَابِ، إِذْ قَالَ: ﴿بِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾، وَمَا قَالَ: فَبِذَلِكَ فَافْرَحْ).

ومراده - والله أعلم - أن لو كان هذا الأمر شاملاً له ﷺ ولغيره لخصّه بالخطاب الذي فيه غاية الإكرام، والله تعالى يكرم حبيبه ﷺ بخطاباته، ودخل فيه غيره تبعاً له؛ إذ خطابه خطاب أمته ما لم يدل دليل على الخصوص، فلما ترك خطابه وصرف الأمر إلى الناس عُلِمَ أنه ليس شاملاً له، بل المطلوب منه أعلى مما طُلبَ منهم، وبعدُ للمتأمل موضع تأمل.

(يَا مُحَمَّدُ قُلْ لَهُمْ فَلْيَفْرَحُوا بِالْإِحْسَانِ وَالْتَفَضُّلِ) عليهم على قدر مقامهم، (وَتَيَكُنْ فَرَحُكَ أَنْتَ بِالْمُتَفَضِّلِ) لعلوّ مقامك، (كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْآخَرَى: ﴿قُلِ اللَّهُ تَعَالَى ذَرَنَّهُمْ فِي حَوَاضِهِمْ يَلْمُزُونَ﴾ [الأنعام: ٩١]) خصّه بهذا الخطاب لعلوّ مرتبته، ولم يأمر غيره بما أمره لنزول مرتبتهم.

(١) أخرجه الإمام أحمد بن حنبل؛ مسند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

هذا، وفي حمله نظر، بل المراد بهذا الخطاب النبي ﷺ وغيره لأن خطابه خطاب أمته، بل غيره أحق بهذا الخطاب لشغلهم عن الله تعالى، بخلافه ﷺ فإنه واذّر لما سواه متبتّل إليه عن ما عداه، ويكون الأمر له للتثبيت على ما هو عليه، ولغيره لإحداث الفعل الذي يعبر عنه بالتأسيس، وهو خير من التأكيد، والله أعلم.



(وَقَالَ) ﷺ (مِمَّا كَتَبَ لِبَعْضِ إِخْوَانِهِ: النَّاسُ) الذين هم مختلفوا الأجناس (فِي وُزُودِ الْمَنِّ عَلَيْهِمْ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ):

- قِسْمٌ (فَرِحَ بِالْمَنِّ لَا مِنْ حَيْثُ مُبْدِيهَا وَمُنْشِئِهَا) أي: لا من حيث يوردها من الله الكريم، (وَلَكِنْ) فَرِحَ (لِوُجُودِ مُتَعَتِّبِهَا) النفسانية (فِيهَا، فَهَذَا مِنْ الْغَافِلِينَ) عن الفرحة بالمنعم، (يَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى) إشارة: ﴿حَقٌّ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤].

- (وَقِسْمٌ) (فَرِحَ بِالْمَنِّ مِنْ حَيْثُ إِنَّهُ شَهِدَهَا مِنْهُ وَمَنْ أَرْسَلَهَا وَنِعْمَةً وَمَنْ وَصَلَهَا) والمحبّ يفرح بمنّ المحبوب من حيث إنها منّته، لا من حيث ذواتها، (يَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَفْضِلُ اللَّهُ وِرَاحَتَهُ فِذَلِكَ﴾) المذكور من الفضل والرحمة (﴿يَلْبَسُوا هُرَّ حَبِيرٍ وَمَا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]) من الدنيا التي يفرحون بها.

- (وَفَرِحَ بِاللَّهِ تَعَالَى) من حيث كمال ذاته وصفاته وأفعاله، ومن حيث معرفته به وقربه إليه، (مَا شَغَلَهُ) عن الله تعالى (مِنْ الْمَنِّ) الواردة عليه من مولاه (ظَاهِرٌ مُتَعَتِّبِهَا) كما شغل بها عنه الطائفة الولي، (وَلَا بَاطِنٌ مِنْتِهَا) كما شغل بها عنه الطائفة الثانية، (بَلْ شَغَلَهُ النَّظَرُ إِلَى اللَّهِ) ذي الجمال والكمال (عَنْ مَا سِوَاهُ، وَانْجَمَعَ) انحصر نظره (عَلَيْهِ، فَلَا يَشْهَدُ) لكمال استغراقه فيه (إِلَّا إِيَّاهُ، يَصْدُقُ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

وما ذكره المصنف من هذه الأقسام فكلامٌ عالٍ، لكن في صدق هذه

الآيات عليهم مقال كما لا يخفى على أهل الكمال، والله أعلم بحقيقة الحال.
 (وَقَدْ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا دَاوُدُ قُلْ لِلصَّادِقِينَ) الذين
 صفت قلوبهم عن غير الله وخلصت له: (بِي فَلْيَفْرَحُوا) لا بغيري لأنني أنا
 النعمة الكبرى لهم، (وَيَذْكُرِي فَلْيَتَنَعَّمُوا) لا بذكر غيري، فإن ذكرني هي
 البُغْيَةُ العظمى لهم.

(فَاللَّهُ تَعَالَى) بجوده (يَجْعَلُ فَرَحَنَا وَإِيَّاكَ بِهِ، وَالرَّضَى مِنْهُ) بأن
 يرضى عنا، ﴿وَرِضُونُ رَبِّكَ اللَّهُ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢]، أو نرضى منه بما
 يتصرف فينا، (وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الْقَهْمِ عَنْهُ) الذين يفهمون مقصوده منا،
 فيسعون في تحصيله، (وَأَنْ لَا يَجْعَلَنَا مِنَ الْغَافِلِينَ) لا في ظواهرنا ولا في
 ضمائرنا، (وَأَنْ يَسْئَلَ بِنَا) بفضلِهِ (سَبِيلَ الْمُتَّقِينَ) الذين قال فيهم: ﴿إِنْ
 أَكْرَمَكَ عِنْدَ اللَّهِ أَفْنَكُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] (بِمَنْنِهِ وَكَرَمِهِ) فإنه المنان الكريم.



(وَقَالَ ﷻ فِي بَقْعٍ مُنَاجَاتِهِ) مع ربه: (إِلَهِي) وفي هذا التخصيص
 سرٌّ جليل يعلمه أهله، (أَنَا الْفَقِيرُ فِي غَنَائِي) فلو ملكتني الكون كله لم أخرج
 من فقري الذي هو لازم ذاتي، (فَكَيْفَ لَا أَكُونُ فَقِيرًا فِي فَقْرِي) حيث لا
 أملك شيئاً، أو أملك بتملكك إياي شيئاً يسيراً لا يعزُّ به إلى جنب ملكك.

(إِلَهِي: أَنَا الْجَاهِلُ) الذي جهلي مقتضى ذاتي (فِي عِلْمِي) لو علمتني
 المعلومات كلها لم أخرج من جهلي الذاتي، (فَكَيْفَ لَا أَكُونُ جَهُولًا فِي
 جَهْلِي) حيث لا أعلم إلا شيئاً زهيداً ليس بشيء بالنسبة إلى علمك.

(إِلَهِي: إِنَّ اخْتِلَافَ تَدْبِيرِكَ) تارة تدبير جلال وأخرى تدبير جمال،
 (وَسُرْعَةُ حُلُولِ مَقَادِيرِكَ) التي قدَّرتها بعلمك في الأزل، وما قدَّرت يكون،
 (مَنْعًا عِبَادَكَ الْغَافِلِينَ بِكَ عَنِ السُّكُونِ إِلَى عَطَاءٍ) لأنك تُخرج من عطاء
 إلى بلاء في لحظة، فكيف يكون السُّكُونُ إليه مع أنه يحتمل أن يكون
 استدراجاً. وقد قلت: ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٩٩].

(وَالْيَاسِ مِنْكَ) من فرجك (فِي بِلَاءٍ) لأنك تُخرجُ منه إلى عطاء في

لمحة، فكيف يكون اليأس وقد قلت: ﴿وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ [يوسف: ٨٧].

(إِلَهِي: مِنْي مَا يَلِيْقُ بِلُؤْمِي) لانغراقي في موجبات اللؤم لا أنفك عنها، وكيف أنفك عنها وقد أُرِكِزْتُ فيها.

(وَمِنْكَ مَا يَلِيْقُ بِكَرَمِكَ) لأنك المتصف بصفات الكرم والجود والفضل، فعاملني على مقتضى كرمك، لا على موجب لؤمي.

(إِلَهِي: وَصَفْتَ نَفْسَكَ) الجليلة (بِالْطُّفِّ وَالرَّأْفَةِ) حيث انصفتَ بهما (قَبْلَ وُجُودِي) لأنك مع صفاتك قديم، وليس مظهر لطفك ورأفتك إلا لمثلي (أَقْتَمَعْنِي مِنْهُمَا بَعْدَ وُجُودِ ضَعْفِي) رجائي فيك جميل، أرجو منك لطفك ورأفتك بضعف حالي.

(إِلَهِي: إِنَّ ظَهَرَتِ الْمَحَاسِنُ) الظاهرية والباطنية (مِنِّْي فَبِعَذْلِكَ) ظهرت لأنك خلقتني وخلقته في وحسنتني بها، (وَلَكَ الْمِنَّةُ عَلَيَّ) فيها حيث مننت عليّ بها بمتك وجُودك وكرمك من غير استحقاق مني إياها.

(وَأَنَّ ظَهَرَتِ الْمَسَاوِيءُ) القالبية والقلبية (مِنِّْي فَبِعَذْلِكَ) ظهرت لأنك أقمّت عَذْلَكَ بِخَلْقِهَا فِيَّ، (وَلَكَ الْحُجَّةُ عَلَيَّ) فإن أخذتني بها فأنت عادل في ذلك، وليس لي حجة عليك، وقد قطعت حجتي بمنعك إياي عنها، وإن غفرتها لي فإنك أنت الغفور الرحيم تغفر الذنوب.

(إِلَهِي: كَيْفَ تَكِلْنِي) تُفَوِّضْنِي (إِلَى نَفْسِي) أو إلى غيرك (وَقَدْ تَوَكَّلْتُ بِـ) أي: إنك لم تكِلْنِي إلى غيرك، بل أنت وكيلي ومعتمدي في أموري كلها، فاحفظني عن ما يرديني، ووفقني لما يرضيك عني.

(وَكَيْفَ أَضَامُ) بظلم ضَيِّمِ النفس والشيطان وغيرهما (وَأَنْتَ النَّاصِرُ بِي) على من ظلمني فانصرني عليه وأنت خير الناصرين.

(أَمْ كَيْفَ أَخَيِّبُ) في آمالي (وَأَنْتَ الْخَفِيُّ) المعني (بِي) ومن كنت حفيّاً به لا يخيب في أماله.

(هَآ أَنَا أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ) يا سيدي (بِفَقْرِي) وخير ما يتوسل به الفقير إلى عطاء الغني فقره، (وَكَيْفَ أَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِمَا هُوَ مُحَالٌ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ) لعلو

شأنك وعظيم سلطانتك، ولا بد للوسيلة أن تصل إلى المتوسِّل إليه .

(أَمْ كَيْفَ أَشْكُوا إِلَيْكَ حَالِي وَهُوَ لَا يَخْفَى عَلَيْكَ) وكيف يخفى عليك وأنت الذي خلقته فيّ، فعلمك بحالي يكفيني عن سؤالي .

(أَمْ كَيْفَ أُتَرْجِمُ) أَوْضَحْ (لَكَ) حَالِي (بِمَقَالِي وَهُوَ مِنْكَ بَرَزَ) حيث أوردته عليّ، (وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَيْكَ) يرشدني إلى أن أتدلّل بين يديك، فالعبد ابن عبيدك حاضر لديك، فافعل به ما أنت له أهل .

(أَمْ كَيْفَ تَخَيِّبُ أَمَالِي) التي أملتّها فيك (وَهِيَ قَدْ وَفَدَتْ إِلَيْكَ) والكريم لا يخيب ما يَفِدُ عليه، بل يكرمه وينعم عليه .

(أَمْ كَيْفَ لَا تَحْسُنُ أَحْوَالِي وَبِكَ قَامَتْ) لأنك خالقها فيّ، راجعة (إِلَيْكَ) .

(إِلَهِي: مَا أَلْطَفَكَ بِي) لا أقدر أن أعدّ الطافك عليّ (مَعَ عَظِيمِ جَهْلِي) الذي يستأهل الحرمان، (وَمَا أَرْحَمَكَ بِي) وما أستطيع أن أحصر ما رحمتني به (مَعَ قَبِيحِ فِعْلِي) الذي يوجب عقوبي .

(إِلَهِي: مَا أَقْرَبَكَ مِنِّي) حيث أنت أقرب مني إلى نفسي، مُدِيمٌ عليّ نِعَمَكَ، (وَمَا أَبْعَدَنِي عَنْكَ) حيث لا أقدر على ذِكْرِكَ، فضلاً عن شهودك، (وَمَا أَرَأَيْتَ بِي) يا رؤوف، (فَمَا الَّذِي يَحْجُبُنِي عَنْكَ)، لا يحجبني إلا عَدَمُ قابليتي لشهودك .

(إِلَهِي: قَدْ عَلِمْتُ بِاخْتِلَافِ الْأَثَارِ) لا يزال تنتقل من حالٍ إلى حال، (وَتَنَقُّلَاتِ الْأَطْوَارِ أَنْ مُرَادَكَ) يا عظيم (مِنِّي أَنْ تَتَعَرَّفَ) تصير معروفاً (لِي) في كُلِّ شَيْءٍ) لأنّ اختلاف الآثار وتنقُّلات الأطوار يدلان على من يَفْعَلُ ذلك بهما، وليس الفاعلُ إلا أنت، (حَتَّى لَا أَجْهَلَكَ فِي شَيْءٍ) من الأشياء، بل أعرفك في كل شيء لظهورك فيه، سبحانه ما أعظم برهانك على عرفانك .

(إِلَهِي: كُلَّمَا أَخْرَسَنِي) من السؤال منك (لُؤْمِي) الذي كنتُ به غير أهل لذلك (أَنْتَ طَقَّنِي كَرَمَكَ) الذي يطمع به فيك من لم يكن أهلاً للسؤال منك، وهو الذي جرّأني على ذلك .

(وَكُلَّمَا آيَسْتَنِي أَوْصَافِي) الذميمة الناقصة في عطايك لعدم قابليتي لها لنقصانها (أَطَمَعَنِي) في إحسانك (مِثْلُكَ) ورجحت مِثْلَكَ على أوصافي فطمعت في كرامتك يا كريم .

(إِلَهِي: مَنْ كَانَتْ مَحَاسِنُهُ مَسَاوِي) نظراً إلى ذاته، (فَكَيْفَ لَا تَكُونُ مَسَاوِيهِ مَسَاوِي. وَمَنْ كَانَتْ حَقَائِقُهُ دَعَاوِي) لا طائل تحتها (فَكَيْفَ لَا تَكُونُ دَعَاوِيهِ دَعَاوِي) والحاصل أن العبد غرق في الهوان والنقصان، وأنت ذو الجود والإحسان، فمُنَّ عليه بمجرد الامتنان .

(إِلَهِي: حُكْمُكَ النَّافِذُ) في كل شيء، (وَمَشِيقَتُكَ الْقَاهِرَةُ) كل شيء، تنفذ حكمك كيفما تريد، وتفعل ما تشاء ولا تبالي (لَمْ يَتْرُكَا لِذِي مَقَالٍ مَقَالًا) وأنى يكون له المقال يا ذا العزة والجلال، (وَلَا لِذِي حَالٍ) من الأحوال (حَالًا) وأي شيء ينفع الحال عند إنفاذك أحكامك وقهرك كل شيء بإرادتك .

(إِلَهِي: كَمْ مِنْ طَاعَةٍ بَنَيْتُهَا) فَعَلْتُهَا، (و) كم من (حَالَةٍ شَيْدَتْهَا) أحكمتها وزَعَمْتُ أَنَّهُمَا تحكمان لي فضلك (هَذِمَ اعْتِمَادِي عَلَيْهَا هَدْلُكَ) الذي تقيمه في من تريده، ولو أقمت عدلك في كانت طاعاتي وحالاتي هباءً منثوراً، (بَلْ أَقَاتَنِي مِنْهَا فَضْلُكَ) لأنك إذا أكرمت وأعطيت الإحسان تعطي بفضلك من غير استحقاق أحد عليك بعمل من الأعمال، فلم تكن طاعتي وحالتي موجبةً لشيء من الثواب، وإنما هي هِبْتُكَ يا وهاب .

(إِلَهِي: إِنَّكَ تَعْلَمُ وَإِنْ لَمْ تَدُمْ الطَّاعَةَ) التي تُجِبُّهَا (مِنْهُ فِعْلًا وَحَزْمًا) ولا أقدر على ذلك (فَقَدْ دَامَتْ) طاعتك مني (مَحَبَّةً وَعَزْمًا) لأنني حين آمنت بك أحبيت طاعتك وعزمت عليها على مقتضى الإيمان لأن إيماني يأمرني بذلك، وإن كنت أغفل عن ذلك .

(إِلَهِي: كَيْفَ أَعَزِمُ) على تحصيل ما تأمرني به لترضى به عني (وَأَنْتَ الْقَاهِرُ) إن شئت وفَقْتَنِي لما تأمرني، وإن شئت عنه صرفتني، ولا أقدر على شيء ما بحولي وقوتي .

(وَكَيْفَ لَا أَعَزِمُ) على فِعْلٍ ما تُحِبُّ (وَأَنْتَ الْآمِرُ) الجليل الجميل .

والحاصل أعزم عليك امتثالاً لأمرك، وأعتقد أنه لا يتأتى مني إلا بإرادتك.

(إِلَهِي: تَرُدُّدِي فِي الْأَثَارِ) بأن أرتحل بالتأمل فيها إليك، وأجعلها لعرفاني دلالتها عليك مطايا الوصول إليك، (يُوجِبُ بَعْدَ الْمَرَارِ) لا أصلُ إليك إلا بعد زمن كثير لكثرتها مع شغلها، (فَأَجْمَعُنِي عَلَيْكَ بِخِدْمَةٍ) أي: وفقني لطاعة من طاعاتك (تُوصِلُنِي إِلَيْكَ) عن قريب، فإن الوصول بنور الطاعات أقرب من الوصول بدلالة الآثار.

(إِلَهِي: كَيْفَ يُسْتَدَلُّ عَلَيْكَ) على وجودك (بِمَا هُوَ مَقْتَرَفٌ فِي وُجُودِهِ إِلَيْكَ) لو لم توجده لم يوجد، (أَيَكُونُ لِفَيْتَرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ) مع أنك الظاهر (حَتَّى يَكُونَ هُوَ الْمُظْهَرُ لَكَ) مع أنك الذي أظهرته، ولكن بطننت مع ظهورك، ولذا يُسْتَدَلُّ بآثارك عليك.

(مَتَى غِبَّتْ) عن الخلِّي (حَتَّى يُحْتَاجَ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ) لكنك لشدة قربك خفيت، ولذا يحتاج الضعيف منا إلى دليل يدل عليك.

(وَمَتَى بَعُدَتْ) عن عبيدك (حَتَّى تَكُونَ الْآثَارُ هِيَ الَّتِي تُوصِلُ إِلَيْكَ) بل أنت أقرب إلينا منا، لكننا بُعِدْنَا عن شهودك لقصورنا، فاحتجنا إلى أن نتوصل بآثارك عليك.

(إِلَهِي: عَمِيَّتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيباً) فتعمل على مقتضى ما تحب، ولو كانت بصيرة لرأتك رقيباً عليها فلم تلتفت عنك إلى غيرك ولم تفعل في حضرتك ما تكرهه أو يحجبها عنك.

(وَحَسِرَتْ صَفْقَةُ عَبْدٍ لَمْ تَجْعَلْ لَهُ مِنْ حُبِّكَ) الذي هو أعظم الحظوظ وألذها (نَصِيباً) وابتلي بحب غيرك. وهذا الخاسر ظاهر الخسران.

(إِلَهِي: أَمَرْتُ) بنحو قولك: ﴿قُلْ أَنْظَرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١] (بِالزُّجُوعِ إِلَى الْآثَارِ) لتتقرب بأداء حقوقها ودلالاتها عليك، (فَارْجِعْنِي إِلَيْهَا بِكُسُوةِ الْأَنْوَارِ) التي توضح دلالتها عليك، وتبين لي ما وضعت فيها من الأسرار، (وَهِدَايَةِ الْأَسْتَبْصَارِ) فأبصر ما فيها من الحكيم والفوائد (حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْكَ مِنْهَا كَمَا دَخَلْتُ إِلَيْكَ مِنْهَا) واستدللت بها عليك

حال كوني (مَصُونٍ) محفوظ (السُّرَّ عَنِ النَّظَرِ إِلَيْهَا) من حيث هي هي،
(وَمَرْفُوعِ الْهِمَّةِ عَنِ الْاعْتِمَادِ عَلَيْهَا، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) تقدر أن تفعل
في ما سألت منك.

(إِلَهِي: هَذَا دُلِّي ظَاهِرُ بَيِّنٍ يَدَيْكَ) حيث انغمستُ فيه في ظاهري
وباطني لا أنفك عنه أبداً، (وَهَذَا حَالِي) الضعيف العاجز (لَا يَخْضَى عَلَيْكَ)
وكيف يخفى عليك وأنت الذي أوردته.

(مِنْكَ أَطْلُبُ) لا من غيرك، بمجرد جودك وإحسانك (الْوُصُولَ إِلَيْكَ)
وأنت القادر على ذلك، وأنا أضعف مما هنالك، فأوصلني إليك.

(وَبِكَ) لا بغيرك (أَسْتَدِلُّ عَلَيْكَ) أنت دليلي إليك، (فَاهْدِنِي بِثَوْرِكَ)
الذي تنورُ به قلبي وتوضحُ لي به طريقي (إِلَيْكَ، وَأَقِمْنِي بِصِدْقِ الْعُبُودِيَّةِ)
الذي تحبه مني (بَيِّنَ يَدَيْكَ) فأكون عبداً لك لا لغيرك.

(إِلَهِي: عَلَّمْنِي مِنْ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ) الذي يوضحُ ليما يُوصلني إليك،
(وَصُنْنِي بِسِرِّ اسْمِكَ الْمَصُونِ) الذي لا يطلع عليه غيرُك، وكم لك من أسماء
وأوصاف لا يعلمها غيرك.

(إِلَهِي: حَقِّقْنِي بِحَقَائِقِ أَهْلِ الْقُرْبِ) الذين يشاهدون الأمور على ما
هي عليه، ويتوصلون بها إلى القرب إليك، (وَاسْأَلْكَ بِي مَسْأَلِكَ أَهْلِ الْجَدْبِ)
الذين توصلهم بَغْتَةً إليك، وتكشف لهم ما لديك، وتعلمهم بأوصافك، ثم
تأمرهم بالتعلم بأسمائك، ثم تردهم إلى آثارك ليؤدوا حقوقها، وهم أسرع
سِيراً إِلَيْكَ.

(إِلَهِي: اغْنِنِي بِتَذْبِيرِكَ) الذي عليه المدار كله (عَنْ تَذْبِيرِي) الذي لا
ينفع شيئاً، بل يوجب لي سوء الأدب معك، وتضييع عمري بلا فائدة،
ويعذبني بمدبراته.

واغْنِنِي (بِاخْتِيَارِكَ) الذي عليه الأمر (عَنِ اخْتِيَارِي) الذي هو عبث
ولغو، (وَأَوْقِفْنِي عَلَى مَرَائِزِ اضْطِرَارِي) التي اركزتني فيها، فأكون دائماً
مضطراً إِلَيْكَ، مظهرًا عجزي وضعفي لديك، معتمداً في فقري وفاقتي عليك.

(إِلَهِي: أَخْرِجْنِي مِنْ دُلِّ نَفْسِي) من الذل الذي توجه لي نفسي برعيها في مراعي شهواتها وهفواتها وزلاتها وسيئاتها، واحفظني من شرها (وَطَهِّرْنِي مِنْ) أوساخ (شَكِّي وَ) أرجاس (شِرْكِي) التي تطفئ نور إيماني، وتحجب وتظلم علي طُرُق عرفاني، وتوجب لي أعظم الحرمان (قَبْلَ حُلُولِ رَمْسِي) قبل أن أموت وأدخل القبر، فإني إذا دخلته قبل أن تطهرني منها ابتليت فيه بوبالها. (بِكَ أَسْتَنْصِرُ) على ما ناواني، أو فيما أطلب، (فَأَنْصُرْنِي) في ما أريد نصري، (وَعَلَيْكَ أَتَوَكَّلُ) في أموري كلها (فَلَا تَكِلْنِي) إلى نفسي ولا إلى غيرها، فإنك إن وكلتي (إِلَى غَيْرِكَ) هَلَكْتُ.

(وَأَيَّاكَ أَسْأَلُ) خير الدنيا والآخرة وما يقربني إليك (فَلَا تُخَيِّبْنِي) في سؤالي، بل أسعف بجودك آمالي.

(وَفِي فَضْلِكَ أَرْغَبُ فَلَا تُحَرِّمْنِي) عنه، بل أعطني منه حظاً وافراً، (وَلِجَانِبِكَ) العالي (أَتَتَسَبَّبُ) لأنني عبدك (فَلَا تُبْعِدْنِي) عن حضرتك، والعبد وإن أساء الأدب فسيده الكريم لا يبعده لكرمه.

(وَبِبَابِكَ) الذي هو مفتوح لمن وَرَدَ إليك (أَقِفْ) ذليلاً حقيراً فقيراً مهاناً (فَلَا تَطْرُدْنِي) لعصيانِي وعدم قابليتي للدخول في حضرة شهودك، إن كنت لست أهلاً لذلك فأنت قادر أن تجعلني أهلاً لذلك.

(إِلَهِي: تَقَدَّسَ رِضَاكَ) الذي هو المقصود للمساكين (عَنْ أَنْ تَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنْكَ) لأن أفعالك لا تُعَلَّلُ بِالْعِلَلِ؛ لتقدسك عن الانفعال الذي هو من خواص أهل الزوال، (فَكَيْفَ تَكُونَ لَهُ عِلَّةٌ مِنِّي). فإرض عني بمجرد جودك عليّ، ولا تنظر إلى أفعالي، وانظر إلى إفضالك.

(أَنْتَ الْعَبْدُ بِذَاتِكَ عَنْ أَنْ يَصِلَ إِلَيْكَ التَّمَنُّعُ مِنْكَ) لعلو شأنك، (فَكَيْفَ لَا تَكُونَ غَنِيّاً عَنِّي) ومن أنا حتى لا تكون غنياً عني، فاعطني على قَدْرِ رحمتك ورأفتك، لا على قدر طاعتي لو كانت مني.

(إِلَهِي: إِنَّ الْقَضَاءَ) تَعَلَّقَ عِلْمُكَ بِإِيجَادِ مَا يُوجَدُ، (وَالْقَدْرُ) الذي قَدَرْتَهُ لكل ما أردت وجوده في الأزل، (غَلَبَانِي) فَإِنَّ مَا لَمْ تَقْضِهِ وَلَمْ تُقَدِّرْهُ

مني لا يتأتى مني، وما قضيت وقدّرت صدر مني بك لا بي، (وَإِنَّ الْهَوَى)
الذي جُبِلَتْ نفسي عليه (بِوَثَائِقٍ) بقيود (الشَّهْوَةِ) المبعدة (أَسْرَنِي) فلا أقدر
أن أصل إليك، (فَكُنْ أَنْتَ النَّصِيرُ لِي حَتَّى تَنْصُرَنِي) على ما أسرني فأقطع
قيوده عني وأهرب منه واصلاً إليك، (وَتَنْصُرَنِي) من شئت فأفك قيودهم
بقوّتك وأسبب لوصولهم إليك، وأنت ترضى غن من يوصل بك عبادك إليك،
(وَاعْنِينِي بِفَضْلِكَ) عن ما سواك (حَتَّى أَسْتَعْنِي بِكَ عَنْ طَلِبِي) منك،
وعلمك بآمالي يغني عن سؤالي.

(أَنْتَ الَّذِي أَشْرَقْتَ الْأَنْوَارَ) التي توجب الأسرار (فِي قُلُوبِ أَوْلِيَاكَ)
الذين اخترتهم لك (حَتَّى عَرَفُوكَ) على قدر قابليتهم لعرفانك، وإلا فأنت
أعلى من أن يعرفك أحد حق معرفتك، (وَوَحَّدُوكَ) حتى لم يبق فيهم شرك
لما سواك.

(وَأَنْتَ الَّذِي أَرَزَلْتَ الْأَعْيَانَ) التي توجب الأكدار (مِنْ قُلُوبِ أَحْبَابِكَ)
الذين اصطفتهم لحبك (حَتَّى لَمْ يُجِئُوا سِوَاكَ) وسعدوا بحبك عن وُد ما
عداك، (وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى غَيْرِكَ) لشغلهم بك، وكيف يلتجئوا إلى غيرك وأنت
محبوبهم؟!

(أَنْتَ الْمُؤَيِّسُ لَهُمْ) بأنس يُبْذَل في تحصيله الأشباح والأرواح (حَيْثُ
أَوْحَشْتَهُمُ الْعَوَالِمَ) للتنفر الذي وقع بينهم لامتلاء قلوبهم بؤدك.

(وَأَنْتَ الَّذِي هَدَيْتَهُمْ) إلى ما جعلهم أولياؤك وأحبابك (حَتَّى اسْتَبَانَاتِ
الْمَعَالِمَ) التي يعلمون بها ما يقربهم إليك.

(مَاذَا وَجَدَ) من الخير (مَنْ فَقَدَكَ) وهل بعد فقدانك خير يعبي به؟!
فالفقير كل الفقر من افتقر بفقدانك.

(وَمَا الَّذِي فَقَدَ) من الخير (مَنْ وَجَدَكَ) وصل إليك؟! وهل بعد
وجدانك شيء يكون الإنسان بفقدانه فقيراً؟! فالغني كل الغنى من استغنى
بوجدانك.

(لَقَدْ خَابَ) خيبةً كليةً (مَنْ رَضِيَ دُونَكَ بَدَلًا) فاشتغل به عنك، هل

شيء مثلك حتى يكون بدلاً عنك؟! وكيف لا يخيب وقد فاته من هو المطلوب؟!

(وَلَقَدْ خَسِرَ) في صفقته (مَنْ بَعَى) طلب (عَنْكَ مُتَحَوِّلاً) يتحول إليه، وهل أحد مثلك حتى يتحول عنك إليه؟! إنما يتحول عنك إلى غيرك من يجهلك.

(إِلَهِي، كَيْفَ يُزَجِّى سِوَاكَ) يا مولاي (وَأَنْتَ مَا قَطَعْتَ الْإِحْسَانَ) حتى عن أهل العصيان والطغيان، (وَكَيْفَ يُطَلِّبُ مِنْ غَيْرِكَ) شيء (وَأَنْتَ مَا بَدَأْتَ) بجدوك (عَادَةَ الْآمِتَيْنِ) تمنُّ على أهل الطغيان كما تمنُّ على أهل الإيمان.

(يَا مَنْ أَذَاقَ أَحِبَّائَهُ) الذين تجليت لهم في جمالك واتخذتهم لمحادثتك (حَلَاوَةَ مَوَاسِّتِهِ) التي لا تُعَلِّمُ حقيقتها إلا بذوقها، (فَقَامُوا بَيْنَ يَدَيْهِ) متوجهين إليه، (مُتَمَلِّقِينَ) متقربين إليه بكلامه وأذكاره. (وَيَا مَنْ أَلْبَسَ أَوْلِيَاءَهُ مَلَابِيسَ هَيْبَتِهِ فَقَامُوا بِعِزَّتِهِ) في خلقه (مُسْتَعِزِّينَ) فلا يراهم أحد إلا ويهابهم ولا يسمع بهم إلا ويكرمهم.

(أَنْتَ الدَّاجِرُ مِنْ قَبْلِ الدَّاجِرِينَ) لو لم تذكرهم بإحسانك ماذكروك، (وَأَنْتَ الْبَادِئُ بِالْإِحْسَانِ مِنْ قَبْلِ تَوَجُّهِ الْعَابِدِينَ) إليك حيث خلقتهم ووفقتهم للتوجه إليك، ولو لم توفقهم لم يتوجهوا إليك وكانوا كغيرهم من المعرضين.

(وَأَنْتَ الْجَوَادُ بِالْعَطَايَا مِنْ قَبْلِ طَلْبِ الطَّالِبِينَ) وكيف لا وأنت الذي أخرجتهم من العدم، وجعلت فيهم الطلب منك، وأعطيتهم قبل طلبهم ما لا يحصى من النعم، فالكل منك وإليك.

(وَأَنْتَ الْوَهَّابُ) لنا من هباتك بجدوك وكرمك، (ثُمَّ أَنْتَ إِمَّا وَهَبْتَنَا) بفضلك (مِنَ الْمُسْتَقْرِضِينَ) من أموالنا وأعمالنا وأحوالنا لنا على أضعاف كثيرة. سبحانه، الهبات هباتك والعبيدُ عبيدُك، ثم أنت تطلب منهم لهم القرض لتزيدهم من فضلك.

(إِلَهِي: اطلُبْنِي بِرَحْمَتِكَ) كما طلبتني بأمرِكَ أن أصل إليك (حَتَّى أَصِلَ إِلَيْكَ، وَاجْدُبْنِي إِلَيْكَ بِمِثْلِكَ حَتَّى أَقْبَلَ عَلَيْكَ) وأفوز بما لديك.

(إِلَهِي: إِنَّ رَجَائِي لَا يَنْقَطِعُ عَنْكَ وَإِنْ عَصَيْتُكَ) وكيف ينقطع عنك وأنت أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين، (كَمَا أَنَّ خَوْفِي لَا يُزِيلُنِي وَإِنْ أَطَعْتُكَ) إطاعة الكون كله لأنك لو أقمت ميزان عدلك لم يبق لطاعتي اعتبار.

(إِلَهِي: قَدْ دَفَعْتَنِي الْعَوَالِمُ إِلَيْكَ) حيث لا أشاهد ولا أدرك شيئاً منها إلا وهو بدلالة لسانه يناديني: أسرع عتاً بنا إلى من خلقنا، ولا تغفل عنه بنا، ويضربني بكف شهادته في ظهر قلبي لأتواضع إليك.

(وَقَدْ أَوْفَقْنِي عِلْمِي بِكَرَمِكَ) الذي لا نهاية له (عَلَيْكَ) فوفدت إليك وفوضت أمري كله إليك.

(إِلَهِي: كَيْفَ أَخِيبُ) في تحصيل ما أتمنى (وَأَنْتَ أَمْلِي) لا غيرك، ومن كنت أمله ومقصده لا يخيب بل يريح، (أَمْ كَيْفَ أَهَانُ) بإذلال النفس والشیطان (وَعَلَيْكَ مُتَكَلِّي) اتكالي، ومن كان اتكأه عليك لا يهان.

(إِلَهِي: كَيْفَ أَسْتَعِزُّ) أرى لي عزاً بنفسي (وَفِي الدُّلَّةِ) اللازمة لذاتي (أَزْكُرْتَنِي) لا انفكاك لي عنها، (أَمْ كَيْفَ لَا أَسْتَعِزُّ) بك (وَأِلَيْكَ نَسَبْتَنِي) علمتني ثم خلقتني وجعلتني شاهداً عليك؛ وصيرتني محل إنفاذ أقدارك وإرادتك، وقلت لي: أنت عبدي، وأنا ربك. ومن كان كذلك كيف لا يستعز. عزي بك لا بي.

(إِلَهِي: كَيْفَ لَا أَفْتَقِرُ) لا أتصف بالفقر إليك (وَأَنْتَ الَّذِي فِي الْفَقْرِ أَقَمْتَنِي) أنت الغني المطلق وأنا الفقير المطلق، (أَمْ كَيْفَ أَفْتَقِرُ) إلى غيرك (وَأَنْتَ الَّذِي بِجُودِكَ أَهْنَيْتَنِي) أعطيتني من الآلاء ما لا يحصى ومن العطايا ما لا يقصى، وأظهرت عندي من جودك ما لا ينتهي، ووعدتني من فضلك ما لا يُعَد ولا يحصر.

(أَنْتَ الَّذِي لَا إِلَهَ غَيْرُكَ، تَعَرَّفْتَ لِكُلِّ شَيْءٍ) من خلقك (فَمَا جِهَلَكَ شَيْءٌ) فما من شيء إلا وهو يعرفك أنك الإله الواحد المتصف بالكمال

المقدس عن الزوال، يسبحك ويحمدك على ما أعطيت، ﴿كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَنَسِيحَتَهُ﴾ [النور: ٤١].

(وَأَنْتَ الَّذِي تَعْرِفْتُ إِلَهِي فِي كُلِّ شَيْءٍ). حيث جعلته شاهداً لك برهاناً عليك (فَرَأَيْتُكَ ظَاهِراً فِي كُلِّ شَيْءٍ) تتصرف فيه كيف شئت، فأنت الظاهر لكل شيء لا تخفى عليه من حيث ظهورك، وإن كان بعض الأشياء لا يراك لعدم قابليته لرؤيتك فالنقصان منه.

(يَا مَنْ اسْتَوَى بِرَحْمَانِيَّتِهِ) استواء يليق به (عَلَى عَرْشِهِ) الذي هو أعظم أفراد خلقه جِزْماً وأرفع أمكنته مَقَاماً، (فَصَارَ الْقَرْشُ) مع عظمتها (غَيْباً فِي رَحْمَانِيَّتِهِ) غمرته رحمانيته لعظمتها حتى غاب فيها فلم يكن مقداره في جنبها كقدر ذرة، لو لم تغمره رحمانيته لما شم ريح الوجود ولم يتأهل أن يكون مستوى للرحمن المعبود، ولم يوضع في المقام الشريف الذي وضع فيه، ولم يكن موضع صدور أمر غيره من الخلق، فسبحانك ما أعظم شأنك.

(كَمَا صَارَتِ الْعَوَالِمُ غَيْباً فِي عَرْشِهِ) فإنها بالنسبة إليه كما روي كحلقة ملقاة في الفضاء.

(مَحَقَّتِ الْآثَارَ بِالْآثَارِ) حيث جعلت بعضها بالنسبة إلى بعض آخر كأنه ليس بشيء، أو أفنيت بعضها ببعض، (وَمَحَوَّتِ الْأَعْيَانُ) عن قلوب الأبرار (بِمُحِيطَاتِ أَقْلَابِ الْأَنْوَارِ) الطالعة على قلب من اجتبته من الأخيار.

(يَا مَنْ احْتَجَبَ فِي سُرَادِقَاتِ عِزِّهِ) الذاتي (عَنْ أَنْ تُدْرِكَهُ الْأَبْصَارُ) الفانية لأنها أعجز من ذلك، فاحتجباك عن غيرك لعظيم عِزِّكَ وغاية كبريائك حتى لا يقدر أحد على إدراكك، فالعقول فيك حائرة، والأوهام فيك باثرة، ولا يمكن للبصائر أن تكون حولك دائرة.

(يَا مَنْ تَجَلَّى بِكَمَالِ بَهَائِهِ) في كبريائه (فَتَحَقَّقَتْ عَظَمَتُهُ الْأَسْرَارُ) وإن كانت لا تدركها الأعمار الذين قيدتهم الآثار بالأكدار.

(كَيْفَ تَخْفَى) على أحد (وَأَنْتَ الظَّاهِرُ) الذي ليس شيء فوقه في الظهور، وإنما لا يراك من ليس له النور لأن النور لا يرى إلا بالنور، (أَمْ

كَيْفَ تَقِيْبُ) حتى تحتاج إلى طلب (وَأَنْتَ الرَّقِيْبُ) على خَلْقِكَ (الْحَاضِرُ) بل أقرب إليهم منهم، تعلمهم وتتصرف فيهم كيف شئت، فسبحانك ما أجل سلطانك، فَارْضَ عَنَّا، وَصَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى حَبِيْبِكَ الَّذِي بِهِ مَعْرِفَتُكَ بِرِزْقَتِنَا، واجعلنا ممن فاز به فوزاً عظيماً.

يقول الفقير محمد حياة السندي ثم المدني عفا الله الكريم عنه: أملت هذا الشرح على قلمي من خزينه خيالي في مدينة سيد الأنام عليه أفضل الصلاة وأسنَى السلام سنة ألف ومائة وخمسة وأربعين (١١٤٥هـ) في قدر سبعة من الأيام، مع عدم انتظامي في سلك أهل العلوم والأفهام، ولذا لا يخلو شرحي عن الاختلال والإلحاح والأسقام، وعدم إفائني لحق كلام الماتن الإمام.

اللهم ما كان من صواب فلك المنة علي في ذلك، وما كان من خطإ أو سهو وغلط وتحريف وسوء فهم فهو مني، فاعف عني يا الله أنت أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين.

وصلّى الله على حبيبه محمد كما يحب ويرضى، وآله واصحابه وأمته وعلينا معهم أجمعين، والحمد لله رب العالمين حمداً كثيراً إلى يوم الدين. كمل الشرح المبارك على يد العبد الفقير إلى ربه القدير عبد السلام ابن الحاج علي غفر الله له ولوالديه ولأحبته آمين.

وقد قرأت على مؤلف هذا الشرح بالمدينة المنورة أول كتاب^(١) وأجازني بخطه على ظاهر شارحها^(٢) رحمه الله ورحمني به والمسلمين، وقراءتي عليه أوائل محرم سنة ١١٥٠هـ، وكتبي هذا أوائل محرم سنة ١١٦٦هـ والحمد لله رب العالمين.

تم بحمد الله

(١) اسم الكتاب محو.

(٢) اسم الشارح محو.

فهرس أطراف الحكم

الصفحة	الحكمة
١٧	- مِنْ عَلَامَاتِ الْاِعْتِمَادِ عَلَى الْعَمَلِ
١٨	- إِزَادَتُكَ التَّجْرِيدَ مَعَ إِقَامَةِ اللَّهِ إِلَيْكَ فِي الْأَسْبَابِ
١٨	- سَوَابِقُ الْهَيْمِ لَا تَخْرِقُ أَسْوَارَ الْأَقْدَارِ
١٩	- أَرْخِ نَفْسَكَ مِنَ التَّدْبِيرِ
١٩	- اجْتِهَادُكَ فِيمَا ضَمِنَ لَكَ
١٩	- لَا يَكُنْ تَأَخَّرُ أَمَدَ الْعَطَاءِ
٢٠	- لَا يُسَكِّتُكَ فِي الْوَعْدِ
٢٠	- إِذَا فَتَحَ لَكَ وَجْهَةً مِنَ التَّعَرُّفِ
٢١	- التَّعَرُّفُ هُوَ مُورِدُهُ عَلَيْكَ
٢١	- تَنَوَّعَتْ أَجْنَاسُ الْأَعْمَالِ
٢١	- الْأَعْمَالُ صُورٌ قَائِمَةٌ
٢٢	- اذْفِنْ وَجُودَكَ فِي أَرْضِ الْحُمُولِ
٢٢	- مَا نَفَعَ الْقَلْبَ شَيْءٌ مِثْلُ عَزَلَةٍ
٢٢	- كَيْفَ يُشْرِقُ قَلْبُ صُورِ الْأَكْوَانِ مُنْطَبِعَةً فِي مِرَاتِيهِ
٢٤	- الْكَوْنُ كُلُّهُ ظُلْمَةٌ وَإِنَّمَا أَنَارَهُ ظَهْوَرُ الْحَقِّ فِيهِ
٢٥	- مِمَّا يَدُلُّكَ عَلَى وُجُودِ قَهْرِهِ
٢٥	- كَيْفَ يَتَصَوَّرُ أَنْ يَحْجُبَهُ شَيْءٌ
٢٦	- مَا تَرَكَ مِنَ الْجَهْلِ شَيْئًا
٢٧	- إِحَالَتُكَ الْأَعْمَالِ عَلَى وُجُودِ الْفَرَاغِ
٢٧	- لَا تَظْلُبْ مِنْهُ أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ حَالَةٍ

- ٢٧ مَا أَرَادَتْ هِمَّةُ سَالِكٍ أَنْ تَقِفَ
- ٢٨ طَلَبَكَ مِنْهُ انْتِهَامُ لَهُ
- ٢٩ مَا مِنْ نَفْسٍ تُبْدِيهِ
- ٢٩ لَا تَتَرَقَّبْ فُرُوعَ الْأَغْيَارِ
- ٢٩ لَا تَسْتَغْرِبْ وَقُوعَ الْأَكْذَارِ
- ٣٠ مَا تَوَقَّفْتَ مَطْلَبُ أَنْتَ طَالِيهِ بِرَبِّكَ
- ٣٠ مِنْ عَلَامَاتِ النُّجُجِ فِي النَّهَائِيَاتِ
- ٣٠ مَنْ أَشْرَفَتْ بِدَائِيهِ أَشْرَفَتْ نَهَائِيهِ
- ٣٠ مَا اسْتَوْدَعَ فِي غَيْبِ السَّرَائِرِ
- ٣١ شَتَانٌ بَيْنَ مَنْ يَسْتَدِلُّ بِهِ أَوْ يَسْتَدِلُّ عَلَيْهِ
- ٣١ (لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ) الْوَاصِلُونَ إِلَيْهِ
- ٣٢ اهْتَدَى الرَّاجِلُونَ إِلَيْهِ بِأَنْوَارِ التَّوَجُّهِ
- ٣٢ تَشْوَفُكَ إِلَى مَا بَطَّنَ فِيكَ مِنَ الْغُيُوبِ
- ٣٣ الْحَقُّ لَيْسَ بِمُحْجُوبٍ
- ٣٣ اخْرُجْ مِنْ أَوْصَافِ بَشَرِيَّتِكَ
- ٣٣ أَضْلُ كُلِّ مَعْصِيَةٍ وَغَفْلَةٌ وَشَهْوَةُ الرِّضَا عَنِ النَّفْسِ
- ٣٤ وَلَأنَّ تَضَحَّبَ جَاهِلًا لَا يَرْضَى عَنْ نَفْسِهِ خَيْرٌ لَكَ
- ٣٤ شِعَاعُ الْبَصِيرَةِ يُشْهِدُكَ قُرْبَهُ مِنْكَ
- ٣٥ كَانَ اللَّهُ وَلَا شَيْءَ مَعَهُ
- ٣٥ لَا تَتَعَدَّ نِيَّتُهُ هِمَّتَكَ إِلَى غَيْرِهِ
- ٣٥ لَا تَرْفَعَنَّ إِلَى غَيْرِهِ حَاجَةً
- ٣٦ إِنْ لَمْ تُحْسِنِ ظَنَّنَكَ بِهِ لِأَجْلِ حُسْنِ وَصْفِهِ
- ٣٦ الْعَجَبُ كُلُّ الْعَجَبِ مِمَّنْ يَهْرَبُ مِمَّنْ لَا انْفِكَاكَ لَهُ عَنْهُ
- ٣٦ لَا تَرَحَّلْ مِنْ كَوْنٍ إِلَى كَوْنٍ
- ٣٧ لَا تَضَحَّبْ مَنْ لَا يُنْهَضُكَ حَالُهُ

- ٣٧ رُبَّمَا كُنْتَ مُسِيئًا فَأَرَاكَ الْإِحْسَانَ
 ٣٨ مَا قَلَّ عَمَلٌ بَرَزَ مِنْ قَلْبٍ زَاهِدٍ
 ٣٨ حُسْنُ الْأَعْمَالِ نَتَائِجُ حُسْنِ الْأَحْوَالِ
 ٣٩ لَا تَتْرُكِ الذِّكْرَ لِعَدَمِ حُضُورِكَ مَعَ اللَّهِ فِيهِ
 ٤٠ مِنْ عَلَامَاتِ مَوْتِ الْقَلْبِ
 ٤٠ لَا يَعْظُمُ الذَّنْبُ عِنْدَكَ عَظَمَةً تَصُدُّكَ عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِاللَّهِ
 ٤١ لَا صَغِيرَةً إِذَا قَابَلَكَ عَدْلُهُ
 ٤١ لَا عَمَلٌ أَرْجَى لِلْقَبُولِ مِنْ عَمَلٍ يَغِيبُ عَنْكَ شُهُودُهُ
 ٤٢ إِنَّمَا أُوْرِدَ عَلَيْكَ الْوَارِدَ لِتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ وَارِدًا
 ٤٢ أُوْرِدَ عَلَيْكَ الْوَارِدَ لِتَسْلَمَكَ مِنْ يَدِ الْأَغْيَارِ
 ٤٢ أُوْرِدَ عَلَيْكَ الْوَارِدَ لِتُخْرِجَكَ مِنْ سِجْنِ وَجُودِكَ
 ٤٣ الْأَنْوَارُ مَطَايَا الْقُلُوبِ وَالْأَسْرَارِ
 ٤٣ الثُّورُ جُنْدُ الْقَلْبِ
 ٤٣ الثُّورُ لَهُ الْكُشْفُ
 ٤٤ لَا تُفْرِخَكَ الطَّاعَةُ لِأَنَّهَا بَرَزَتْ مِنْكَ
 ٤٤ قَطَعَ السَّائِرِينَ لَهُ وَالْوَاصِلِينَ إِلَيْهِ عَنْ رُؤْيَةِ أَعْمَالِهِمْ
 ٤٤ مَا بَسَقَتْ أَغْصَانُ ذَلِكَ إِلَّا عَلَى بَذْرِ طَمَعٍ
 ٤٥ مَا قَادَكَ شَيْءٌ مِثْلُ الْوَهْمِ
 ٤٥ أَنْتَ حُرٌّ مِمَّا أَنْتَ عَنْهُ أَيْسَ
 ٤٥ مَنْ لَمْ يُقْبَلْ عَلَى اللَّهِ بِمِلَاطَفَاتِ الْإِحْسَانِ
 ٤٥ مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النِّعَمَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِزَوَالِهَا
 ٤٦ خَفَ مِنْ وَجُودِ إِحْسَانِهِ إِلَيْكَ وَدَوَامِ إِسَاءَتِكَ مَعَهُ
 ٤٦ مِنْ جَهْلِ الثَّمَرِ أَنْ يُسَى الْأَدَبِ
 ٤٧ إِذَا رَأَيْتَ عَبْدًا أَقَامَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِوُجُودِ الْأَوْرَادِ
 ٤٨ قَوْمٌ أَقَامَهُمُ الْحَقُّ لِخِدْمَتِهِ

- ٤٨ قَلَمًا تَكُونُ الْوَارِدَاتُ الْإِلَهِيَّةُ إِلَّا بَغْتَةً
- ٤٨ مَنْ رَأَيْتُهُ مُجِيبًا عَنْ كُلِّ مَا سُئِلَ
- ٤٩ إِنَّمَا جَعَلَ الدَّارَ الْآخِرَةَ مَحَلًّا لِحِزَاءِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
- ٤٩ مَنْ وَجَدَ ثَمَرَةَ عَمَلِهِ عَاجِلًا
- ٤٩ إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ قَدْرَكَ عِنْدَهُ
- ٥٠ مَتَى رَزَقَكَ الطَّاعَةُ وَالْغِنَى بِهِ عَنْهَا
- ٥٠ خَيْرُ مَا تَطْلُبُهُ مِنْهُ مَا هُوَ طَالِبُهُ مِنْكَ
- ٥٠ الْحُزْنُ عَلَى فَقْدَانِ الطَّاعَةِ مَعَ عَدَمِ التَّهَوُّصِ إِلَيْهَا
- ٥١ مَا الْعَارِفُ مَنْ إِذَا أَشَارَ وَجَدَ الْحَقَّ أَقْرَبَ إِلَيْهِ مِنْ إِشَارَتِهِ
- ٥١ الرَّجَاءُ مَا قَارَنَهُ عَمَلٌ، وَإِلَّا فَهُوَ أُمِّيَّةٌ
- ٥١ مَطْلَبُ الْعَارِفِينَ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى الصَّدْقُ
- ٥١ بَسَطَكَ كَيْ لَا يُبَيِّقَكَ مَعَ الْقَبْضِ
- ٥٢ الْعَارِفُونَ إِذَا بُسِطُوا أَخَوْفَ مِنْهُمْ إِذَا قُبِضُوا
- ٥٢ النَّبَسُ تَأْخُذُ النَّفْسُ مِنْهُ حَظَّهَا بَوُجُودِ الْفَرَحِ
- ٥٣ رَبُّمَا أَعْطَاكَ فَمَتَّعَكَ، وَرَبُّمَا مَنَعَكَ فَأَعْطَاكَ
- ٥٣ مَتَى فَتَحَ لَكَ بَابَ الْفَهْمِ
- ٥٣ الْأَكْوَانُ ظَاهِرُهَا غِرَّةٌ
- ٥٤ إِنْ أَرَدْتَ أَنْ يَكُونَ لَكَ عِزٌّ لَا يَفْنَى
- ٥٤ الطُّبَى الْحَقِيقِيُّ أَنْ تَطْوِيَ مَسَافَةَ الدُّنْيَا عَنْكَ
- ٥٤ الْعَطَاءُ مِنَ الْخَلْقِ جِرْمَانٌ
- ٥٤ جَلَّ رَبُّنَا إِنْ يُعَامِلُهُ الْعَبْدُ تَقْدًا فَيُجَازِيهِ نَسِيئَةً
- ٥٥ كَفَى مِنْ جَزَائِهِ إِيَّاكَ عَلَى الطَّاعَةِ أَنْ رَضِيكَ لَهَا أَهْلًا
- ٥٥ كَفَى الْعَامِلِينَ جَزَاءُ مَا هُوَ فَاتِحُهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
- ٥٥ مَنْ عَبَدَهُ لِشَيْءٍ يَرْجُوهُ مِنْهُ
- ٥٦ مَتَى أَعْطَاكَ أَشْهَدَكَ بِرَّهُ

- ٥٦ - إِنَّمَا يُؤْلِمُكَ الْمَنَعُ لِعَدَمِ فَهْمِكَ عَنِ اللَّهِ فِيهِ
- ٥٦ - رُبَّمَا فَتَحَ لَكَ بَابَ الطَّاعَةِ وَمَا فَتَحَ لَكَ بَابَ الْقَبُولِ
- ٥٦ - مَعْصِيَةُ أَوْرَثَتْ ذُلًّا وَافْتِقَارًا خَيْرٌ مِنْ طَاعَةِ أَوْرَثَتْ عِزًّا وَاسْتِكْبَارًا
- نِعْمَتَانِ مَا خَرَجَ مَوْجُودٌ عَنْهُمَا، وَلَا بُدَّ لِكُلِّ مَكُونٍ مِنْهُمَا: نِعْمَةُ الْإِبْجَادِ،
وَنِعْمَةُ الْإِمْدَادِ
- ٥٧ - أَنْعَمَ عَلَيْكَ أَوْلًا بِالْإِبْجَادِ، وَثَانِيًا بِتَوَالِي الْإِمْدَادِ
- ٥٧ - فَاقْتَنِكَ لَكَ ذَاتِيَّةٌ
- ٥٨ - خَيْرٌ أَوْقَاتِكَ وَقْتُ تَشْهَدُ فِيهِ وَجُودَ فَاقْتِنِكَ
- ٥٨ - مَتَى أَوْحَشَكَ مِنْ خَلْقِهِ
- ٥٨ - مَتَى أَطْلَقَ لِسَانَكَ بِالْقَلْبِ
- ٥٩ - الْعَارِفُ لَا يَزُولُ اضْطِرَارُهُ
- ٥٩ - أَنْارَ الظُّلُومِ بِأَنْوَارِ آثَارِهِ
- ٦٠ - لِيُخَفِّفَ أَلَمَ الْبَلَاءِ عَلَيْكَ عِلْمُكَ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ الْمُبْلِي لَكَ
- ٦٠ - مَنْ ظَنَّ انْفِكَكَ لُطْفِهِ عَنْ قَدَرِهِ فَذَلِكَ لِقُصُورِ نَظَرِهِ
- ٦٠ - لَا يُخَافُ عَلَيْكَ أَنْ تَلْتَبَسَ الطَّرُقَ عَلَيْكَ
- ٦١ - سُبْحَانَ مَنْ سَتَرَ سِرَّ الْخُصُوصِيَّةِ بِظُهُورِ الْبَشَرِيَّةِ
- ٦٢ - لَا تُطَالِبِ رَبَّكَ بِتَأْخُرِ مَطْلَبِكَ
- ٦٢ - مَتَى جَعَلَكَ فِي الظَّاهِرِ مُمْتَلِئًا لِأَمْرِهِ
- ٦٢ - لَيْسَ كُلُّ مَنْ ثَبَتَ تَخْصِيصُهُ كَمَلَ تَخْلِيصُهُ
- ٦٢ - لَا يَسْتَحْفِرُ الرِّزْدَ إِلَّا جُهُولٌ
- ٦٣ - وَرُودُ الْإِمْدَادِ بِحَسَبِ الْاسْتِعْدَادِ
- ٦٣ - الْعَاقِلُ إِذَا أَصْبَحَ يَنْظُرُ مَاذَا يَفْعَلُ
- ٦٤ - إِنَّمَا يَسْتَوْجِسُّ الْعِبَادُ وَالرُّهَادُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لِعَيْنِيهِمْ عَنِ اللَّهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ
- ٦٤ - أَمَرَكَ فِي هَذِهِ الدَّارِ بِالنَّظَرِ فِي مَكُونَاتِهِ
- ٦٥ - عَلِمَ مِنْكَ أَنَّكَ لَا تَضِيرُ عَنْهُ، فَأَشْهَدُكَ مَا بَرَزَ مِنْهُ

- ٦٥ لَمَّا عَلِمَ الْحَقُّ مِنْكَ وَجُودَ الْمَلِكِ لَوْنٌ لَكَ الطَّاعَاتِ
- ٦٦ الصَّلَاةُ ظَهْرَةٌ لِلْقُلُوبِ مِنْ أَذْنَابِ الذُّنُوبِ
- ٦٦ الصَّلَاةُ مَحَلُّ الْمُنَاجَاةِ وَمَعْدِنُ الْمُصَافَاةِ
- ٦٦ عَلِيمٌ وَجُودَ الضَّعِيفِ مِنْكَ فَقَلَّلَ أَغْدَاذَهَا
- ٦٦ مَتَى طَلَبْتَ عِوْضاً عَلَى عَمَلٍ طَوَّلْتَ بِوُجُودِ الصَّدَقِ فِيهِ
- ٦٧ لَا تَطْلُبْ عِوْضاً عَلَى عَمَلٍ لَسْتَ لَهُ قَاعِلاً
- ٦٧ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ فَضْلَهُ عَلَيْكَ خَلَقَ وَنَسَبَ إِلَيْكَ
- ٦٧ لَا نِهَایَةَ لِمَذَامِكَ إِنْ أَرْجَعْتَ إِلَيْكَ
- ٦٨ كُنْ بِأَوْصَابِ رُبُوبِيَّتِهِ مُتَعَلِّقاً، وَبِأَوْصَابِ عُبُودِيَّتِكَ مُتَحَقِّقاً
- ٦٨ مِنْكَ أَنْ تَدَّعِي مَا لَيْسَ لَكَ مِمَّا لِلْمَخْلُوقِينَ
- ٦٩ كَيْفَ تُخْرِقَ لَكَ الْعَوَائِدُ وَأَنْتَ لَمْ تُخْرِقْ مِنْ نَفْسِكَ الْعَوَائِدَ؟
- ٦٩ مَا الشَّأْنُ وَجُودَ الطَّلَبِ، إِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تُرْزَقَ حُسْنَ الْأَدَبِ
- ٦٩ مَا طَلِبَ لَكَ شَيْءٌ مِثْلُ الْأَضْطِرَارِ
- ٧٠ لَوْ أَنَّكَ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا بَعْدَ فَنَاءِ مَسَاوِيكَ وَمَحْوِ دَعَاوِيكَ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ أَبَدًا
- ٧٠ لَوْلَا جَمِيلُ سِتْرِهِ لَمْ يَكُنْ عَمَلٌ أَهْلًا لِلْقَبُولِ
- ٧٠ أَنْتَ إِلَى خَلْمِهِ إِذَا أَطْعَمْتَهُ أَخْرَجَ مِنْكَ إِلَى خَلْمِهِ إِذَا عَصَيْتَهُ
- ٧١ السِّتْرُ عَلَى قِسْمَيْنِ: سِتْرٌ عَنِ الْمَغْصِيَةِ، وَسِتْرٌ فِيهَا
- ٧١ مَنْ أَكْرَمَكَ إِنَّمَا أَكْرَمَ فِيكَ جَمِيلَ سِتْرِهِ
- ٧٢ مَا صَحَبَكَ إِلَّا مَنْ صَحَبَكَ وَهُوَ بِعَيْنِكَ عَلِيمٌ
- ٧٢ لَوْ أَشْرَقَ لَكَ نُورُ الْبَقِيَّةِ لَرَأَيْتَ الْآخِرَةَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مِنْ أَنْ تُرَحَلَ إِلَيْهَا
- ٧٣ مَا حَجَبَكَ عَنِ اللَّهِ وَجُودُ مَوْجُودٍ مَعَهُ
- ٧٣ لَوْلَا ظُهُورُهُ فِي الْمَكُونَاتِ مَا وَقَعَ عَلَيْهَا وَجُودُ أَبْصَارِ
- ٧٤ أَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ لِأَنَّهُ الْبَاطِنُ
- ٧٤ أَبَاحَ لَكَ أَنْ تَنْظُرَ مَا فِي الْمَكُونَاتِ
- ٧٥ الْأَكْوَانُ ثَابِتَةٌ بِإِثْبَاتِهِ، وَمَمْحُوءَةٌ بِأَحَدِيَّةِ ذَاتِهِ

- ٧٥ - النَّاسُ يَمْدَحُونَكَ لِمَا يَظُنُّونَهُ فِيكَ
- ٧٥ - الْمُؤْمِنُ إِذَا مَدَحَ اسْتَحْيَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
- ٧٦ - أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ تَرَكَ يَقِينَ مَا عِنْدَهُ لَيَقُنَّ مَا عِنْدَ النَّاسِ
- ٧٦ - إِذَا أَطْلَقَ النَّسَاءَ عَلَيْكَ وَلَسْتَ بِأَهْلٍ فَأَنْزِلْ عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ
- ٧٦ - الرُّهَادُ إِذَا مَدَحُوا انْقَبَضُوا
- ٧٧ - مَتَى كُنْتُ إِذَا أُعْطِيتَ بَسَطْتَكَ الْعَطَاءُ
- ٧٧ - إِذَا وَقَعَ مِنْكَ ذَنْبٌ فَلَا يَكُنْ سَبِيًّا لِيَأْسِكَ
- ٧٨ - إِذَا أَرَدْتَ أَنْ يَفْتَحَ لَكَ بَابَ الرَّجَاءِ
- ٧٨ - رَبِّمَا أَفَادَكَ فِي لَيْلِ الْقَبْضِ مَا لَمْ تَسْتَعِذْهُ فِي إِشْرَاقِ نَهَارِ الْبَسْطِ
- ٧٩ - مَطَالِيعُ الْأَنْوَارِ الْقُلُوبُ وَالْأَسْرَارُ
- ٧٩ - نُورٌ مُسْتَوْدَعٌ فِي الْقُلُوبِ
- ٧٩ - نُورٌ يَكْشِفُ لَكَ بِهِ عَنْ آثَارِهِ
- ٧٩ - رَبِّمَا وَقَفَتِ الْقُلُوبُ مَعَ الْأَنْوَارِ
- ٧٩ - سَتَرَ أَنْوَارَ السَّرَائِرِ بِكَثَائِفِ الظَّوَاهِرِ
- ٨٠ - سُبْحَانَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ الدَّلِيلَ عَلَى أَوْلِيَائِهِ إِلَّا مِنْ حَيْثُ الدَّلِيلُ عَلَيْهِ
- ٨٠ - رَبِّمَا أَظْلَعَكَ عَلَى غَيْبِ مَلَكُوتِهِ
- ٨١ - مَنْ أَطْلَعَ عَلَى أَسْرَارِ الْعِبَادِ وَلَمْ يَتَخَلَّقْ بِالرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَةِ
- ٨١ - حَظُّ النَّفْسِ فِي الْمَعْصِيَةِ ظَاهِرٌ جَلِيٌّ
- ٨١ - رَبِّمَا دَخَلَ الرِّبَاءُ عَلَيْكَ مِنْ حَيْثُ لَا يَنْظُرُ الْخَلْقُ إِلَيْكَ
- ٨١ - اسْتَشْرَافُكَ أَنْ يَعْلَمَ الْخَلْقُ بَخُصُوصِيَّتِكَ
- ٨١ - غَيْبُ نَظَرِ الْخَلْقِ إِلَيْكَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْكَ
- ٨٢ - مَنْ عَرَفَ الْحَقَّ شَهِدَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ
- ٨٢ - إِنَّمَا حَاجَبَ الْحَقُّ عَنْكَ شِدَّةَ قُرْبِهِ مِنْكَ
- ٨٣ - إِنَّمَا اخْتَجَبَ لِشِدَّةِ ظُهُورِهِ
- ٨٣ - لَا يَكُنْ طَلَبَكَ تَسْبِيًّا إِلَى الْعَطَاءِ مِنْهُ

- ٨٣ كَيْفَ يَكُونُ ظَلَبُكَ اللَّاحِقُ سَبِيًّا فِي عَطَائِهِ السَّابِقِ
- ٨٤ جَلَّ حُكْمُ الْأَزَلِ أَنْ يَنْضَافَ إِلَى الْعِلَلِ
- ٨٤ عِنَايَتُهُ فِيكَ لَا لِشَيْءٍ مِنْكَ
- ٨٤ عَلِمَ أَنَّ الْعِبَادَ يَتَشَوَّفُونَ إِلَى ظُهُورِ سِرِّ الْعِنَايَةِ
- ٨٥ إِلَى الْمَشِيئَةِ يَسْتَنْدُ كُلُّ شَيْءٍ وَلَا تَسْتَنْدُ هِيَ إِلَى شَيْءٍ
- ٨٥ رَبِّمَا دَلَّهُمُ الْأَدَبَ عَلَى تَرْكِ الظَّلَبِ
- ٨٦ إِنَّمَا يُذَكَّرُ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْإِغْفَالُ
- ٨٦ وَرُودُ الْفَقَاقَاتِ أَغْيَادُ الْمُرِيدِينَ
- ٨٦ رَبِّمَا وَجَدْتَ مِنَ الْمُرِيدِ فِي الْفَقَاقَاتِ
- ٨٧ الْفَقَاقَاتُ بُسْطُ الْمَوَاهِبِ
- ٨٧ إِنْ أَرَدْتَ وَرُودَ الْمَوَاهِبِ عَلَيْكَ
- ٨٧ تَحَقَّقْ بِأَوْصَافِكَ يُمَدِّكَ بِأَوْصَافِهِ
- ٨٨ رَبِّمَا رُزِقَ الْكَرَامَةُ مَنْ لَمْ تَكْمُلْ لَهُ الْإِسْتِقَامَةُ
- ٨٨ مِنْ عَلَامَاتِ إِقَامَةِ الْحَقِّ لَكَ فِي الشَّيْءِ
- ٨٩ مَنْ عَبَّرَ مِنْ بَسَاطَةِ إِحْسَانِهِ أَضْمَنَتْهُ الْإِسَاءَةُ
- ٩٠ تَسْبِقُ أَنْوَارُ الْحُكَمَاءِ أَقْوَالَهُمْ
- ٩٠ كُلُّ كَلَامٍ يَبْرُزُ وَعَلَيْهِ كِسْوَةُ الْقَلْبِ الَّذِي مِنْهُ بَرَزَ
- ٩٠ مَنْ أَدْنَى لَهُ فِي التَّعْبِيرِ فَهَمَّتْ فِي مَسَامِعِ الْخَلْقِ عِبَارَتُهُ
- ٩١ رَبِّمَا بَرَزَتْ الْحَقَائِقُ مَكْشُوفَةً الْأَنْوَارِ إِذَا لَمْ يُؤَدَّنْ لَكَ فِيهَا بِالْإِظْهَارِ
- ٩١ عِبَارَاتُهُمْ إِمَّا لِقَيْصَانٍ وَجِدٍ، أَوْ لِقَصْدِ هِدَايَةِ مُرِيدٍ
- ٩١ الْعِبَارَاتُ قُوَّتٌ لِعَائِلَةِ الْمُسْتَمْعِينَ
- ٩٢ رَبِّمَا عَبَّرَ عَنِ الْمَقَامِ مَنْ اسْتَشْرَفَ عَلَيْهِ
- ٩٢ لَا يَنْبَغِي لِلسَّالِكِ أَنْ يُعْبَرَ عَنْ وَارِدَاتِهِ
- ٩٣ لَا تَمُدَّنْ يَدَكَ إِلَى الْأَخْذِ مِنَ الْخَلَاتِقِ
- ٩٣ رَبِّمَا اسْتَحْيَا الْعَارِفُ أَنْ يَرْفَعَ حَاجَتَهُ إِلَى مَوْلَاهُ

- إِذَا التَّبَسَّ عَلَيْكَ أَمْرَانِ فَانْظُرْ أَتَقْلَهُمَا عَلَى النَّفْسِ قَاتِبُهُ ٩٤
- مِنْ عَلَامَاتِ اتِّبَاعِ الْهَوَى ٩٤
- قَيْدُ الطَّاعَاتِ بِأَعْيَانِ الْأَوْقَاتِ كَيْ لَا يَمْنَعَكَ عَنْهَا وَجُودُ التَّسْوِيفِ ٩٤
- عَلِمَ قَلَّةَ نُهْوِصِ الْعِبَادِ إِلَى مُعَامَلَتِهِ فَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ وَجُودَ طَاعَتِهِ ٩٥
- أَوْجَبَ عَلَيْكَ وَجُودَ خِدْمَتِهِ، وَمَا أَوْجَبَ عَلَيْكَ إِلَّا دُخُولَ جَنَّتِهِ ٩٥
- مَنْ اسْتَغْرَبَ أَنْ يُنْقِذَهُ اللَّهُ مِنْ شَهْوَتِهِ ٩٦
- رُبَّمَا وَرَدَتْ الظُّلُمُ عَلَيْكَ لِیَعْرِفَكَ قَدْرَ مَا مَرَّ بِهِ عَلَيْكَ ٩٦
- مَنْ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَ النِّعَمِ بِوَجْدَانِهَا، عَرَفَهَا بِوُجُودِ فَقْدَانِهَا ٩٦
- لَا تَذْهِشْكَ وَارِدَاتُ النِّعَمِ عَنِ الْقِيَامِ بِحُقُوقِ شُكْرِكَ ٩٦
- تَمَكَّنْ حَلَاوَةَ الْهَوَى مِنَ الْقَلْبِ هُوَ الدَّاءُ الْعُضَالُ ٩٧
- لَا يُخْرِجُ الشَّهْوَةَ مِنَ الْقَلْبِ إِلَّا خَوْفُ مُزْعِجٍ ٩٧
- كَمَا لَا يُجِبُّ الْعَمَلَ الْمُشْتَرَكُ كَذَلِكَ لَا يُجِبُّ الْقَلْبَ الْمُشْتَرَكُ ٩٧
- أَنْوَارُ أَذِنِ لَهَا فِي الْوُضُوءِ، وَأَنْوَارُ أَذِنِ لَهَا فِي الدُّخُولِ ٩٨
- رُبَّمَا وَرَدَتْ عَلَيْكَ الْأَنْوَارُ فَوَجَدْتَ الْقَلْبَ مَحْشُورًا بِصُورِ الْأَنَارِ ٩٨
- فَرِّغْ قَلْبَكَ مِنَ الْأَغْيَارِ يَمْلَأَهُ بِالْمَعَارِفِ وَالْأَسْرَارِ ٩٨
- لَا تَسْتَطِيعُ مِنْهُ التَّوَالُّ، وَلَكِنْ اسْتَطِيعُ مِنْ نَفْسِكَ وَجُودَ الْإِقْبَالِ ٩٩
- حُقُوقُ فِي الْأَوْقَاتِ يُمَكِّنُ قَضَاؤَهَا، وَحُقُوقُ الْأَوْقَاتِ لَا يُمَكِّنُ قَضَاؤَهَا ٩٩
- مَا قَاتَ مِنْ غَمْرِكَ لَا عَوَضَ لَهُ ٩٩
- مَا أَحْبَبْتَ شَيْئًا إِلَّا كُنْتَ لَهُ عَبْدًا ٩٩
- لَا تَنْفَعُهُ طَاعَتُكَ وَلَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَتُكَ ١٠٠
- لَا يَزِيدُ فِي عِزِّهِ إِقْبَالُ مَنْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ١٠٠
- وَضُوءُكَ إِلَى اللَّهِ وَضُوءُكَ إِلَى الْعِلْمِ بِهِ ١٠٠
- قُرْبُكَ مِنْهُ أَنْ تَكُونَ مُشَاهِدًا لِقُرْبِهِ ١٠١
- الْحَقَائِقُ تَرُدُّ فِي حَالِ التَّجَلِّي مُجَمَّلَةً ١٠١
- مَتَى وَرَدَتْ الْوَارِدَاتُ الْإِلَهِيَّةُ عَلَيْكَ هَدَمَتِ الْعَوَائِدُ عَلَيْكَ ١٠١

- الْوَارِدُ يَأْتِي مِنْ حَضْرَةِ قَهَّارٍ ١٠٢
- كَيْفَ يَحْتَجِبُ الْحَقُّ بِشَيْءٍ ١٠٢
- لَا تَيَأَسُ مِنْ قَبُولِ عَمَلٍ لَمْ تَجِدْ فِيهِ وُجُودَ الْحُضُورِ ١٠٢
- لَا تُزَكِّينَ وَارِدًا لَا تَعْلَمُ ثَمَرَتَهُ ١٠٣
- لَا تَطْلُبَنَّ بَقَاءَ الْوَارِدَاتِ بَعْدَ أَنْ بَسَطْتَ أَنْوَارَهَا ١٠٣
- تَطْلُعُكَ إِلَى بَقَاءِ غَيْرِهِ دَلِيلٌ عَلَى عَدَمِ وَجْدَانِكَ لَهُ ١٠٣
- النِّعِيمُ وَإِنْ تَنَوَّعَتْ مَظَاهِرُهُ إِنَّمَا هُوَ بِشُهُودِهِ وَاقْتِرَابِهِ ١٠٤
- مَا تَجِدُهُ الْقُلُوبُ مِنَ الْهُمُومِ وَالْأَحْزَانِ فَلْأَجْلِ مَا مُبْعَثٌ مِنْ وُجُودِ الْعَيَانِ ١٠٤
- مِنْ تَمَامِ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ أَنْ يَرْزُقَكَ مَا يَكْفِيكَ، وَيَمْنَعَكَ مَا يُطْغِيكَ ١٠٤
- لِيَقِلَّ مَا تَفْرَحُ بِهِ يَقِلَّ مَا تَحْزَنُ عَلَيْهِ ١٠٥
- إِنْ أَرَدْتَ أَنْ لَا تُغْزَلَ فَلَا تَتَوَلَّ وَلَا يَةً لَا تَدُومُ لَكَ ١٠٥
- إِنْ رَغَبْتَكَ الْبِدَايَاتِ زَهَدْتَكَ النِّهَايَاتِ ١٠٥
- إِنَّمَا جَعَلَهَا مَحَلًّا لِلْأَغْيَارِ، وَمَعْنَدًا لِلْأَكْثَادِ تَرْهِيدًا لَكَ فِيهَا ١٠٦
- عِلِمُ أَنَّكَ لَا تَقْبَلُ النُّصْحَ الْمَجْرَدَ فَلَدَوَقَكَ مِنْ ذَوَاقِهَا ١٠٦
- الْعِلْمُ النَّافِعُ هُوَ الَّذِي يَنْبَسِطُ فِي الصَّدْرِ شُعَاعُهُ ١٠٦
- خَيْرُ الْعِلْمِ مَا كَانَتْ الْخَشْيَةُ مَعَهُ ١٠٦
- الْعِلْمُ إِنْ قَارَنَتْهُ الْخَشْيَةُ فَلَكَ، وَإِلَّا فَعَلَيْكَ ١٠٧
- مَتَى أَلَمَكَ عَدَمُ إِقْبَالِ النَّاسِ عَلَيْكَ ١٠٧
- إِنَّمَا أَجْرَى الْأَدَى عَلَى أَيْدِيهِمْ كَيْلًا تَكُونُ سَاكِئًا إِلَيْهِمْ ١٠٧
- إِذَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَغْفُلُ عَنْكَ فَلَا تَغْفُلْ أَنْتَ عَنْ نَاصِيَّتِكَ بِيَدِهِ ١٠٨
- جَعَلَهُ لَكَ عَدُوًّا لِيَحُوشَكَ بِهِ إِلَيْهِ ١٠٨
- مَنْ أَثْبَتَ لِنَفْسِهِ تَوَاضَعًا فَهُوَ الْمُتَكَبِّرُ حَقًّا ١٠٩
- لَيْسَ الْمُتَوَاضِعُ الَّذِي إِذَا تَوَاضَعَ رَأَى أَنَّهُ فَوْقَ مَا صَنَعَ ١٠٩
- التَّوَاضُعُ الْحَقِيقِيُّ هُوَ مَا كَانَ نَاشِئًا عَنْ شُهُودِ عَظَمَتِهِ ١٠٩
- لَا يُخْرِجُكَ عَنِ الْوُضْفِ إِلَّا شُهُودُ الْوُضْفِ ١١٠

- الْمُؤْمِنُ يَشْغَلُهُ التَّنَاءُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى عَنْ أَنْ يُكُونَ لِنَفْسِهِ شَاكِرًا ١١٠
 - لَيْسَ الْمُجِبُّ الَّذِي يَرْجُو مِنْ مَخْبُوبِهِ عَوَضًا ١١١
 - لَوْلَا مَيَادِينُ الثُّفُوسِ مَا تَحَقَّقَ سَيْرُ السَّائِرِينَ ١١١
 - جَعَلَكَ فِي الْعَالَمِ الْمُتَوَسِّطِ بَيْنَ مُلْكِهِ وَمُلْكُوتهِ ١١٢
 - إِنَّمَا وَسِعَكَ الْكَوْنُ مِنْ حَيْثُ جُسَمَانِيَّتِكَ ١١٢
 - الْكَائِنُ فِي الْكَوْنِ وَلَمْ تَنْفُخْ لَهُ مَيَادِينُ الْغُيُوبِ مَسْجُونٌ ١١٢
 - أَنْتَ مَعَ الْأَكْوَانِ مَا لَمْ تَشْهَدْ الْمَكُونُ ١١٣
 - لَا يَلْزَمُ مِنْ ثُبُوتِ الْخُصُوصِيَّةِ عَدَمُ وَصْفِ الْبَشَرِيَّةِ ١١٣
 - دَلَّ بِوُجُودِ آثَارِهِ عَلَى وُجُودِ أَسْمَائِهِ ١١٣
 - لَا يُعْلَمُ قَدْرُ أَنْوَارِ الْقُلُوبِ وَالْأَسْرَارِ إِلَّا فِي غَيْبِ الْمَلَكُوتِ ١١٥
 - وَجَدَانُ ثَمَرَاتِ الطَّاعَاتِ عَاجِلًا بِشَائِرُ ١١٥
 - كَيْفِضَ تَغْلُبُ الْعَوَضَ عَلَى عَمَلٍ هُوَ مُتَصَدِّقٌ بِهِ عَلَيْكَ ١١٥
 - قَوْمٌ تَسْبِقُ أَنْوَارُهُمْ أَذْكَارُهُمْ ١١٥
 - ذَاكِرٌ ذَكَرَ لِيَسْتَنْبِرَ بِهِ قَلْبُهُ ١١٦
 - مَا كَانَ ظَاهِرُ ذِكْرِ إِلَّا عَنْ بَاطِنِ شُهُودٍ وَفِكْرِ ١١٦
 - أَشْهَدَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَسْتَشْهَدَكَ ١١٦
 - أَكْرَمَكَ بِكَرَامَاتٍ ثَلَاثَ ١١٦
 - رَبِّ عُمْرٍ اسْتَسَعَتْ أَمَادُهُ وَقَلَّتْ أَمْدَادُهُ ١١٧
 - مَنْ بَوْرِكَ لَهُ فِي عُمُرِهِ ١١٧
 - الْخُذْلَانُ كُلُّ الْخُذْلَانِ أَنْ تَتَفَرَّغَ مِنَ الشَّوَاعِلِ ثُمَّ لَا تَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ ١١٧
 - الْفِكْرَةُ سَيْرُ الْقَلْبِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ فَلَا إِضَاءَةَ لَهُ ١١٨
 - الْفِكْرَةُ سِرَاجُ الْقَلْبِ، فَإِذَا ذَهَبَتْ فَلَا إِضَاءَةَ لَهُ ١١٨
 - الْفِكْرَةُ فِكْرَتَانِ: فِكْرَةُ تَصْدِيقٍ وَإِيمَانٍ ١١٨
 - وَكَتَبَ ﷺ عَنْهُ لِيَعْضَ إِخْوَانِهِ ١١٩
 - وَمِمَّا كَتَبَ بِهِ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ ١٢٢

- ١٢٤ وَلَمَّا سُئِلَ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ ﷺ
- ١٢٦ وَكَتَبَ ﷺ: النَّاسُ فِي وَرُودِ الْيَمَنِ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ
- ١٢٧ وَمِنْ مُنَاجَاتِهِ ﷺ